

آنا ماري شيمل

الجميل والمقدس

تمقيق وترجمة
عقيل يوسف عيدان



الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.



الجهيل والهمقدس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الجميل والمقدس (دراسات).. أنا ماري شيميل

تحقيق وترجمة عقيل يوسف عيدان

لوحة الغلاف

الفنان التشكيلي عبد الله يوسف

الطبعة الأولى

1429 هـ - 2008 م

ردمك 978-9953-87-386-2

جميع الحقوق محفوظة

MASAA

ص.ب: 11882

الرمز البريدي 35159

الدسمة - الكويت

البريد الإلكتروني: info@masaa.info

الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.masaa.info



الدار العربية للعلوم ناشرون

Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الریم

هاتف: 785108 - 785107 (961-1) - 786233

ص.ب: 13-5574 شوران - بيروت 1102-2050 - لبنان

فاكس: 786230 (961-1) - البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb

الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الدار العربية للعلوم - ناشرون ش.م.ل

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأي وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو أي وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات، واسترجاعها من دون إذن خطي من الناشر

الجميل والهقدس

دراسات غير تقليدية في الحضارة الإسلامية

تأليف

آنا ماري شيمل

تحقيق وترجمة

عقيل يوسف عيدان

ASIP



الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

المحتويات

تصدير 7

إهداء 9

مقدمة: تعريف الحضارة - تعريف الثقافة - العلاقة بين مفهومي الحضارة
والثقافة - نشأت الثقافة وتطورها - عناصر الثقافة - الثقافة العربية/
الإسلامية - الحضارة العربية/الإسلامية - تعريف المدنية - تعريف
الحضارة الإسلامية. أنا ماري شيمل - منهج الاستشراق القديم
والحديث - منهج الدكتور شيمل - الدكتور أنا ماري شيمل في
سيرة ذاتية مختصرة - بحوث الكتاب 13

الفصل الأول: الجنينة.. الأزهار والبساتين في حضارة المسلمين 37

الفصل الثاني: التشبيه بالحروف في الأدب الإسلامي 75

الفصل الثالث: الباز الأشهب.. ملاحظات على البيزرة في الشرق والغرب 117

ملحق: ببلوغرافيا أولى لمؤلفات الدكتور أنا ماري شيمل 143

المصادر والمراجع 153

تصدير

يجد القارئ فيما يلي ثلاثة بحوث كُتبت في خلال فترة من الزمن لعلها لا تقل عن أربعة عقود، كتبها البروفيسورة آنا ماري شيمل في الفترة ما بين 1959 و 1967 أو ما عُرف بفترة ماربورغ وبون، أي في الفترة التي عملت فيها الدكتورة شيمل بالتدريس على مدى ستة أعوام، في قسم اللغة والآداب العربية والعلوم الإسلامية في جامعة بون، بصفة أستاذة ومستشارة علمية.

وهي الفترة التي ساهمت فيها بتعليم الدبلوماسيين الألمان، وبدأت تشارك فيها بالتحريير والإشراف على مجلة (فكر وفن). هذه المجلة كانت تنشر باللغة العربية قبل أكثر من أربعين عاماً مضت، وتحديدًا في عام 1963 صدر العدد الأول من مجلة فكر وفن من لدن صحافي متخصص بتاريخ الفنون هو ألبرت تايل (1904-1986)، وكانت مهام المجلة - كما صاغها تايل في تقديمه للعدد الأول تحت عنوان «هدفنا» على النحو التالي: «إن مهمة مجلتنا هذه هي التحريض على التفكير والتوسط بين الأمم وبناء جسور معنوية، وتقتضي هذه المهمة أن نتعارف وأن نحترم بعضنا بعضاً على ما نحن عليه».

وقد رأيت في تحقيق هذه النصوص أن أدخل عليها بعض التنقيحات التي تيسر قراءتها فضلاً عن أنها - فيما أرجو - لا تخل بأغراض مؤلفتها أو تخونها على أي نحو.

فقد صوّبت بعض الأخطاء المطبعية وشرحت بعض المفردات والعبارات الصعبة وسدّدت بعض الثغرات الناتجة عن تخرم المصدر الأصلي أو سوء التصوير، كما وقّدت تعريفاً موجزاً لجملة من الأعلام الواردة في هذه البحوث. كما قمت بإضافة بعض علامات التشكيل وكثيراً من علامات التنقيط.

وفي الحالات التي أجريت فيها تصويبات لغوية نّهت إلى ذلك في الحاشية مورداً الكلمة أو العبارة الأصلية. ولم أخرج عن هذه القاعدة إلا عندما يكون

مصدر الخطأ المصوّب مطبعياً دون أدنى شك ويكون التصويب أمراً لا جدال فيه. أما في الحالات التي أضفت فيها كلمة أو عبارة لسد ثغرة على سبيل التخمين والاستنتاج بناء على السياق، فقد وضعت الألفاظ المضافة بين معقوفين على النحو التالي [...].

فإذا عجزت عن سد ثغرة بدا لي أن ثمة أجزاء من النص لم أستطع التوصل إليها أشرت إلى ذلك بإدراج عدد من النقاط. وقد عجزت أحياناً عن شرح بعض العبارات، فنبهت إلى ذلك في مواضعه.

كما قمت بترجمة عربية للمصطلحات والمفردات والكلمات وأبيات الشعر الأجنبية (فارسية، تركية) التي وردت في بحوث الكتاب على سبيل الاستشهاد من لدن المؤلفة. والتزمت الدقة في ترجمة "النصوص" كما وردت في الأصل دون أية محاولة لاستخدام عبارات بها صناعات بدعية معنوية أو لفظية للزينة، حرصاً على أمانة النقل.

وقبل أن أغادر هذه الملاحظات أود الوقوف عند الصعوبات التي واجهتني في أثناء عملي، فعلاوة على فكر الدكتور شيمّل الخاص وتعمّقها في الدراسات الإسلامية، فالبحوث تعالج جملة من الموضوعات المتّصلة بالحضارة الإسلامية بمختلف ثقافتها، مما حمل المؤلفة منطقياً إلى الاقتباس من مراجع هذه الثقافات، فكان من الأمثل في هذه الحالة أن أرجع إلى المصادر الأصلية عند تعاملي مع نقل مثل هذه المواضيع، وقد أفلحت في الوصول إلى معظمها خاصة فيما يتعلق - بالطبع - بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية ومعظم أبيات الشعر العربية، إلا أنه استعصى في أحيان ليست بالقليلة الرجوع إلى مثل هذه المصادر الأصلية لأسباب منها ما هو راجع إلى أن الدكتور شيمّل كثيراً ما تقتبس من مراجع وسيطة غير عربية، أو أن الحصول على المراجع العربية أمر عسير لِقَدَم المراجع وعدم إعادة طباعتها من جديد أو عدم معرفة دار النشر التي قامت بإصدارها، والمشكلة الأخيرة تواجه القارئ العربي عموماً، حيث لم تنعم منطقة الشرق الإسلامي - إلا في النادر القليل - بأساليب الكترونية في البحث عن الكتب والحصول عليها كما هو الحال في بلاد الغرب المتقدمة تقنياً، ولهذا كله أتمس العذر من القارئ الكريم.

إهداء

إلى أمي..

برزخ الابتهالات وأرخبيل التهجدات

أهديك خيطاً.. لتبقى المتاهات لي

مفتتح

اليوم سيصبح الأمس
والغد سيصبح اليوم
وبعد ساعة يصبح اليوم غداً
ويسمى الأمس ويكون ماضيك
ماضيك الذي،
ربما،
لم تكن تقصده أبداً.

الشاعر الألماني/فيرنر شبرنغر

مُقَدِّمَة

(1)

عند وُرُود مفردة «الحضارة» أو عند دراسة حضارة شعب من الشعوب أو أمة من الأمم، يتحوّل فكر القارئ أو الدّارس أو الباحث إلى جوانب متعددة وإلى مظاهر متنوعة من منجزات هذه الأمة أو ذلك الشعب. لقد حفظ لنا التاريخ كثيراً من الرسائل والمدوّنات والكتب في حضارات الأمم والشعوب المختلفة، إلاّ أن هذه (الكتب) لا تكاد تتفق أو تُجمّع على نهج واحد في تعريف مفهوم الحضارة، ولا في أسلوب دراستها، وكثيراً ما تقف بعض هذه الكتب عند دراسة التاريخ، ولا يكاد يتجاوزه أو يتخطاه.

ويمكننا أن نقرّر أن تقدّم أو سرّد جملة من التعريفات لمصطلح الحضارة ليس لها كبير جدوى، لأنّ التعريفات الكثيرة للحضارة، يرى الباحثون لكلّ منها وجهته أو ما يُبرّره، ولهذا نرى أن الفائدة تكون أعم إذا استخلصنا من كل هذه التعريفات مفهوماً عاماً للدراسات الحضارية دون أن نلزم أنفسنا بتعريف محدّد، ومن المعلوم أن الدراسات الحضارية لأي شعب أو لأية أمة تكاد تنحصر في الجوانب الآتية:

- نُظَم الحكم وتطبيقاتها العامة، وما ارتبط بها من مُثُل عُليا، ومن معاني الحكم الصالح، ورعاية الحريات العامة، وتطبيق العدالة، وباختصار، كل ما يتعلّق بالحقوق والضمانات التي تقدمها النظم والتشريعات، مما يحقّق الأمن للإنسان ويحفظ كرامته.
- النشاط الفني بمختلف جوانبه ونواحيه، والفن بلا ريب مظهر متفوّق من مظاهر الحضارة، وهو عنصر له أهميته الكبيرة وقيّمته العَمِيمة في تقدير

الشعوب والأمم، وبه يُقاس التقدّم في المجتمعات الإنسانية.

● العادات والتقاليد والتراث الشعبي. فهي التي تُفصح عن التاريخ الحضاري لكل شعب من الشعوب أو أمة من الأمم.

● النشاط العلمي، وهو ما يمثله هذا النشاط من إسهام نظري وتطبيقي. فهذا الجانب من الإبداع الإنساني يهدف إلى دراسة أسرار الوجود والكون، كما أنه يقدّم التطبيقات العملية لمختلف النظريات العلمية، وبمعنى أوضح يتناول ما يُسهم به العلم في تيسير حياة الناس على هذه الأرض، وذلك بتذليل كل الصعوبات وتجاوز العقبات كافة التي قد تُحوّل دون تحقيق ما يجعل العيش على هذه البسيطة أيسر حالاً وأهدأ بالاً.

ولا نعدو الحقيقة إذا قلنا أن كثيراً ما تستعمل كلمة «الثقافة» للتعبير عن نفس المعاني التي تعبّر عنها كلمة «الحضارة»، فالمعنى اللغوي الذي تشير إليه كلمة الثقافة في العربية يُفيد التهذيب والصُّقل، كما أنها تدل على التمكن من العلوم والفنون والآداب.

وقد استخدمت لفظة «ثقافة» في العصر الحديث في معناها المعرفي والفكري الحضاري الذي نفهمه منها. فالمعنى المادي البسيط أصبح أصلاً لكل ما تعنيه هذه الكلمة من مفهوم عريض يشمل كل ما يهذب النفس الإنسانية من ألوان الفكر والفن.

وإذا نظرنا إلى ما يوازي أو يناظر هذه الكلمة باللغات الأوروبية وجدنا في اللغة الإنكليزية كلمة Culture، وفي الإيطالية كلمة Cultura، وفي الألمانية كلمة Kultur. وجميع هذه الكلمات الأجنبية تتصل بالزراعة وتفيد الإنماء، وقد تطوّر هذا المصطلح ليعني كل معاني الفكر والقيم الروحية والخلقية والفنية التي تساعد على نموّ الإنسان واكتمال ذاته.

فشتان بين المعنى الأصلي للكلمة، وما استخدمت فيه من المعاني الفكرية والروحية، ومن الطريف أن يكون المعنى الشامل للثقافة وأثرها على الإنسان يتضمن فكرة الصُّقل والتهذيب الذي يشير إليها المعنى العربي للكلمة.

يتميز بعض المفكرين - ولا سيما المدرسة الألمانية - بين الحضارة والثقافة، في حين يرى بعضهم الآخر أن الثقافة والحضارة مترادفان. فالمفكرون الألمان يقصرون حضارة على الإنجازات التقنية والعلوم البحتة التي تخضع للقياس الكمي والتي ننراكم جيلاً بعد جيل، في حين أنهم يجعلون الثقافة تشتمل على المعرفة الإنسانية تنوعية خاصة كالفلسفة والدين والاعتقاد والطقوس والحرفات والفنون.. الخ، إلا أن هذه التفرقة بين الحضارة والثقافة على أساس التفرقة بين المادي والعقلي، أخذت تزول لمصلحة مفهوم أعمق لمصطلح الحضارة يشمل المادي والعقلي بحيث تصبح الحضارة هي حركة المجتمع ككل، بما في ذلك اللغة والآداب والفنون والعادات والتقاليد والأعراف والمعتقدات الدينية والأخلاق والفضائل والنظم الاجتماعية والاقتصادية وكل الرموز التي يعبر بها الشعب عن ماضيه وحاضره ومستقبله.

أما الأنثروبولوجيون، الأمريكيون بشكل خاص، فإنهم يقولون بأن الحضارة أوسع من الثقافة، فهي إما ثقافة العالم بأسره أو ثقافة مجتمع كبير نسبياً تدوم فترة طويلة من الزمن وتتضمن التخصص في المهن والأعمال والأدوار الاجتماعية كما تتضمن نشوء المدن وقيام التنظيمات السياسية والإدارية. باختصار، أن لا تكون الحضارة ثقافة شعب صغير أو بدائي.

أما الثقافة، فهي أضيق من الحضارة، إذ أن لكل شعب من الشعوب ثقافته الخاصة حتى لو كانت تلك الثقافة ثقافة شعب صغير كشعب الاسكيمو الذي لا يزيد تعداده على نحو 30 ألف نسمة.

والثقافة على هذا قطاع من قطاعات الحضارة، فهي تشمل اللغة والعادات والتقاليد والفن والأساطير والمعتقدات وأشكال الملكية والإدارة ووسائل الصيد والحرب وما يشبهه. فالثقافة، هي للشعب المتقدم وللشعب البدائي. إلا أن ثقافة الشعب المتحضر يمكن أن ترتقي إلى درجة الحضارة، أما ثقافة الشعوب البدائية، فهي مجرد ثقافة، فالشعوب البدائية ثقافتها دون أن تصل هذه الثقافات إلى مستوى الحضارة، فالحضارات هي من خصائص المجتمعات المتطورة الحائزة على قسط وافر من العمران والتطور. ومن هنا، كانت الثقافة عامة لكل المجتمعات، في حين أن الحضارة خاصة ببعض المجتمعات.

وهناك مَيل عام إلى تضمين مفهوم الثقافة كل المعاني والقيم الروحية والأخلاقية والاجتماعية.. الخ، وكل ما أبدعته "عبقريّة" أمة من الأمم في ميادين الفكر والفن. ومعنى ذلك أن ثقافة شعب أو أمة ما تتسع لكلّ ما أبدعته عبر عصورها التاريخية المختلفة، منذ بدأت تعيش حياة اجتماعية متحضرة حتى وقتنا الراهن. ومعنى ذلك أيضاً أن كلمة ثقافة تدل على قسم كبير من المعاني التي عليها مفهوم الثقافة، لكن الحضارة قد تنفرد ببعض المعاني التي لا تعتبر عادة ضمن مفهوم الثقافة. ومن ذلك بعض مظاهر التقدّم المادي، فوسائل النقل الآلي مثلاً قد تدخل في مفهوم الحضارة، على حين أن من العسير اعتبارها ضمن مفهوم الثقافة. إن كلمة الحضارة والثقافة تتجاوران في كثير من المعاني، وتنفرد الحضارة ببعضها، فالحضارة إذن أوسع مدلولاً من الثقافة.

والخلاصة، أن الحضارة هي شريحة عليا من شرائح الثقافة، فليست كل الثقافات حضارات في حين أن كل الحضارات ثقافات.

وقد نشأت الثقافة - في أول أمرها - متواضعة بتواضع المجتمعات التي شهدها فجر التاريخ البشري، ولم تكن الثقافة مختصة بجنس من الأجناس، أو ببعض الأجناس تميّز بها دون سواها، فليست الثقافة بأيّ وجه من الوجوه ميزة عرقية، كما أنها ليست نتيجة حتمية للبيئة المحيطة.

فالبينات المتشابهة لا يكون من الضروري أن تنتج الحضارات المتشابهة، ولا هي ثمرة مباشرة للظروف الاقتصادية، بل هي نتاج عوامل وظروف متعدّدة تتحد معاً لتنتج تلك الحضارة، منها البيئة، ومنها الدين، ومنها الحياة الاجتماعية، ومنها الحياة الاقتصادية، ومنها الاحتكاك بالخارج والتأثر به، وغير ذلك من الظروف التي لا مجال لاستقصائها هنا.

فالثقافة المتطورة في فجر التاريخ كانت ثقافة مدن، ذلك لأن الدول القديمة ظهرت في صورة مدن أو ما يُعرف بدولة المدينة City-State، ومن هذه المدن ما عَظُم شأنه، وانتشرت حضارته حتى عمّت العالم كله، كما هو الحال بالنسبة لأثينا، ومهما يكن الأمر فإن ثقافة المدينة كانت سابقة على ثقافة الدول، وحينما ظهرت الإمبراطوريات على مسرح التاريخ، بدأت تعمّ ثقافتها، وتنتشر تبعاً

لانتشار نفوذها السياسي، فغزوات الإسكندر الأكبر (أو المقدوني) في الفترة ما بين (336-324 ق.م) دشنت ما يُسمى بالعصر الهلينستي أو عصر «هليانة الشرق»، الذي افتتح لمحاولة الإسكندر توحيد العالم في ظل حكومة واحدة، وثقافة واحدة هي الثقافة الإغريقية.

ولكن هذا لم يكن ما يحدث دائماً، فكثيراً ما كان المنهزمون يسيطرون من الناحية الثقافية على المنتصرين، كما حدث حين تغلبت ثقافة الإغريق المغلوبين على غزاهم الرومان، أو كما تغلبت ثقافة العرب على غزاهم من المغول. ولكي يُكتب للثقافة الحياة والمقدرة على استمرارية النمو والتطور، لا بُد لها أن تعطي وتأخذ وتؤثر وتتأثر، وبالتالي يمكن أن ينشأ قدر من الحضارات الإنسانية، يُصبح ملكاً لأبناء البشرية كافة.

وبما أن الثقافة هي مجموعة المنجزات الفكرية والروحية لأمة من الأمم منذ فجر تاريخها حتى الزمن الحاضر، فالثقافة العربية إذن هي تراث زهاء أربعة عشر قرناً أو خمسة عشر قرناً في كل هذه الميادين الرحبة. وربما ينال الانهيار من بعض العرب أمام صور ومظاهر التقدم العلمي والتقني والتكنولوجي في الغرب، فيسخرّون من التراث الثقافي العربي، ويعدّون العرب بمجرد شعوب جعلها التخلف والجهل في نهاية ركب الإنسانية، ولكن الغربيين أنفسهم هم أول من يشهد بعمق الثقافة العربية واتساعها وشموليتها.

وللثقافة عناصر متنوعة، يصعب إحصاؤها أو حصرها، ولكنني أستطيع أن أقول أن منها الكلمة المكتوبة، ومنها الصورة، ومنها التمثال، ومنها العمارة، ومنها القيم والتقاليد الموروثة، ولكلّ عنصر من عناصرها خصائصه وقدرته على اختراق السُّخوم، فالكلمة المكتوبة لا تصل إلى غير أصحاب اللغة إلّا إذا تعلموا هذه اللغة، على حين يستطيع أي إنسان من أية قومية أن يقف أمام أعمدة جرش أو بعلبك ويتذوّق ما فيها من روعة الصُّنع، كما يستطيع الكثير منّا أن يستمع إلى الموسيقى الغربية الكلاسيكية ويتذوقها بدون حاجة إلى تدريب خاص، أو بعد قليل من التدريب على تذوّق الموسيقى ما يمكن من تسهيل وسرعة الالتقاء الثقافي بين شعوب العالم، فمثلاً نجد أن الرسم والتصوير والتسجيل الصوتي وغيرها قد جعل

تبادل الآثار الثقافية أمراً يسير المنال، وهكذا فعلت الطباعة بالكلمة المكتوبة، ويسّرت وسائل الاتصال السريع من نقل جوي وإذاعة وبرق وبريد وأخيراً - وربما ليس آخراً - الانترنت، سبّل الاتصال والتواصل الثقافي بصورة لم يسبق لها مثيل، وما أظن إلا أننا متجهون نحو مقاييس ثقافية وحضارية متشابهة بعد أن تقاربت أرجاء العالم على هذا النحو المثير.

(2)

الحضارة هي مجموع الإنجازات الإنسانية أو إنما الشريحة العليا من هذه الإنجازات والمكتسبات في الميادين كافة وأهمها التطورات التي لحقت بالإنسان نفسه.

لقد أسهمت التطورات العلمية في العصور الحديثة وعلى رأسها نظرية العالم الانجليزي تشارلز دارون (1809-1882) في إعطاء مصطلح الحضارة أبعاداً جديدة، فقد حسم كتاب دارون «نشوء الإنسان» المعركة التي دارت فترة طويلة بين الأنثروبولوجيا القائلة بالتطور والفكر الإيقاني المعارض لنظرية التطور، وأصبح من الممكن فهم الحضارة على أنها مجمل الإنجازات الإنسانية في الميادين كافة يتعلمها شعب ما أو عصر ما عن شعب أو عصر سابقين ثم يعلمها لمن بعده بعد الإسهام فيها والإضافة إليها. وعلى هذا تكون الحضارة هي حصيلة ذلك التفاعل بين الأجيال والشعوب والعصور منذ افترق أجدادنا القدماء عن أبناء عموماتهم القردة العليا منذ الآلاف من السنين كما يرى دارون.

وإذا كانت أكثر تعريفات الحضارة تشير إلى أنها انتقال من الحالة البربرية للإنسان إلى حالة أكثر رقياً وتقدماً، فإن هذه التعريفات تقابل مرحلة متأخرة من مراحل الحضارة بمرحلة سابقة ولا تتناول الحضارة ككل من حيث أنها مجموع الإنجازات والمكتسبات الإنسانية منذ كان الإنسان وحتى اليوم.

ونحن نستطيع أن نفهم الحضارة بمعناها الأوسع والأعمق عندما نكفّ عن مقابلة مرحلة بمرحلة كأن نقابل مرحلة الآلة البخارية بمرحلة الآلة اليدوية أو عصر البخار بالعصر الحجري، ونستبدل ذلك بالنظر إلى الحضارة على أنها الإنسانية قبالة الحيوانية، أو بتعبير آخر عندما نقابل إرث الإنسان الحضاري بإرثه الحيواني. فهناك

إذن، حضارة إنسانية واحدة ولهذه الحضارة مراحل أو محطات كبرى. وقد درج الناس على تسمية هذه المحطات الكبرى بالحضارات.

ومن هنا، فإننا نجد المؤرخ الانجليزي أرنولد تويني (1889-1975) مثلاً يقول بوجود ما يقرب من العشرين حضارة إنسانية، في حين يرى غيره أن هناك حضارة إنسانية واحدة.

كما درج الناس أيضاً على تسمية الشعب القريب من الشريحة العليا من شرائح الثقافة أو الحضارة بأنه شعب متحضّر، والواقع أن هؤلاء يتحدثون عن التقدّم والتخلّف، فالشعب المتحضّر هو الشعب المتقدّم والشعب غير المتحضّر هو الشعب المتخلّف.

(3)

بعد هذه المقدمة العامة ننتقل إلى التعريف بموضوعنا الخاص وهو الحضارة العربية - الإسلامية. ولست أحسب أنني أكون مغالياً في تقدير هذه الحضارة إذا وصفتها بأنها الصورة المشرقة لحضارة العالم في القرون الوسطى.

لقد أتيح للعرب أن ينشئوا دولة مترامية الأطراف امتدت من حدود الصين إلى ساحل الأطلسي، ضمّت في أرجائها شعوباً آسيوية وإفريقية وأوروبية مختلفة الأجناس والأعراق والثقافات والحضارات، وقامت على بقاع من الأرض عرفت أعظم ما عرفه العالم من منجزات حضارية وثقافية، قبل ظهور العرب بقواهم الخلاقة على مسرح التاريخ.

وأية حضارة قبل الحضارة العربية نجحت في جمع شعوب من قارات العالم القديم، في ظل كيان ثقافي واحد، وتراث علمي وفكري مترابط، ومثل عليها تعدّد من أسمى ما عرفته الإنسانية في تاريخها الطويل، إنها حضارة حفظت ما وصل إليها من حضارات العالم القديم، وأضافت إليه ما أسفرت عنه جهود أبنائها، ثم قدمته إلى العالم، فكان ما قدمته أساساً للحضارة.

لقد عاشت الحضارة العربية حياة متصلة منذ ظهورها على مسرح التاريخ حتى وقت قريب، وكان لها إسهامات واضحة في كل نواحي الفكر والفن والحياة،

ومهما قيل عن اقتباسها من الحضارات القديمة، فقد تجلّت خصائصها واضحة وطابعها مميزاً في كل ما صدر عنها.

وإذا كانت المدنيّة تفتقر عن الثقافة من الناحية النظرية، فإنها ليست كذلك عملاً وتطبيقاً، لأن المظاهر المادية والمعنوية لأية حضارة تعمل جنباً إلى جنب في تكوين النظم الاجتماعية التي تُعدّ الثقافة عمودها الفقري وأساس بنائها.

وعلى كلّ يمكن تعريف المدنية بأنها حصيلة ما حقّقه الإنسان من معارف وعلوم (كالحرّف والصناعات والوسائل المادية والأساليب العلمية.. الخ)، زائداً عليه المقدرة على التمييز بين قيم الأشياء، والتزام هذه القيم في السلوك اليومي، وذلك من أجل تدير وتسهيل شؤون حياته المادية والروحية.

وليس من شك أن المدنية تتّسم بالتعميم فهي ملك لجميع بني البشر، وليست مقياساً للتمايز بين الشعوب والأمم، فكل ما يبتكره أو يخترعه الإنسان لا يستطيع احتكاره أو الاستئثار به، من أن يصل إلى أيدي بني البشر عاجلاً أو آجلاً للانتفاع به والاستفادة منه.

وبناء على ما تقدم ذكره يمكنني تعريف الحضارة الإسلامية بأنها مجموعة القيم والأنماط المستمدة من مبادئ الإسلام وقيمه التي تحكم النشاط المعنوي والمادي في المجتمع الإسلامي (من حيث السياسة والإدارة والاقتصاد والبيئة والعمران والمنجزات الإنسانية المختلفة.. الخ).

(4)

تعتبر الدكتورة أنا ماري شيمّل Annemarie Schimmel (1922 - 2003) من جملة أولئك المستشرقين والعلماء الذين انجذبوا للحضارة والثقافة والتمدّن الإسلامي، وأبدوا احتراماً بالغاً - على الدوام - لهذه الحضارة ومنجزاتها. بل لقد تميّزت الدكتورة شيمّل عن أترابها من المستشرقين وأقرانها من العلماء في إدراك الكثير من الأهداف السامية والمقاصد النبيلة التي عجز عن تحقيقها نظرائها من الدارسين لحضارة الإسلام وثقافته.

ويمكن أن نعزو هذه النظرة الإيجابية إلى الخلفية التي تعاملت بها الدكتورة شيمّل مع الحضارة الإسلامية التي درستها؛ فقد ارتكزت هذه الخلفية على الكثير من الحب والرغبة في اكتشاف الجوانب المضيئة فيها الأمر الذي "خالف" منهج عُنَاة المستشرقين الغربيين بل ومدرسة الاستشراق عموماً.

تاريخياً، كان المنهج الأكاديمي للدراسات الإسلامية هو وليد منهج يزيده قدماً، وهو تحديداً الدراسات «الشرقية». والدراسات الشرقية بدورها، تأثرت من منهج فرعي في «اللاهوت المسيحي». وكان المقصود من هذه المناهج دعم اللاهوت المسيحي عبر تأمين المعرفة الكافية باللغات التي كانت ضرورية لفهم الكتاب المقدس ونشر رسالته؛ أبرزها كانت العبرية والآرامية والعربية. إذن، كانت الدراسات الشرقية منهجاً يركز بشكل خاص على النصوص «الكَنَسِيَّة»، وشاركت منهجها الأم، اللاهوت في ميله إلى التركيز على التباين والاختلاف بين تلك النصوص، أي الكتاب المقدس والقرآن الكريم، وبالتالي، العالم المسيحي وعالم الإسلام. وبما أن المناهج صُمِّمت كذلك، فقد طوّرت الدراسات الشرقية نصّاً محورياً تقليدياً ركّز على "الفروقات" وحتى على "عدم الانسجام" الأبدى بين الإسلام والعالم الغربي (المسيحي).

وفي وقتنا الراهن يعد المفكر الأمريكي (البريطاني الأصل) برنارد لويس (1916-...) الشخصية الأساسية والأكثر تأثيراً داخل هذا التقليد الثقافي وأكبر المتحمسين له، فهو يستعمله لدعم فكرة «صدام الحضارات» التي تتبناها بعض المراكز والدوائر في العالم.

ولكن، وخلافاً لبرنارد لويس، كانت أنا ماري شيمّل أحد أبرز الاستثناءات "داخل" النص التقليدي؛ عبر استعمالها النوع الأدبي المناسب، وتحديداً الشعر الصوفي، بحيث كانت قادرة على بناء جسور عاطفية وعقلانية في وقت واحد رابطة بين فروقات التقاليد اللاهوتية والقضائية المتنازعة.

لقد وصفت الدكتورة شيمّل منهجها في الدراسة والبحث عندما قالت في إحدى المناسبات وبكل وضوح: «إن طريقي ليس هو طريق التصريحات والبيانات، ولا هو طريق الإثارات والزوابع. إنني أؤمن أن الماء الصافي سوف ينتصر بحركته الدءوب على مرّ الزمن وعلى صمّ الحجر».

ولدت أنا ماري شيمّل في 7 إبريل 1922 في مدينة ايرفورت Erfurt بولاية تورنغن في ألمانيا، وبدأت بتعلم اللغة العربية في سن الخامسة عشرة على يد أستاذ ألماني هو الدكتور هانس (إلنبرغ) ويعرف بالأفندي، وكان يحاضر آنذاك في جامعة يينا، وأنهت الدراسة الثانوية في السابعة عشرة، وبدأت دراستها الجامعية في برلين بقسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية، وحصلت على درجة الدكتوراه عام 1941 ببرلين وهي في التاسعة عشر من عمرها عن رسالتها حول حضارة العصر المملوكي في مصر، وبعد ثلاث سنوات حصلت على درجة الأستاذية من جامعة ماربورغ، وتعتبر شيمّل أصغر من حصل على مثل هذه الدرجة العلمية حينذاك. وفي عام 1951 حصلت على درجة دكتوراه ثانية في رسالتها عن تاريخ الأديان ومكانة الإسلام بين الأديان السماوية.

قامت الدكتورة شيمّل بأول زيارة لها إلى العالم الإسلامي سنة 1952 وبالتحديد إلى تركيا التي عادت إليها في عام 1956 بعد تلقيها دعوة من كلية الإلهيات في جامعة أنقرة حيث عملت كأستاذة مساعدة في العلوم الإسلامية واللغة العربية وكانت بذلك أول سيدة وأول شخصية غير مسلمة تُدعى إلى أنقرة، لتعطي طلاب كلية العلوم الدينية المنشأة حديثاً في ذلك الوقت نظرة عامة علي الأديان الأخرى، وكذلك لتقوم بتفسير الإسلام بأسلوب جديد وفقاً للقواعد العلمانية التي رسخها كمال أتاتورك. وأثناء إقامتها في تركيا، وفضلاً عن تدريسها في قسم تاريخ الأديان بجامعة أنقرة، شرعت شيمّل بإجراء تحقيقات واسعة في الآداب التركية القديمة ولاسيما تراث الصوفية العريق هناك، وفي المسائل الإسلامية المختلفة في العالم الحديث. وكانت لصداقتها مع الكاتبة الإسلامية التركية المحافظة سميحة إيفردي تأثير كبير على تعرّفها بالإسلام في إحدى جوانبه ولاسيما مع نشوء علاقة روحية عميقة بينهما.

ابتداء من عام 1961 شغلت الدكتورة شيمّل بعد عودتها إلى ألمانيا منصب مستشارة الشؤون العلمية في مجال الدراسات الإسلامية في جامعة بون كما عملت بتدريس الثقافة الهندو - إسلامية في نفس الجامعة، إلى جانب عملها كأستاذة للغة العربية والعلوم الإسلامية، وكذلك إشرافها وتحريرها في المجلة الدورية (فكر وفن)

حتى سنة 1982. وهي مجلة ثقافية علمية كانت تنشر باللغة العربية، نُشِرت وترجمت عبرها الكثير من الأبحاث والمقالات حول الحضارة الإسلامية وثقافتها المتعددة.

في عام 1967 تلقت دعوة للتدريس في جامعة هارفارد العريقة بالولايات المتحدة الأمريكية، وفي عام 1970 خصّص لها كرسي تاريخ أديان الشرق في تلك الجامعة، كما عملت كمحاضرة زائرة في المجلس الأمريكي للعلوم عام 1982، ومحاضرة زائرة في جامعتي أيوا ونيويورك، هذا فضلاً عن إلقائها دروساً في معهد الدراسات الإسماعيلية بلندن في صيف كل عام.

درّست الدكتوراة شيمّل أيضاً في جامعات مختلفة في العالم منها كندا وبريطانيا والباكستان والمغرب ومصر والأردن وسورية واليمن، وكأستاذة زائرة في البحرين والإمارات العربية المتحدة والعراق والسودان. وتعرّفت أثناء زياراتها لتلك البلدان سواء كضيف شرف أو مستشارة لشئون الثقافة الإسلامية علي عدد لا يحصى من المشاهير والشخصيات السياسية المعروفة. وتخرّج علي يدها العديد من المستشرقين والباحثين، الذين يعيشون علي زاد تلك الفترة حتى الآن في حقل المعرفة وغيره من المجالات.

بفضل تحقيقاتها وأبحاثها ومؤلفاتها العديدة في مجال الحضارة والثقافة والتمدّن الشرقي نالت الدكتوراة شيمّل العديد من شهادات الدكتوراه الفخرية من جامعات شرقية وغربية عدة، كما منحت جوائز أدبية كثيرة وعدداً من شهادات الامتياز والتفوق، أهمها جائزة (فريدريش ركارث) الألمانية سنة 1965، ووسام القائد الأعظم (باكستان)، والدكتوراه الفخرية من جامعة السند، وميدالية (هر برجستال) الذهبية، وجائزة (يوهان هاينرش فوس) من الأكاديمية الألمانية للغة والشعر، وعضوية الأكاديمية الهولندية للعلوم، ورئاسة الجمعية الدولية لتاريخ الأديان، وهلال الامتياز من الحكومة الباكستانية (أعلى وسام مدني)، وجائزة (جورجيو ليفي ديللا فيدا) في الدراسات الإسلامية من جامعة لوس أنجلوس سنة 1987، وشهادة الدكتوراه الفخرية من جامعة أوبسالا في السويد، وجائزة الدكتور (ليوبولد لوكاس) من كلية الدراسات الإنجيلية في جامعة توبنغن الألمانية، ووسام الاستحقاق الأكبر من الدولة الألمانية، كما

وأطلق اسمها على شارع رئيسي في مدينة لاهور الباكستانية. وحصلت الدكتورة شيمّل أيضاً على وسام الاستحقاق الكبير في العلوم والفنون من المرتبة الأولى من الدولة الألمانية. كما منحت في العام 1995 جائزة السلام من رابطة الكتاب الألماني كأحسن كاتب بالألمانية ساهم بفكرة في دعم السلام بين الشعوب وكما جاء في حيثيات الجائزة: «[لقد] كرّست جهدها طيلة حياتها من أجل التعريف بالإسلام وإيجاد روح القبول له ولمظاهر الحياة في إطاره، ومن أجل إيجاد إمكانية التقائه بأبعاده التجديدية حضارياً مع الغرب. والتي تعقّبت بفكرها تلك الإمكانية الهامة للسلام بين الشعوب، والساعية للتوفيق بين الإسلام والحداثة، والمنطلقة من محاولة الاستفادة من تمييز القيم الكامنة في جوهر الإسلام واستخلاصها منه. إن رابطة الكتاب الألماني لتعتبر تكريم أنا ماري شيمّل في هذه الظروف المليئة بمظاهر التعصّب الديني المرعبة، دعماً لتلاقي الحضارات وليس للصدام بينها، وتقديراً لروح التسامح، وإكباراً للشعر والثقافة والفكر القائم على تقدير سائر مظاهر اختلاف الآخرين واحترام التفاوت بينهم».

كتبت الدكتورة شيمّل في حياتها ما يزيد على مائة كتاب، أما المقالات المبثوثة في الدوريات الألمانية والعالمية والمحاضرات باللغات المختلفة، فلم تحصى بعد. من مؤلفاتها العديدة نذكر على سبيل المثال: جناح جبريل: دراسة أفكار السير محمد إقبال حول الأمور الدينية (ليدن 1963)، أبعاد التصوف الإسلامي (تشابل هل 1975)، الشمس الظافرة: حياة جلال الدين الرومي وأعماله (لندن 1978)، الإسلام في شبه القارة الهندية (ليدن 1980)، ومحمد نبي الله: منزلة الرسول في الإسلام (تشابل هل 1985)، فك شفرة الإله: مقارنة ظاهرية للإسلام (أدنبره 1994)، في مملكة المغول العظام: تاريخ، فن، ثقافة (لندن 2004).

أتقنت الدكتورة شيمّل من اللغات الشرقية: العربية والفارسية والتركية والأردية والسندية والباشتوية والبنجابية. مما أهلها إلى ترجمة الكثير من الشعر الصوفي، خصوصاً لمولانا جلال الدين الرومي، الحسين بن منصور الحلاج، ميرزا

سَدَ اللهُ، غالب الدهلوي، فريد الدين عطار، يونس إمره، محمد إقبال وغيرهم.

لقد نذرت الدكتورة شيمّل حياتها العلمية والعملية على امتداد أكثر من نصف قرن في خدمة الإسلام، فكراً وحضارة وثقافة، وفي الدفاع عن العرب ومسلمين في العالم كله. ويكفي أن نلقي نظرة على الموضوعات التي بحثت فيها وكتبت عنها عشرات الكتب ومئات الأبحاث والدراسات والمقالات لندرك ذلك. لقد كتبت، على سبيل المثال، في التعريف بالإسلام، وعن الرسول (ص)، وعن تاريخ الحضارة الإسلامية، وعن الصوفية والفكر الصوفي، وعن العرفان الإسلامي، وعن الشعر العربي والفارسي والتركي، وعن الخط العربي، وعن الحياة المعاصرة لمسلمين وغيرها كثير.

(5)

يتضمن هذا الكتاب ثلاثة بحوث تتناول فيه المؤلفة الدكتورة أنا ماري شيمّل موضوعات متفرقة، أعدت في مناسبات مختلفة، ومع ذلك فهي مترابطة باعتبار أنها جميعاً تتصل بالحضارة الإسلامية، وتعرض هذه البحوث بصورة خاصة لثلاثة فنون أساسية من الحياة الحضارية في الإسلام؛ هي: [الجنيّة.. الأزهار والبساتين في حضارة المسلمين]، [التشبيه بالحروف في الأدب الإسلامي]، و[الباز الأشهب.. ملاحظات في البيزرة في الشرق والغرب].

وقد تناولت المؤلفة في هذه البحوث، وهي التي تُعد حجة في دراساتها التاريخية في ميدان الحضارة الإسلامية، جوانب من التاريخ والدين والأدب أبانت فيها الدكتورة شيمّل عن إطلاع واسع وعلم جمّ وأناة في الحكم.

ولنأخذ البحث الأول «الجنيّة: الأزهار والبساتين في حضارة المسلمين». فالجنيّة أو الحديقة جزء من الطبيعة هيأه الإنسان لمباهاجه وأعدّ فيه خلاصة ما وجده فيها من نبات جميل اختاره ومياه عذبة أجراها وطير جمعه وحيوان حشّره أو دجّنه، مع طُرُق أحسن رصفها ومقاصير أجاد بناءها ودكّات رتبها للتأمل ومجالس نظّمها للتأملي. هذا إلى اتساع رقعة الجو ومعابثة الأشعة

والظلال ومغادة النسيم ومراوحته ومفاتن الفصول الأربعة ونصوع آناء النهار كل وقت له جماله وطلاوته كالشروق والبكور والغدوة والضحي والظهيرة والعصر والأصيل والغروب، وسحر آناء الليل وغموضها كاختلاط النور والظلام والشفق والغسق والعممة والسدفة والموهن والسَّحر والفجر والصبح ثم مع ذلك مرافق مساعدة ومنافع مسعدة، فالحديقة أو الجُنيّة - بتعبير المؤلفة - بهذا الشكل وعلى هذا الطراز مختصر الطبيعة المختار بل هي تنظيم لبعض أجزاء الطبيعة كما ترغب الإرادة الإنسانية المتحلّية بالحس الفني، والمتجلّية بالرهافة الجمالية. فهي تَعْمَد إلى تشكيل أجزاء الطبيعة الحية التي هي رهن التكامل والنمو والتفتّح والربوّ والازدهار والازدهاء ولكنها أيضاً رهن العسوّ والذبول والجفاء والفناء.

هذا التناقض في الصفات والخصائص يبرز الفرق بين فن الحدائق وبقية الفنون المتعارفة. ذلك أن طائفة من هذه الفنون الجميلة تعالج مواد هامة وتؤلف بينها لتهب لها وجوداً فنياً ممتعاً من نوع روحي خاص كما يفعل التصوير بالألوان والخطوط والأشكال وكما يصنع النّحت بالمرمر والصخر والخشب وأمثالها، فهي تفرض على هذه المواد أشكالاً ونسباً ثابتة ونهائية.

ولكن "فن" الحدائق يعالج مادة حيّة لها قوانينها ونظامها في النمو والتكامل أو السنكوص والتراجع. فهي إن استجابت لرغبات الإنسان وما يريده من تشكيل وتأليف، فلا بد من أن تخرج عن إرادته ورغباته بالعفوية التي تملكها والخصائص التي تتميز بها. هذا نوع من التناقض والانسجام في وقت واحد بين المادة الحية والأشكال التنظيمية المفروضة.

وليس فن الحدائق إلّا تعهّد ذلك الانسجام والتناقض والاختلاف والائتلاف والنجاح في الملائمة بين هذه الأضداد. قد تطفئ المادة الطبيعية الحية في الأسلوب، فيقترب فن الحدائق من عفوية المناظر الطبيعية أو يوحي بها دون أن يلتزم بها تماماً. وقد يغلب التنظيم في الحديقة، فيحد القوى الطبيعية ويضيق عليها ويجعلها قريبة من مواد فن العمارة وذلك بتقليم الورود والأشجار وترتيب المروج والأزهار وتنسيق الفسقيّات والجداول وإعطاء الجميع أشكالاً هندسية ونسباً متّسقة متّصلة ومنفصلة.

١- خدّان المتقابلان الطبيعي والهندسي يترجّح بينهما تاريخ فن الحدائق
٢- نفسه إلى وقتنا الراهن. إن فن الحدائق الصيني والياباني ثم الإنكليزي مثال
٣- حُرِّجَ لأول، وفن الحدائق البابلي ثم الفرنسي مثال على النوع الثاني. والجامع
٤- غير هو فن الحدائق الإسلامي.

على أن الحديقة باختصارها للطبيعة واعتبارها مَعْرَضاً لبعض مجاليها
١- عرِّدَ تضم ما في الطبيعة من قيم جمالية. فلا ريب أن الورود والرنجس
٢- سَمَحَ والريحان والأقاحي ينظر إليها الفن بمنظاره ويصنّف قيمتها الجمالية في
٣- رِقة واللفظ والحلاوة والرّهافة، كما ينظر إلى الدوحة الباسقة والنخلة
٤- سَمَحَ الباذخة، فيشعر تجاهها بعاطفة السمو والروعة، وكلما أُنعم المرء النظر
٥- في صبيعة تأمل محاسنها في مختلف الآناء والفصول استخفته مجاليها الممتعة وأنس
٦- عَصَرها البديعة وأخْلَدَ إلى ما فيها من الائتلاف والاختلاف وتعدّد الألوان
٧- ولأصباغ وإلى قوّة الحياة المنبثّة في غضارة نباتها وإلى ما ينبعث في مجاليها من
٨- رُء وحنان.

إن موضوع الجنائن أو الحدائق مادة الحياة وما فيها من عناصر. ولما كان
كائن الحي رهن التبدّل والتغيّر احتاج هذا الموضوع إلى التعهّد الدائم والصيانة
١- ثبة، وإلاّ سرعان ما ينتهي إلى التصوّح والاضمحلال ويفضي إلى الدُويّ واليأس
٢- ولا نقراض.

إن تحت البساطة الظاهرية للحديقة أو الجنينة مفهوم معقّد وملتبس، ذلك أن
تناول الحديقة بالتحليل يتطلّب إلماماً واسعاً بموضوعات شتى؛ كعلم النبات،
والعمارة والهندسة والفن والفلسفة، بل وحتى التحليل النفسي لارتباطه الوثيق
بالذاكرة. ولذلك كانت الحديقة أو الجنينة وستبقى موضوعاً مقتصرأ على النخبة
المتقفة عبر التاريخ.

لقد عاش الإنسان البدائي في عالم تكتنفه الرؤى "السحرية"، ويبدو أنه
كان شديد الاندهاش، مثله في ذلك مثلنا في الوقت الراهن، أمام مرور الوقت
بين الليل والنهار، وتعاقب دورة الفصول الأربعة، وأمام كل ما يكتنف العالم
حوله من أسرار. وحتى اليوم لا يُعلم على وجه الدقة متى ظهرت أول حديقة،

وقد يكون لذلك ارتباط بالنشاط الزراعي وإقامة أولى السياجات لحماية المحاصيل.

ومن المحتمل أن تكون الفكرة الجمالية والروحية للجنينة قد انبثقت من توليفة تجمع التقاليد والدين والغيبيات التي كانت سائدة في العالم البدائي. وربما كان إنسان الصحراء هو أكثر من شعر بالحاجة إلى مكان محمي يقيه حرّ الشمس الحارقة وندرة المياه. وقد كان ذلك المكان حلمًا يناقض تمامًا عالمه الواقعي الصعب.

وينطوي التراث الحضاري الإسلامي على صور جمالية وفنية وأدبية وروحية بديعة في حب الطبيعة وتصوير مفاتها. وقد تطرقت المؤلفة الدكتوراة شيمّل في هذا البحث إلى صور "ساحرة" وبلغية في هذا الشأن.

ومن بين البحوث التي يشملها هذا الكتاب الذي أقدمه للقارئ الكريم بحث عن «التشبيه بالحروف في الأدب الإسلامي».

إذ تعتبر صنعة الكتابة من مميزات الإنسان منذ أقدم العصور. وهنالك علاقة بينها وبين التصوير (الرسم). فقد كان الخط في ابتدائه صنعة تصويرية في كثير من الأمم - والمثال المشهور لهذا هو الخط الهيرغلوفي في مصر القديمة - ثم صار بعد ذلك مجرداً بوسيلة الاختزال. ونجد الآن في الفن المعاصر علاقة أخرى بين فن الرسم وصناعة الكتابة حين نرى أن بعض الرسامين يستعملون الخط زخرفاً وتزييناً محضاً.

وفي مجال صناعة الكتابة يجد القارئ جوانب كثيرة متشابهة بين الشرق والغرب. ففي تطوّر صناعة الكتابة أبدع الخطاطون ما أبدعوا في تزيين الحروف بأشرطة ذات عقّد وبأشكال الأزهار وبتنوع الألوان. وأحياناً ما نكتشف مشابهة غريبة بين هذه الأشكال في الغرب والشرق، مشابهة نشأت من اللاشعور، وأحياناً ما نجد تأثير صناعة الخط العربي وخاصة الخط الكوفي على فنون أوروبا أثناء القرون الوسطى.

لقد كانت صناعة الخط في الشرق الإسلامي أفضل الصنائع وأجلّها، ولا توجد في العالم حضارة أخرى أولّت فن الخط مثل هذا الاهتمام الكبير. أما في الغرب،

محدث الفن التشكيلية التي ورثت عن الحضارة اليونانية القديمة تقوم بنفس دور الذي تلعبه فنون الخط في الشرق.

ولا يزال الباحث يجد في الغرب في أيامنا هذه من أهل الفنون الذين استمدوا دمهم من الصنعة الإسلامية، ويتجلى هذا الإلهام في الصنعة المجردة العصرية؛ ومن حيث آخر تبني كثير من الرسامين ومن يتعلّق بالصنعة في البلدان العربية وما يليها من دول والأمصار الصنعة الأوروبية الكلاسيكية أو العصرية. وقد ينتج عن تلك علاقة بين التقاليد العريقة المختلفة صور جديدة ذات وجهين أحدهما شرقي وآخر غربي.

وقد وفق بعض الرسامين والنحاتين إلى خلق صنعة جديدة شاملة كل ما هو حميم وقيم في الدنيا، وتظهر في أعمالهم وحدة أصيلة تفصح عن جمال لا هو بغربي ولا شرقي، هذا الجمال الذي عبّر عنه الرسول (ص) في حديثه الشريف: «إن الله حميم يحب الجمال». فليس هذا الجمال حُسنًا ظاهراً فانياً، بل هو إفادة عن الحقيقة - صنية والأصالة المخلصة.

إن عمل الرسام أو الشاعر حين يفتقد إلى هذه الأصالة وهذا الإخلاص حتى سرّ بدا للعين جميلاً للوهلة الأولى لا يلبث أن يقع في عمق الإنسان. ومن الممكن كذلك أن يكون العمل الغير مخلص يخلف أثراً وقتياً مبهرًا في نفوس الناس إلا أنه يجري بهم عن الحياة المستقيمة، ويفعل في قلوبهم أثر الزهر الميت، فيسقيهم كذب والبغض واللهو. وهنا تأتي مسؤولية الإنسان على العموم والفنان، رساماً كان أو مؤلفاً، على الخصوص ألا يفقد ارتباطه بالأصل العميق لحياته، بذلك ينبوع اللامتناهي الذي نشأت منه حياته.

وأخيراً، ففي هذا الكتاب أيضاً بحث رائد بعنوان «الباز الأشهب.. ملاحظات في البيزرة في الشرق والغرب».

يرمز الباز/الصقر إلى الروح السامقة والشمس العالية وإلى المبدأ الروحي على وجه العموم. وليس هناك من حضارة لم تضع هذا الطائر في المرتبة العليا من سلم موجودات، فهو يرمز إلى الحرف الأول من اللغة الميروغليفية، وقد عدّه المصريون القدماء مصدراً لدفع الحياة وجوهرًا للضياء الذي يُنير العالم. وهو بسبب تحليقه

في مفازات السماء البعيدة وقربه من الشمس يعد رمزاً للهواء والنار والقوة (الذكورية) التي تمنح الأرض (الأُنثى) الخصب والحياة الجديدة. والباز/الصقر رمز «حوريس» الإله الوصي على الفراعنة.

واعتبره السومريون الذين مثلوا سرعته بالرعْد والبرق، رمزاً للتخليق الجريء والنبل البطولي. فيما اعتبره الإغريق رمزاً لآلهة القوة والحرب. أما المقدونيون، فقد كانوا ينقشونه على القطع النقدية ويعتبرونه مثلاً لقوى الروح السامية في صراعها مع قوى الظلام والعالم السفلي، في حين كان الفينيقيون ينحتونه على سفنهم ويجعلون له ذراعين تقودان الإنسان إلى بوابة الأبد.

وتوصي الزرادشتية، في الإمبراطورية الفارسية القديمة بأن تعرض للبزة/الصقور جثث الموتى وتمنع دفنها في الأرض وحرقها وإلقائها في المياه، وذلك كي لا تلوث العناصر الثلاثة المقدسة: الأرض، النار والماء.

وعندما جاء الرومان احتل الباز/الصقر في ديانتهم الوثنية مكاناً رفيعاً، فأصبح شعار «جوبيتر» القوي، وسيد الصواعق النارية التي تطهر حيناً وتعاقب حيناً آخر. وأعقبت الوثنية الرومانية، المسيحية التي أضافت بعداً رمزياً للباز/الصقر، فاعتبرته رسول السماء ورمز النبوة. وقد ورد ذكره تضميناً في القرآن الكريم في آيتين:

﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ﴾ (الأنعام/60).

﴿قُلْ أَحِلٌّ لَّكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ﴾ (المائدة/4).

واستمر الباز/الصقر رمزاً للأعالي والكبرياء وصراع القوى السامية مع قوى البشر حتى العصور الحديثة. وهو بما لديه من قدرة فائقة على الانقضاض وسرعة هائلة في إدراك الطرائد أصبح رمزاً كيميائياً. إذ يعدّه الكيميائيون رمزاً للخيال الخلاق وانتصاراً لقوى التسامي الروحي على قوى الغريزة والجسد والمادة، حتى أن الشاعر الإيطالي دانتي (1265-1321م) أطلق عليه «طائر الرب»، واعتبره عالم النفس السويسري كارل يونغ (1875-1961م) رمزاً للسموق والتعالى.

أما العرب فقد أبدوا اهتماماً خاصاً بالجوارح وعلى وجه الخصوص الباز/الصقر. تطلق العرب اسم (الببيرة) على الصيد بالصقور أو بالطيور الجوارح

عامة. وكلمة (ببزره) هذه مأخوذة من (الباز) وهو أحد الطيور الجوارح. وكان يسمى صاحب الصيد (بالبازيار) ووظيفة البازيار كانت من الوظائف الهامة في سورية آنذاك.

وكانت العرب تصيد بالبازي منذ أيام الجاهلية ثم أصبحت أيام الأمويين وبعباسيين تصيد بالنسور والعقبان والصقور والشواهين والبواشق وغيرها. وكان نوع يغري على صيد خاص. فالصقر مثلاً يغري على الغزال والأرنب ولا يغري على الطير لأنها تفوقه. وأول من صاد به هو الحارث بن معاوية الكندي.

أما البازي، فيغري على الطيور. والإناث منه أجراً على عظام الطير من مكور. ومن عاداته انه إذا أخطأ صيده ولّى خجلاً من إخفاقه حتى يجد لنفسه كهنفاً يأوي إليه ولهذا علّقوا عليه الجرس ليدل على مكانه إذا اختفى.

وكان الصيد بالجوارح أيام الحكم العربي عادة مألوفة ومنتشرة الاستعمال انتشاراً واسعاً. ولذلك، فإننا نجد في شعر تلك الحقبة فصلاً خاصة تعرف (بالطرديات) وهي القصائد التي قيلت في الصيد ويستعمل الشاعر العربي جرير (ت 110هـ/729م) التشبيه بها في هجائه المشهور للراعي النميري عندما يقول:

أنا البازي على نمير	أتيح من السماء له انصباب
إذا علقت محالبه بقرن	أصاب القلب أو هتك الحجاب
ففضّ الطرف إنك من نمير	فلا كعباً بلغت ولا كلابا

وكتب بازيار الخليفة أبو المنصور نزار الفاطمي الملقب بالعزير بالله (ت 386هـ/996م)، كتاباً ما يزال موجوداً حتى الآن عنوانه «الببزر» وفيه يصف - من بين الأشياء الكثيرة التي يصفها - تربية الصقور وتدريبها، فيقول: «يبدأ المربي بالصقر الصغير، فيستولي عليه من عشه قبل أن يعرف كيف يطير. أو هو يأخذه بعد أن استكمل وبلغ ثم يؤنسه. وهو في سبيل تأنيسه يصنع له غمامة تغطي رأسه وعينه حتى لا يرى النور وشريطاً من الجلد يوضع فوق الجناحين حتى

لا يصفقُ بهما وشريطَيْن من الجلد آخرَيْن يربط كل طرف منهما بقَدَم ويترك الطرف الآخر للصقّار يمسك به في يديه، فيمنع الصقر من الطيران إلّا إذا أراد. ثم يوضع الصقر في مكان مظلم نحواً من اثنتين وسبعين ساعة ولا يترك وحده أبداً حتى يعتاد على معاشرة الناس وبعد هذا يأخذ الصقر ثم يتعوّد على تناول الطعام من يد صاحبه الصقّار». ويمضي البازيار في سرد التفاصيل إلى أن يقول: «ويتضح مما تقدّم أن تدريب الصقر يحتاج إلى مهارة وصبر طويل».

أما طريقة الصيد، فهي كما يقول صاحب كتاب «البيزرة» كالآتي: «كان الصيادون يذهبون معاً للصيد في الصباح الباكر وقد وضعوا البزاة على أكتافهم وعندما يصلون إلى مكان الصيد ينزلون الصقر على الكتف ويمسكون برجليه في يد واحدة وما أن تلوح لهم فريسة حتى يرفعون الجلد عن الجناحين وعن العينين وعن الرجلين ويدفعون بالصقر إليها، فيقف الصقر على رأسها ويأخذ بلطمها بجناحيه، فترتبك الفريسة وهنا يلحق بها الصيادون ويأخذوها».

وكان العرب أول من ابتكر أسلوب "العصابة" أو غشاء الرأس في ترويض الصقور. فقد كانوا يضعون عصابة على أعين الصقور والبزاة حتى إكمال تدريبها، كما كان بعضهم يقوم بتخييط جفونها وبعد أن تكمل تدريبها يعمدون إلى إزالة الخيط، فيفتح الصقر عينيه على ضوء العالم وهكذا يولد مرتين.

والباز أنواع عدة، يعد الباز الأشهب أفخر أنواعه. والباز ينتشر في مناطق واسعة من المعمورة، واقرن اسمه بالملك. ويقال في لفظه (باز) وأفصح لغاته (بازيّ) بكسر الزاي وتخفيف الباء وجمعه بُزاة. ولفظه مشتق من البزوان وهو الوثب وكنيته أبو الأشعث وأبو البهلول وأبو لاحق.

ويقال إن أول من صاد به من الملوك قسطنطين ملك الروم وذلك أنه مرّ يوماً بجانب جبل، فرأى بازياً يطير ثم نزل على شجرة كثيرة الأغصان كبيرة الشوك، فأمر بأن يُصاد له مجموعة من البُزاة، فصِيدَتْ له وحُمِلَتْ إليه، فربطها في مجليه، فعرض لبعضها في بعض الأيام أئيم الأفعى، فوثب عليه وقتله، فقال قسطنطين: هذا ملك بغضبه يغضب الملوك، فنَصَبَ له بين يديه كندرة، وكان هناك ثعلب داجن يربى في البيوت، فوثب عليه فما أفلت إلّا جريحاً، فقال: هذا ملك جبار لا يتحمل

سبباً ثم مرَّ به طائر، فكسره ونهش منه، فقال: هذا ملك نوعه لما جاع أخذ طعامه
سبباً وقدره، فحمله على يده وصاد به.

ووصف الحكماء والملوك البزاة وزادوا في الوصف وأطنبوا في المدح، فقال
حذف ملك الترك: البازي شجاع مريد، وقال كسرى أنوشروان: البازي رقيق
حسن لا يأخذ إلا في وقت الفرص، وقال قيصر: البازي ملك كريم إن جاع
أخذ وإن استغنى ترك. ووصفه ابن خفاجة: هو طائر يستدل بظاهر صفاته على
كبره ذاته، طوراً ينظر بنظرة الخيلاء في عطفه، وتارة يرمي نحو السماء بطرفه،
وهو جيد الصيد والأثر، حديد السمع والبصر، وقد جمع بين عزة ملك وطاعة
مؤنه.

والباز بطبعه يصيد فريسته عكس الحر والشاهين، فإنه إذا أخذ من وكَّره
فرحاً ولم يكن متعلماً الصيد مع أبويه، فإنه يصيد وإذا كان الباز في الوكر مع أبويه
وصاد معهما، ففي ذلك الوقت يظهر مقدرة عالية وقت تأنيسه وإطراقه على
فريسة.

انتشر حب الجوارح من الصقور والبزاة والشواهين والعقبان على أوسع نطاق
في أوروبا خلال القرن الخامس عشر. وربما جاء هذا الاهتمام جرّاء تأثيرات مختلفة
كالغروب الصليبية والحضارة العربية في الأندلس. وقد جاء في المصادر أن الملكة «
برتا» من توسكانيا قد أهدت الخليفة «المكتفي» سبعة صقور وسبعة بزاة، وأن
الإمبراطور الألماني «فريدريك الثاني» قد ألّف كتاباً في الصقور والبزاة أسماه (الصيد
بالجوارح). وفي فرنسا أصدر الملك «شارلمان» قانوناً لحماية الصقور والبزاة. أما
في إنجلترا، فقد أبدى الملك «إدوارد الثالث» شغفاً بالجوارح. كما يدرج
الإمبراطور «تشارلز الخامس» ضمن عشاق الصقور والمهتمين بترويضها وتدريبها
والصيد بها.

ولم يقتصر حب البزاة والصقور والجوارح على أوروبا وحدها بل امتد
ليشمل الشرق والغرب من الصين حتى الأمريكتين الشمالية واللاتينية. فقد عبّد
الهنود الحمر الصقور وكانوا يتبركون بريشها وجماجمها. وقد ورد في رواية للرحالة
ماركو بولو أن كوبلاي خان ابن جنكيز خان كان يملك ما يقارب ألف بازداري

يقومون بتربية البزاة والصقور وتدريبها. وتخبرنا المصادر أن الممالك اهتموا بالصقور أكثر من اهتمامهم بمملكتهم، فجعلوا لها خدماً وعمالاً كأمر العشرة، وحارس الطير، وكاشف الطير، والخواندار الذي كان مسؤولاً عن إطعامها وحمايتها من البرد والمطر.

وللباز خصائص ينفرد بها عن غيره من الجوارح، من ذلك سرعة كسره وانقضاضه حتى قيل أنه أسرع من السهم وقد ضرب المثل به بسرعة خطفه. والباز إذا أُدبَ وأُحسن تأديبه عَرَفَ مهمته ولم يتجاوز حدوده، وهو من الجوارح الوفية لأهلها، وقد رويت عنه في ذلك أخبار كثيرة.

يتضح من هذا الاستعراض الموجز للبزاة والصقور في الرمز والتاريخ أن هذه الطيور تتميز بخصائص استثنائية عن بقية الطيور مما جعلها موضع اهتمام الملوك والقيصرة ومحط إعجاب الشعوب التي اتخذها آلهة تقديسها وتتركها.

وفي هذا البحث تحلّق المؤلفة بين الشرق والغرب وراء البازي وتقديم معلومات وأخبار عن هذا الطائر الملكي غاية في الأهمية، فهي قد قرأت وجمعت - تقريباً - كل ما كتب ونقل عن هذا الجارح وعن الجوارح الأخرى من نفس فصيلته كالصقر والشاهين واليؤر وغيرها.

(6)

لقد تميّزت كتابة الدكتورة أنا ماري شيمّل بعرض معلومات كثيرة وربطها بمظاهرها التاريخية والاجتماعية والنفسية والاقتصادية والأدبية وغيرها؛ إلا أن هناك مثالب لهذا الأسلوب تكمن في خطورة أن يعتقد القارئ أصلية ما هو ليس بأصل في العقيدة الإسلامية، فقد كانت المؤلفة في هذه البحوث أشبه بطائر يجول في كل الأزمان، ويحطّ على كل الأراضي، سواء التي فيها أجمل الثمر، أو تلك التي نبتاتها الشوك، أو على أرض لا يُعرف نوع نبتها، أهو ثمار أم شوك على هيئتها، ولهذا، فعلى القارئ أن يحتشد بذهن حاضر وعين فاحصة كي يستطيع الولوج إلى عالم هذه النصوص ومعرفة مقاصده.

كما أن القارئ قد يحسّ أحياناً بأنه يخالف المستشرقة الجليلة في بعض ما توصلت إليه من نتائج وأحكام، ولكن غلبة الإنصاف على هذه البحوث وسيطرة نـروح العلمية فيها جملة، جعلنا نقنع بتقديمها إلى القارئ دون أن نلجأ إلى مناقشة ما قد نختلف فيه مع المؤلفة، راجين بعد ذلك أن يجد القراء في هذا الكتاب ما نـقدره من عون في الدراسة ومن إمتاع في القراءة ومن إثارة لاستشراف آفاق في نـبحث جديدة.

ومما لا شك فيه أن هذه البحوث تملأ بعضاً من الفجوات التي لم نـجـر ملاحظتها حتى الآن، وتقدم لنا في السياق فـراسة محرّضة في فكر الدكتور شيمـل وفي الدور المؤثر للحضارة الإسلامية في تاريخ العالم.

وكـلـي أمل في أن يكون هذا الكتاب لبنة خير في ميدان المعارف والآداب والفنون في الحضارة العربية/الإسلامية، يتجاوب مع حاجات القراء والباحثـة، ويشجع الميل للاستزادة في شعبه العديدة.

عقيل عيدان
الكويت

الْجَنِينَةُ*

الأزهار والبساتين في حضارة المسلمين

[مجلة (فكر وفن)، العدد الثاني، 1963]

قال رلكه (Rilke)⁽¹⁾ وهو من أكبر شعراء هذا العصر⁽²⁾ الألماني مخاطباً قلبه:

عَنِّي يَا قَلْبِي جَمَالَ الْبَسَاتِينِ الَّتِي لَا تَعْرِفُهَا
بَسَاتِينٌ كَأَنَّهَا مَسْكُونَةٌ فِي زُجَاجٍ، بَرَّاقَةٍ، لَا
يُوصِلُ إِلَيْهَا،
مِيَاهُ أَصْفَهَانٍ أَوْ شِيرَازٍ وَوَرْدِهِمَا
بَرَكَ عَلَيْهَا، إِنَّنِ عَلَيْهَا فَهِيَ لَا تُقَاسُ بِشَيْءٍ
فِي الْعَالَمِ...

Singe die Garten, mein Herz, die du nicht kennst;

Wie in Glas

eingegossene Garten klar, unerreichbar.

Wasser und Rosen von Ispahan oder Schiras,

singe sie selig, preise sie, keinem vergleichbar.

وما كان هذا الشاعر إلّا واحداً من سلسلة طويلة من الأدباء الأوروبيين مدحوا بساتين⁽³⁾ ممالك⁽⁴⁾ الإسلام وغنّوا أبياتهم في وصف حُسْنِها الخيالي مع أنه لم يشاهد أيّ منهم قطُّ بستاناً فارسياً⁽⁵⁾ في حياته. وكان مع ذلك صورة البستان الشرقي في مخيلة مواطنينا⁽⁶⁾، وقد قرأوا ما قرأوا من حكايات ألف ليلة وليلة التي

توصف فيها حقائق الأمراء وجُنَيْنَاتِ الجن التي فيها شُجَيْرَات من ذهب أثمارها من الجواهر وأزهارها من زمرد (...) ⁽⁷⁾ وياقوت إذا مسَّتْها الريح تقع على أرضٍ تراها من فضة، وبعض ذلك [جاء أيضاً من] استئناس أهل أوروبا بأشعار الشعراء الإيرانيين من [مثل] سعدي الشيرازي ⁽⁸⁾ وحافظ ⁽⁹⁾ ووجدوا في أبياتهم وصف للبساتين الشيرازية، ووجدوا أيضاً بياناً عن الورد والترجس ومقارنة المحبوب بالأزهار الزاهرة، واستحسنوا ذلك غاية [الاستحسان]، وصار «كلستان شيراز» ⁽¹⁰⁾ أو «بستان فارس» ⁽¹¹⁾ عبارة معروفة عندنا.

وفي الحقيقة يمكننا أن نقول إن للمسلمين محبة خاصة للبستان والأزهار، وهذا من الطبيعي بالنسبة للملّة كان موطنها في منطقة من أرضنا غلب عليها الحرّ ومعظم أراضيها عقيم إلى ⁽¹²⁾ أن أنعم الله عليها بالأمطار، أو صدّف أن كانت واقعة في أودية خصبة أو على شط الأنهر الكبيرة؛ ودلّت على هذا آيات كريمة من القرآن المجيد حيث تؤخذ مثال النبات الذي ينبت من التراب الميّت كمثال بارز للقيامة كما قال تعالى:

﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ * وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ * رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾ ⁽¹³⁾.
وأيضاً:

﴿وَفِي الْأَرْضِ قَطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٍ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَغْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ﴾ ⁽¹⁴⁾.

وإن كانت هذه الأرض مظهراً للنعم الإلهية من نخل ذات الأكمام وأزهار وفاكهة وثمرات بهيجة، فنعم الآخرة توصف أيضاً [بأها] جنة خالدة «جنة عالية قطوفها ذانية» ⁽¹⁵⁾. وأصبحت للمسلمين بساتينهم التي انشأوها في الأندلس وفي العراق، في مصر وفي إيران وبعد ذلك في تركيا وهندستان ⁽¹⁶⁾ جَنَّات صغيرة، جُنَيْنَات، على سطح الأرض ذكّرتهم بأن بُشراكم اليوم جَنَّات تجري [من] تحتها الأنهار ⁽¹⁷⁾..

وكان البستان والنبات محبوباً عندهم لسبب ثالث أيضاً؛ وقد قال تعالى في آيات مختلفة إنَّ ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ ⁽¹⁸⁾.

وفيه كثير من المؤمنين معنى هذا التسبيح الدائم⁽¹⁹⁾ الذي يصدر من كل ما
 حرك وشحر وبين طيور وزهور، وكان ذو النون المصري⁽²⁰⁾ الصوفي الكبير في
 تلك سجنحة يعلم أحبابه ومريديه أسرار هذا الذكر والتسبيح الذي تشترك
 فيه حبيفة كلها واعترف في دعاء له:

يُخَيِّمَ مَا أُصْغِيَ إِلَى صَوْتِ حَيَّوانٍ، وَلَا حَفِيفِ شَجَرٍ، وَلَا خَرِيرِ مَاءٍ، وَلَا
 نَرَمَةٍ ضَائِرٍ، وَلَا تَنْعَمِ ظِلٍّ، وَلَا دَوِيِّ رِيحٍ، وَلَا قَقَعَةٍ رَعْدٍ، إِلَّا وَجَدْتُهَا شَاهِدَةً
 بِرَحْمَةِ بَيْتِكَ، دَالَّةً عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ كَمِثْلِكَ شَيْءٌ. وَإِنَّكَ غَالِبٌ لَا تُغْلَبُ وَعَالَمٌ لَا
 يُخْبِرُ وَحَلِيمٌ لَا تَسْفَهُ وَعَدْلٌ لَا تَجُورُ وَصَادِقٌ لَا تُكَذِّبُ»⁽²¹⁾.

وفد أحد الشعراء الترك، وهو يونس إمره⁽²²⁾، أول الشعراء المتصوفين في
 القرن الثالث عشر الميلادي واصفاً الجنة العليا:

تَوَلَّ جَنَّتِكَ أَيُّرْمَاقْلَرِي
 قَارَ اللّٰهُ دِيوُ دِيوُ..⁽²³⁾

أي:

أُنْهَارُ تِلْكَ الْجَنَّةِ
 تُخْرِى تَقُولُ اللّٰهُ
 خَرَجْتَ عَنَادُلُ الْإِسْلَامِ
 تُتَرِّمُ تَقُولُ اللّٰهُ...
 تُهَنِّزُ فِرْوَعِ الطُّوبَى
 يَقْرَأُ كُلُّ لِسَانٍ الْقُرْآنَ
 أَمَّا وَرَدُ الْجَنَّةِ
 فَرَائِحَتُهُ هِيَ «اللّٰهُ»⁽²⁴⁾

ويعبر عن هذا الإحساس بالذكر الدائم للنبات وبأن كل زهرة حامدة لله
 مسبحة له، حكاية سمعتها عن متصوفة تركية في مدينة استانبول⁽²⁵⁾ عندما زرنا
 مقبرة الشيخ مركز أفندي⁽²⁶⁾. وقد كان هذا الصوفي مريداً لسُنْبُل أفندي في أوائل

القرن الثامن عشر الميلادي، وطلب سُئِلَ أفندي يوماً من الأيام ومن مريديه أن يجمعوا زهراً ليزينوا الخانقاه⁽²⁷⁾ بها. وجاءه كل واحد منهم وفي يده باقة جميلة من أطيب الزهر إلا مركز أفندي، ففي يده زهرة ذابلة فحسب. وسأله الشيخ عن سبب ذلك، فقال مركز أفندي بحياء: «يا سيدي ومولاي، إني تمشيت في بساتين المدينة وغاباتها وما رأيت زهرة إلا وهي مشغولة بالتسبيح والذكر والحمد والثناء، الورد يعطره والزنبق بألسنته العشرة الصامته والترجس بعيونه الذهبية، وكيف أستطيع أن أفطِفَ أحدها وأقَطَعَ ذِكْرَها؟ وفي النهاية وَجَدْتُ زَهْرَةً ما بَقِيَ لها عطر ولا لون وقد فَاتَ ذِكْرُها وانقطع تسبيحها وها هي». فعانقه الشيخ وجعله⁽²⁸⁾ خليفة له بعد مدّة.

ونقرأ في كتب التاريخ القديمة بأن الخلفاء والسلاطين ما زالوا ينشئون بساتين وحدائق ذات بهاء حيثما وجدت المياه، وقد دوّن المسعودي⁽²⁹⁾ ما فعله الخلفاء العباسيون في العراق، ووصف المقرئزي⁽³⁰⁾ بساتين مصر، وجمع جلال الدين السيوطي⁽³¹⁾ في [كتابه] «حُسن المُحاضرة» ذكر الرّياحين والأزهار الموجودة في البلاد المصرية وما وَرَدَ فيها من الآثار النبويّة والأشعار الأدبية والإشارات الصوفية. ويحكى أن الخليفة المستكفي العباسي⁽³²⁾ كان يحب الحدائق والأدب وقرأ أحد الشعراء في حضوره شعراً في حقِّ محل اسمه باطرنجي⁽³³⁾ فيه كثرة [من] الأزهار، وقيل إن هذه الأبيات لأبي نواس⁽³⁴⁾، وهي:

من حديثي إني مررت بها يوماً	وقلبي من الهوى مستطارٌ
وبها نرجسٌ يُنادي غلامي	قف فقد أدركتُ لدينا العُقارُ
وتغنّى الدُرّاجُ واستمطر اللّهوُ	وجادتْ بنورها الأزهارُ
فانشيا إلى رياضِ غُيونٍ	ناظراتٍ ما إن هنَّ احورارُ
ومكانُ الجفون منها ابيضاض	ومكان الأحداق منها اصفرارُ
بينما نحن عندها صرخ الورد	إلينا يا مَعشر السُّمار
عندنا قهوةٌ تغافل عنها	دهرُها بالوجود منها ضمارُ

وَرَبَّنَا لِلْوَرْدِ مَنْ أَنْ تَنْبُوْا
فَرَأَى التَّرْجِسَ الَّذِي صَنَعَ الْوَرْدَ
وَرَأَى نَوْرَهُ عَسْكَرَيْنِ مِنَ الصُّوْرِ
وَسَجَّاشًا تُفَّاحَ لُبْنَانٍ لَمَّا
وَسَجَّاشًا الْبَهَارَ جَيْشًا مِنَ الْأُتْرُجِ
فَرَأَيْتُ الرِّبْعَ فِي عَسْكَرِ الصُّفْرِ
لَيْسَ إِلَّا لِحُمْرَةٍ مِنْ خُدُودِ
وَقَالَ: فَلَمْ أَرَ الْمُسْتَكْفَى مِنْذُ وَلَّى الْخِلَافَةَ أَشَدَّ سُرُورًا مِنْهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ⁽³⁶⁾.

وَمَا الْخَلِيفَةُ الْقَاهِرُ⁽³⁷⁾، فَكَانَ أَيْضًا عَاشِقًا لِلْأَزْهَارِ كَمَا قَالَ الْمَسْعُودِي:

وَكُنَّ لِلْقَاهِرِ فِي بَعْضِ الصُّحُونِ بَسْتَانٌ نَحْوُ مِنْ جَرِيبٍ قَدْ غَرَسَ فِيهِ
لَارْنَجٌ وَحَمَلٌ إِلَيْهِ مِنَ الْبَصْرَةِ وَعَمَانٌ مِمَّا حَمَلَ مِنْ أَرْضِ الْهِنْدِ قَدْ اشْتَبَكَتْ
نَجَارُهُ وَلَا حَتَّ ثَمَارُهُ كَالنَّجُومِ مِنْ أَحْمَرٍ وَأَصْفَرٍ وَبَيْنَ ذَلِكَ أَنْوَاعُ الْغُرُوسِ
وَنَرِيَّاحِينَ وَالزَّهْرَ وَقَدْ جَعَلَ فِي ذَلِكَ الصُّحْنِ أَنْوَاعَ الْأَطْيَارِ مِنَ الْقِمَارِيِّ
وَنَدْبَاسِي وَالشَّحَارِيرِ وَالْبَيْغِ مِمَّا قَدْ جَلَبَ إِلَيْهِ مِنَ الْمَمَالِكِ وَالْأَمْصَارِ (...) وَلَمَّا
فَضَّتْ الْخِلَافَةُ إِلَى الرَّاضِي اشْتَدَّ شَغْفُهُ بِذَلِكَ الْمَوْضِعِ⁽³⁸⁾.

وَنَرَى فِي أَشْعَارِ شِعْرَاءِ هَذَا الْقَرْنِ كُلِّ مَا فِي الْبَسَاتِينِ مِنَ الْأَزْهَارِ: الْأَقْحَوَانِ
ضَاحِكِ⁽³⁹⁾ وَالنَّمَامِ وَالسُّوسَنِ وَالشَّقَائِقَ وَالْبَنْفَسَجَ وَالْيَاسَمِينَ⁽⁴⁰⁾ وَنَبَاتَ بَاقْلَاءَ «أَتَوَا
فِي جَوَاشِنِ سَابِغَاتٍ»، كَمَا قَالَ الصَّنُوبَرِيُّ⁽⁴¹⁾ [وَكُنَّ] صَاحِبَ حَدِيقَةٍ جَمِيلَةٍ فِي
حَبِّ الْبَيْتِ قَالَ فِيهَا وَهُوَ يَغَارُ عَلَيْهِ مِنَ النَّاسِ:

وَرَدَّ بَدَا يَخْكِي الْخُدُودَ وَتَرْجَسُ
وَنَبَاتَ بَاقْلَاءَ يَشْبَهُ نُورَهُ
وَالسُّرُورُ تَحْسِبُهُ الْعَيُونُ غَوَانِيًّا
وَكَأَنَّ إِحْدَاهُنَّ مِنْ نَفْحِ الصَّبَا
يَوْمًا لَمَّا وَطِئَ اللَّثَامُ تَرَاهَا⁽⁴²⁾

وقد أرسل⁽⁴³⁾ السلاطين والأمراء [الرسل] إلى البلدان البعيدة حتى وجدوا من الأزهار النفيسة ما لم يجد غيرهم. وحكى صاحب كتاب (نشوار المحاضرة)⁽⁴⁴⁾ أنه رأى ورْد أسود حالك السَّواد له رائحة زكية وأنه رأى بالبصرة وردة نصفها أحمر قاني الحمرة ونصفها الآخر أبيض ناصع البياض والورقة التي وقع الخط فيها كأنها مقسومة بقلم⁽⁴⁵⁾.

ورأى بعضهم يجلب وردة لها وجهان أحدهما أحمر والآخر أصفر⁽⁴⁶⁾. وبالغوا بوصف الأزهار، وروى السيوطي عن رحالة⁽⁴⁷⁾ في الزمان القديم: «وقال إنه رأى بالهند وردة مكتوباً عليها «محمد رسول الله» وقال آخر: دخلت الهند، فرأيت في بعض قراها وردة كبيرة طيبة الرائحة سوداء عليها مكتوب بخط أبيض «لا إله إلا الله محمد رسول الله»⁽⁴⁸⁾. وهذا إشارة إلى⁽⁴⁹⁾ قيمة الورد التي سنذكرها تفصيلاً فيما بعد.

ولا فرق بين خلفاء بني العباس والسلاطين الذين حكموا في سائر بلدان الإسلام، واختص⁽⁵⁰⁾ الأتراك بحبهم للبساتين. وكان خمارويه بن أحمد بن طولون⁽⁵¹⁾ حاكم مصر في خلافة المعتمد⁽⁵²⁾ والمعتضد⁽⁵³⁾ جعل بستاناً عظيماً بالقسطاط. قال المقرئ في فيه وفي مثله:

«وكان للخلفاء عدة بساتين يتنزهون بها، منها البساتين الجيوشية، وهما بستانان كبيران: أحدهما من عند زقاق الكحل خارج باب الفتوح إلى المطرية، والآخر يمتد من خارج باب القنطرة إلى الخندق. وكان لهما شأن عظيم ومن شدة غرام الأفضل بالبستان الذي كان يجاور بستان البعل، عمل له سوراً مثل سور القاهرة، وعمل فيه بحراً كبيراً وقبة عشاري تحمل ثمانية أَرَادِب⁽⁵⁴⁾، وبني في وسط البحر منظره محمولة على أربع عواميد من أحسن الرخام، وحفها بشجر النارج، فكان نارنجها لا يقطع حتى يتساقط (...) وجلب إليه من الطيور المسموعة شيئاً كثيراً واستخدم للحمام الذي كان به عدة مطيرين، وعمر به أبراجاً عدة للحمام والطيور المسموعة، وسرح فيه كثيراً من الطاووس»⁽⁵⁵⁾.

وأما سلاطين المماليك من الجراكسة والأتراك، فكانوا أيضاً معجبين بالبساتين، ويحكى عن آخر سلطان من المماليك حكم مصر، قانصوه الغوري⁽⁵⁶⁾ -

- في فتر في عام 1516 عندما هزمت الجنود العثمانية جيشه المصري في مرج دابق
- في ذكر مشغولاً بالأزهار، ووصف ابن إياس⁽⁵⁷⁾ بستاناً له في قلعة القاهرة وقال
في سنة 915هـ/1511م):

في هذه السنة أُنعت الأشجار التي غرسها السلطان بالميدان وأخرجت ما
فيه من الأزهار ما بين ورد وياسمين وبان وزنبق وسوسان وغير ذلك من الأزهار
عريّة. ولقد عاينت به ورداً أبيض ذكيّ الرائحة، وهو غير أنواع الورد التي بمصر
وقد نقل من الشام (...) فكان السلطان يضع له⁽⁵⁸⁾ دكة كبيرة مطعمة بالعاج
وذهب (...). وتظله فروع الياسين (...) ويعلق في الأشجار أقفاص فيها طيور
مسمومة⁽⁵⁹⁾ ما بين هزرات⁽⁶⁰⁾ ومطوق وبلابل وشحارير وقماري وفواخت⁽⁶¹⁾ (...)
ويعلق بين الأشجار دجاج حبشي وبط صيني وحجل وغير ذلك⁽⁶²⁾.

وفي عين العصر الذي أحيّا فيه السلطان قانصوه الغوري مرة أخرى مدينة
نزهة بيساتين ذات جمال فائق، أخذ بابر التيموري⁽⁶³⁾ الذي فتح بلاد الهند في
عام 1526 وصار جدّاً لسلطين [الإمبراطورية] المغولية الهندية، يُنشأ في شمال غربي
هندستان بساتين وحدائق⁽⁶⁴⁾ لأنه نفسه وعساكره لم يستطيعوا تحمل حرارة هذه
منطقة وغبارها، وكتب السلطان نفسه في كتاب الوقائع محدثاً فيه باللغة التركية
عن كل ما حدث له في [ما] مضى [من] حياته منذ عنفوان الشباب إلى أن أصبح
عزيباً فاتحاً لبلاد الهند وقال:

«قد أنشأت (في مدينة اكرا)⁽⁶⁵⁾ بساتين في كل ناحية ظننتها لائقة
بذلك، وزرعت الورد والرجس في كل حديقة وهي في مربعات منتظمة
متقابلة».

وأصبح هذا البستان نموذجاً للبساتين التي بناها السلاطين المغول فيما بعد في
دهلي وفي دهلي واكرا ووادي كشمير وأينما استقرّوا⁽⁶⁶⁾، واشتهرت هندستان
بهذه البساتين المنتظمة والحسنة الهيئة، وكل من وصف الدولة المغولية من المسافرين
لأوروبيين في القرنين السابع عشر والثامن عشر قد أعطوا وصفاً تفصيلياً ومدحاً
كاملاً لهذه الحدائق؛ وأما رسّامو الدولة المغولية، فقد صوّروا جمال هذه البساتين
لتي أزهرت فيها أعجب الأزهار وقد جلّست على شط الأنهر أو في ظل الأشجار

المليحة سيدات القصر وخادماهن يلعن بالكرة ويتنزهن وهم مثل بساتين بشرية في ثيابهم الموشاة بأزهار الذهب والفضة.

وندرك من تصوير هؤلاء الرسامين شيئاً من جمال هذه البساتين المغولية، ولعلّ الزائر أن يتخيّل نبذة من هذا الحُسن الماضي إذا دخل أحد البساتين في اكرا أو دهلي أو لاهور. وإذا ببستان شاليمار⁽⁶⁷⁾ في مدينة لاهور، وهو منقسم على ثلاثة أقسام كل واحد منها مربع، تجري تحته المياه، ويدخل من طريق طويل، يوصل السالك إلى منظر خيالي يرى المياه الزرقاء فيها والقباب الظرفية من الرخام الناصع البياض الشفاف أظرف من خيال أي شاعر كان، تحيطها الأزهار الكثيرة الألوان، ويمتد البستان بعد ذلك إلى قسم ثالث فيه الأشجار المظلة تحمي الإنسان من القَيْظ. وأما جُدران⁽⁶⁸⁾ هذا البستان وأبوابه الضخمة التي كانت الأفيال تدخل منها، فهي مزينة بالقاشانيات⁽⁶⁹⁾ المزهرة كأنها صورة⁽⁷⁰⁾ البستان نفسه.

وعندما يزور السائح اكرا يشاهد تاج محل⁽⁷¹⁾ وهو مقبرة السلطنة ممتاز محل⁽⁷²⁾ زوجة السلطان المعظم شاه جهان⁽⁷³⁾، وهذه المقبرة التي تم بناءها في سنة 1653 في أضعاف بستان كبير واسع ذي أشجار ومروج ينعكس في مياه فضية، وكان هذا المحل مشهوراً منذ أنشأ بابر بادشاه هناك حديقة خاصة لعائلته، وقد ودَّ السلطان جهانكير⁽⁷⁴⁾ وزوجته العاقلة الألمعية «نور محل» أن يجلسا في هذه الحُنية ويَبَاتَا في القُصيرات الرخامية. وأنشأت نور محل بعد ذلك مقبرة زوجها جهانكير أيضاً في شكل بستان عجيب المنظر.

واختصّت بنات السلاطين المغول وزوجاتهم في إنشاء بساتين مزهرة، ومن تمشّى في مدينة لاهور صادف كثيراً من آثارهن القديمة: وهناك بستان «جلاي باغ»⁽⁷⁵⁾ الذي فيه مقبرة إحدى السيدات، وهناك «جوبرجي» أي الأبراج الأربعة، ولم يبق من هذا البستان المشهور الذي بنته بنت السلطان شاه جهان إلا ثلاثة أبراج بقاشانيات باهرة، ما زالت تزهر عام بعد عام.

ويكون السائح سعيداً إن قابل في لاهور أحد المتخصّصين بتاريخ هذه المدينة كما هو الدكتور عبد الله جغتاي⁽⁷⁶⁾، فيريه بساتين «زيب النساء»⁽⁷⁷⁾ المعروفة باسم ابنة اورنكزيب عالمكير (المتوفية 1707) الشاعرة المتصوفة، وإن أردت مشاهدة هذا

كـ. اليوم لم تجد منه إلا بقية جدار وبرج في ناحية فقيرة من جنوب المدينة ولم
حصر بآثك ماضيه المجيد، ولكن هناك حائط فسيفسائي⁽⁷⁸⁾ يصور أصيص⁽⁷⁹⁾ مملوء
أحسن لأزهار، وكأن هذه الفسيفساء قد حافظت على روح الحديقة الفانية وعلى
عصر من رائحة هذه الأزهار المنسية.

وقد فهم الشعراء المسلمون⁽⁸⁰⁾ سواء كانوا في بلاد العرب أو في إيران أو في
تركيا أو في هندستان أن الحقائق والأزهار فانية، لأن «كل من عليها فان»⁽⁸¹⁾،
وخرّبوا لزوال هذا الجمال وعدم دوامه، فترنّموا من الأشعار ما لم يترنّم به غيرهم،
ووصفوا الأزهار والبساتين بأفصح وصف كأهم وصفوا محبوبهم من الغلمان
وبساتن الجميلات الظريفات.

وقد أحسن في هذا الوصف أدباء العصر العباسي مثل أبي نواس وابن المعتز⁽⁸²⁾
وإخالدي⁽⁸³⁾ ومن يليهم من الشعراء، واشتهر بعضهم بأشعارهم المخصّصة بموضوع
أزهار مثل الصنوبري الحلبي المتوفى سنة 945م، وقد ذكرنا [له] شعر من قبل،
ومواطنه محمود بن السّندي كشاحم⁽⁸⁴⁾ الكاتب. وصارت لهؤلاء الأدباء [في] كل
رهرة رمزاً لحسن خاص ودليلاً على صفة مخصوصة، ووصفوا ما رأوا في بغداد وحلب
ودمشق وحدائق فارس والشام وأعطوا بذلك شهرة باقية لهذه الأزهار الفانية.

وما كان عدد الأزهار المعروفة كبير في ذلك الوقت، وللشعراء أزهار فضّلوها
على غيرها. ومنها البنفسج الذي جاء في حقّه حديث غريب:

«فَضِّلْ دَهْنَ الْبَنْفَسَجِ عَلَى سَائِرِ الْأَدْهَانِ كَفَضَّلِ وَلَدَ عَبْدِ الْمَطْلَبِ عَلَى
سَائِرِ قَرِيشٍ، وَفَضِّلِ الْبَنْفَسَجَ عَلَى سَائِرِ الزُّهُورِ كَفَضَّلِ الْإِسْلَامَ عَلَى سَائِرِ
الْأَدْيَانِ»⁽⁸⁵⁾.

وما أحسن قول الشاعر في هذه الزهرة الرقيقة:

كأئما شعل الكبريت منظره أو خدّ أعيد بالتحميم مقروص⁽⁸⁶⁾

ونرى من هذه الأبيات البنفسج كما قال جلال الدين السيوطي:
«سَمَاوِيَةِ اللَّبَاسِ، مَسْكِيَّةِ الْأَنْفَاسِ، وَاضِعَةً رَأْسَهَا عَلَى رُكْبَتَيْهَا كَعَاشِقٍ
مَهْجُورٍ تَنْطَوِي عَلَى قَلْبٍ مَسْجُورٍ»⁽⁸⁷⁾.

أو ملبوساً بخَرْقَةٍ خَانَقَاهِ الْمُتَصَوِّفَةُ؛ وفي شعر آخر يشبّه الشاعر النفسج بجنود العباسيين لأن أَعْلَامَ هذه السلالة كانت سوداء⁽⁸⁸⁾.

وأحبّ الشعراء في العراق وفي الأندلس الياسمين الأبيض وقال فيه المعتمد بن عباد⁽⁸⁹⁾:

كَأَنَّمَا يَاسْمِينُنَا الْفَضُّ كَوَاكِبُ فِي السَّمَاءِ تَبْيَضُّ
وَالطَّرِيقَ الْحُمْرُ فِي بَوَاطِينِهِ كَخَدَّ عَذْرَاءٍ مَسَّهُ عَضُّ⁽⁹⁰⁾

وكانت كناية الكواكب بهذا النبات المزهر مشهورة في الشرق والغرب كما يجري في بيت لشاعر عباسي:

سَمَاءٌ زَبَرَجَدٌ بِالْحُسْنِ تَسْمُو يَلُوحُ بِهَا نُجُومٌ مِنْ لُجَيْنٍ⁽⁹¹⁾

وقد زَيَّنَ الملوك بساتينهم بحياض فيها التيلوفر⁽⁹²⁾ الأبيض أو الأزرق أو الأحمر، ومازال الشعراء في الأندلس وفي بلاد فارس يصفون هذا المنظر الجذاب⁽⁹³⁾:

وَبَرَكَةٌ تَزْهُو بِنِيلُوفِرٍ نَسِيمُهَا يُشْبِهُ رِيحَ الْحَبِيبِ
حَتَّى إِذَا اللَّيْلُ دَنَا وَقْتَهُ وَمَالَتْ الشَّمْسُ لَوَقْتَ الْمَغِيبِ
أَطْبَقَ جَفَنِيهِ عَلَى جِيْبِهِ وَغَاصَ فِي الْبَرَكَةِ خَوْفَ الرَّقِيبِ⁽⁹⁴⁾

وما أهمل [الشعراء] الشقائق⁽⁹⁵⁾ الحمراء اللطيفة التي تجعل الصحراء الميتة بحراً أحمرّاً في أيام الربيع، ومن الطبيعي أن كُشِّجِمَ شاعر حلب ونواحيها⁽⁹⁶⁾، مدحها أحسن مدح إذ قال:

فَرَجَّ الْقَلْبَ غَايَةَ التَّفْرِيجِ ابْتِهَاجِي مَا بَيْنَ رَوْضِ بَهِجِ
فَكَأَنَّ الشَّقِيقَ فِيهِ أَكَالِيلُ عَقِيقٍ عَلَى رُؤُوسِ زُنُوجٍ⁽⁹⁷⁾

وقد فاقه في الإبداع الشاعر الأندلسي ابن الزقاق⁽⁹⁸⁾ ولله درّه في تلك الأبيات:

يَضْرِبُ مِنَ الشَّقَائِقِ أَضْحَى يَتَهَادَى فِيهَا نَسِيمَ الرِّيحِ
 رَتَبَا وَالْعَمَامَ يَجْلِدُ مِنْهَا زَهْرَاتِ تَرُوقُ لَوْنُ الرِّيحِ
 قَبْرَ مَا ذَنْبُهَا فَقَلَّتْ مَجِيباً سَرَقَتْ حُمْرَةَ الْخُدُودِ الْمَلَحِ⁽⁹⁹⁾
 وَبَدَعَ الْبَحْتَرِيُّ⁽¹⁰⁰⁾ التَّشْبِيهَ:

شَقَائِقُ يَحْمِلُنَ التَّنْدَى فَكَأَنَّهُ دَمُوعُ التَّصَابِي فِي خُدُودِ الْخَرَائِدِ⁽¹⁰¹⁾
 وصارت هذه الكناية مستعملة فيما بعد ونجدها عند الشعراء الإيرانيين كثيراً،
 وفـر مـُصنـح الدين سـَـعـدي الأديب المشهور بمثل هذا البيت:

زَالَهُ بَر لَالَهُ فَرُو آمَدِ هَنَكَا مِ سَحَرِ
 رَاسَتِ جُونِ عَارِضِ كَلْبُويِ عَرَقِ كَرْدِه بَازِ⁽¹⁰²⁾
 «مَا التَّرْجَسُ⁽¹⁰³⁾ الْأَبْيَضُ فَهُوَ أَحَبُّ [الْوَرُودِ] إِلَيْهِمْ مِنْ غَيْرِهِ وَهُوَ الْكِنَايَةُ
 مَعْرُوفَةٌ لِلْعَيْنِ⁽¹⁰⁴⁾، وَقَالُوا فِيهِ:

«كَانَ كَسْرَى أَنْوَشِرَوَانِ⁽¹⁰⁵⁾ مَغْرَمًا بِالنَّرْجَسِ وَقَالَ إِنِّي لِأَسْتَحْيِي أَنْ أَبَاضَعَ
 فِي مَجْلِسٍ فِيهِ النَّرْجَسُ لِأَنَّهُ أَشْبَهَ شَيْءً بِالْعَيْنِ النَّاطِرَةِ»⁽¹⁰⁶⁾.
 وجاء في حديث رواه السيوطي في مَدَحِ النَّرْجَسِ وَهُوَ:
 «سَمُّوا النَّرْجَسَ وَلَوْ فِي الْيَوْمِ مَرَّةً، وَلَوْ فِي الشَّهْرِ مَرَّةً، وَلَوْ فِي السَّنَةِ مَرَّةً،
 وَلَوْ فِي الدَّهْرِ مَرَّةً، فَإِنَّ فِي الْقَلْبِ حَبَّةً مِنَ الْجَنُونِ وَالْجَذَامِ وَالْبَرَصِ لَا يَقْطَعُهَا إِلَّا
 سَمُّ النَّرْجَسِ»⁽¹⁰⁷⁾.
 وقال بعضهم:

الْجِسْمُ فِيهِ قَاضِبٌ مِنْ زَمَرْدَ وَالْجَفْنُ مِنْ فِضَّةٍ وَالْعَيْنُ مِنْ ذَهَبِ⁽¹⁰⁸⁾
 وَفَاقَهُ ابْنُ الْمُعْتَزِّ بِقَوْلِهِ:

عُيُونٌ إِذَا عَايَنَتْهَا فَكَأَنَّمَا مَدَامِعُهَا مِنْ فَوْقِ أَجْفَانِهَا دُرٌّ
 مَحَاجِرُهَا بَيْضٌ، وَأَحْدَاقُهَا صُفْرٌ، وَأَجْسَامُهَا خُضْرٌ، وَأَنْفَاسُهَا عِطْرٌ⁽¹⁰⁹⁾

وما كان أحد الشعراء في عصر⁽¹¹⁰⁾ العباسيين أشدَّ شغفاً بالترجس من الصنوبري الحلبي الذي قال فيه مثلاً:

أَرَأَيْتَ أَحْسَنَ مِنْ عَيُونِ التَّرْجَسِ أَمْ مِنْ تَلَاظِهِنَّ وَسَطِ الْمَجْلِسِ
دُرٌّ تَشَقَّقُ عَنْ يَوَاقِيتٍ عَلَى قُضْبُ الزَّمَرْدِ فَوْقَ بُسْطِ السِّنْدِسِ
أَجْفَانِ كَافُورٍ خَفَقْنَ بِأَعْيُنٍ مِنْ زَعْفَرَانٍ نَاعِمَاتِ الْمَلْسِ
فَكَأَنَّهَا أَقْمَارُ لَيْلٍ أَحْدَقَتْ بِشُمُوسٍ أَفْقٍ فَوْقَ غُصْنِ أَمْلَسِ⁽¹¹¹⁾
وَأَحْسَنَ بَيْتِيهِ هَذِينَ:

وَعِنْدَنَا نَرْجَسٌ أَنْيَقُ تَخْيَا بِأَنْفَاسِهِ النُّفُوسُ
كَأَنَّ أَجْفَانَهُ بُدُورٌ كَأَنَّ أَحْدَاقَهُ شُمُوسُ⁽¹¹²⁾

وصارت كلمة نرجس في الأدب الفارسي والتركي الكناية المخصوصة للعين البشرية، وإن قرأت هذه الإفادة، مثلاً «نَرْكَسٌ مخمور»⁽¹¹³⁾، [أو] «نركس نيم خفته»⁽¹¹⁴⁾، فافهم أنه العين المخمورة، أو عين المحبوبة التي أفاقت من نومها. وقد أبدع كشاجم عبارة أخرى لتوصيف هذه الزهرة وقال وقد قلده كثير من الشعراء المتأخرين:

كَأَنَّكُمْ نَرْجَسًا قَدْ تَبَدَّى مِنْ كَثْبِ
أَنَا مِلٌّ مِنْ فَضَّةٍ يَحْمِلُنْ كَاسَاتِ ذَهَبٍ⁽¹¹⁵⁾

حتى أن أحدهم، وهو أبو إسحاق⁽¹¹⁶⁾ في إيران، شبّه النرجس بخبز في وسطه صفار بيضة، أو شبّه بعضهم بدينار حوله ستّة دراهم. ومع أن الصنوبري فضّل النرجس المزهر على الأزهار كلها، لكن الشعراء والمتصوّفون أجمعوا على أن أحسن الأزهار وأبهاها الورد. ولا تحصى الأبيات التي قيلت في مدح هذه الزهرة الجميلة ووصفها. ولأحدهم شعر في الورد يجادله النرجس⁽¹¹⁷⁾ (ونسبوه للصنوبري ولكن ذلك ليس من الممكن لأن هذا الشاعر كان يفضّل النرجس على الورد):

عَمِ الْوَرْدُ أَنَّهُ هُوَ أَبْهَى مِنْ جَمِيعِ الْأَنْوَارِ وَالرَّيْحَانِ
وَحَبِثُهُ أَغْنَى النَّارِجِسِ الْغَضِّ بَذَلَ مِنْ فَوْقِهَا وَهَوَانِ
يَا أَحْسَنَ التَّوَرْدِ أَمْ مَقْلَةٍ رِيمٍ مِنْ فَضَّةِ الْأَجْفَانِ
وَإِذَا يَرْجُو بِحُمْرَتِهِ الْخَدَّ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ عَيْنَانِ
فَرَمَى الْوَرْدُ ثُمَّ قَالَ مَجِيباً بِقِيَاسِ مُسْتَحْسِنٍ وَبَيَانِ
وَرَدَّ الْخُدُودَ أَحْسَنَ مِنْ عَيْنِ بِهَا صُفْرَةٍ مِنَ الْبِرْقَانِ⁽¹¹⁸⁾

وَرَأَوْا فِي الْوَرْدِ كُلِّ مَا فِي الدُّنْيَا مِنْ سَعَادَةٍ وَجَمَالٍ وَبَهَاءٍ⁽¹¹⁹⁾، «وَلَوْ كَانَ مِنْ
خَرَقٍ قَدْ كَانَ عَطَّاراً» - كما قال ابن المعتز - وهو أيضاً مثل دَكَانَ جَوْهَرِي يَجْمَعُ
بِهِ نِسْهَ الْجَوَاهِرِ كُلِّهَا:

«هُوَ دُرٌّ أَيْضٌ وَيَأْقُوتٌ عَلَى كِرَاسِي زَبَرْجَدٍ أَخْضَرٍ بَوْسَطُهُ شَدَرٌ مِنْ ذَهَبٍ
صَفَرٍ»⁽¹²⁰⁾.

وهو أيضاً السَّاقِي يَسْقِينَا الْخَمْرَ الْحَمْرَاءَ فِي كَأْسٍ لَامِعَةٍ، وهو المحبوب النازك
بِنَسَمِهِ وهو محبوب كما قال أبو العلاء صاعد الأندلسي⁽¹²¹⁾ في باكورة الْوَرْدِ:

وَذُوْنُكَ يَا سَيِّدِي وَرْدَةٌ يُذَكِّرُكَ الْمَسْنُوكُ أَنْفَاسَهَا
كَعَذْرَاءٍ أَبْصَرَهَا مُبْصِرٌ فَعَطَّتْ بِأَكْمَامِهَا رَأْسَهَا⁽¹²²⁾

وقد يُشَبِّهه شاعر تركي أيضاً بالعروس المغطاة⁽¹²³⁾ بحجاب أحمر؛ ولكن الورد
هو أيضاً الملك الجليل راكبٌ فَرَسَهُ الزمردي كما حكى ابن عساكر⁽¹²⁴⁾ عن
حبيفة المتوكل⁽¹²⁵⁾ إنه:

«... قَدْ حَمَى الْوَرْدَ وَمَنَعَهُ مِنَ النَّاسِ كَمَا حَمَى الثُّعْمَانُ بْنُ الْمَنْذَرِ⁽¹²⁶⁾
لَشَقِيقٍ وَاسْتَبَدَّ بِهِ وَقَالَ لَا يَصْلَحُ لِلْعَامَةِ، فَكَانَ لَا يُرَى إِلَّا فِي مَجْلِسِهِ وَكَانَ
يَقُولُ: أَنَا مَلِكُ السُّلَاطِينِ وَالْوَرْدُ مَلِكُ الرِّيَاحِينَ وَكُلُّ مَنَّا أَوَّلَى بِصَاحِبِهِ.

كُلُّ الرِّيَاحِينَ جُنْدٌ وَهُوَ الْأَمِيرُ الْأَجَلُ⁽¹²⁷⁾

وكتب في ذلك العماد الأصفهاني⁽¹²⁸⁾:

قَالَ لِي هَذِهِ الرِّيَاحِينَ جُنْدِي أَنَا سُلْطَانُهَا وَشَوْكِي سِلَاحِي⁽¹²⁹⁾

وكان الورد في نظر الشعراء القدماء بمقام نبي، أي عيسى بن مريم، لأن رائحته الحلوة الخفيفة تُحيي الأموات مثل نفخ المسيح⁽¹³⁰⁾. والورد أيضاً عند الشعراء المسلمين [يعدّ] في كل منطقة كتاب الحكمة الإلهية لا يقرأه حقّ قراءته إلاّ العنديل المشعّف. وقال ابن المعتز في شبه النرجس بالعَيْن، والورد بالحدود:

أَتَاكَ الْوَرْدُ مَحْبُوباً مَصُوناً، كَمَعَشُوقٍ تَكَنَّفَهُ الصَّدُودُ
كَأَنَّ بَوَاجِهَهُ، لَمَّا تَوَافَتْ نَجُومٌ فِي مَطَالِعِهَا سُعُودُ
بَيَاضٌ فِي جَوَانِبِهِ أَهْرَارٌ، كَمَا أَهْرَتْ مِنْ الْحَجَلِ الْخُدُودُ⁽¹³¹⁾

واقبس آخر هذا الدليل وقال في الورد الأسود وهو مشهور في العصور الوسطى لندرته:

لِلَّهِ أَسْوَدُ وَرْدٍ ظِلٌّ يَلْحَظُنَا مِنْ الرِّيَاضِ بِأَحْدَاقِ الْيَعَافِرِ
كَأَنَّهَا وَجَنَاتُ الزَّيْتُونِ نَقَطُهَا كَفُّ الْإِمَامِ بِأَصْنَافِ الدَّنَائِرِ⁽¹³²⁾

وقد انتهى شاعر مسلم في بلاد السند في المبالغة إذ قال يستعمل الكناية ورد - خد:

قَدْ مُلِئَتِ الْمِرَاةُ مِنْ صُورَةِ⁽¹³³⁾ خَدِّكَ وَرَدًا
حَتَّى أَنَّ الْبَبْغَا الَّذِي يَنْظُرُ فِيهَا يَصِيرُ فِي الْحَالِ عَنْدَلِيًّا.
ومن الطرف الآخر، رأى فيه بعض الشعراء أثراً من الدّم ومن الجرح والبلاء كما وصفه ابن الرّقاق:

سَتَرَ الْوَرْدُ بِالْغَدِيرِ وَقَدْ دَرَجَهُ بِالْهَبُوبِ مَرَّ الرِّيَاحِ
مِثْلَ دِرْعِ الْكَمِيِّ مَزَقَهَا الطَّعْنُ فَسَالَتْ بِهِ دِمَاءُ الْجِرَاحِ⁽¹³⁴⁾

و كثيرٌ ما شكوا [الشعراء] من زوال الورد، فإنه وإن يكون حديث الجوى في
 سحر لا يبقى منه أثر في المساء. والناس يشبهون عدم دوام الورد بقلة بقاء الورد
 كما قال دلف (135):

هـى حُبكم كالورد ليس بدائم ولا خير في من لا يدوم له عهدُ
 وردني لكم كالآس حسناً ونصرة له زهرة تبقى إذا فنى الوردُ (136)

وأصبح الورد لذلك في الشعر الفارسي كناية عن عدم وفاء الحياة الدنيوية،
 كما أن أحد الأدباء قد فهم سرّ هذا الفناء لما قال:

حَفَ الملال إذ طالَت إقامته فَظَلَّ يظهر أحياناً ويَحْتَجِبُ (137)

وقد فاق الورد على الزهر كما فاق الثريا عن الثرى، والله درّ من سماء إنعاماً
 ديباً وما أحق الشاعر الفارسي الكسائي (138) وهو من الشعراء القدماء في إيران
 أن يقول:

كل نعمتي است هديه فرستاده از بهشت

مردم کریمتر شوند اندر نعيم كل

اي كل فروش كل جه فروشي براي سيم

وز كل عزيز تر جه ستاني بسيم كل (139)

وترجع فكرة أن للورد أصل غير دنيوي إلى حديثين مرفوعين (140) وهما:

«لما أُسْرِى بي إلى السماء سَقَطَ إلى الأرض من عَرَقِي، فَنَبَتَ منه الوردُ،

فمن أحب أن يشم رائحتي، فليشم الوردُ»،

«الورد الأبيض خلق من عَرَقِي ليلة المعراج وخلق الورد الأحمر من عَرَقِ

جبريل وخلق الورد الأصفر من عَرَقِ البراق». (141)

وأما أدب إيران، فسمّاه بعض الأدباء الغربيين «أدب كلّ وبُلْبُل» (142) يعني

دساً يلعب فيه عشق العنديل الحزين للورد الجميل الظالم دوراً عظيماً،

وكانت حكاية العنديل مع الورد مشهورة مثل حكاية ليلي والمجنون أو فرهاد

وشيرين⁽¹⁴³⁾؛ وهي حكاية عشق الروح الإنسانية وشوقها إلى الجمال المطلق الإلهي، لأن الورد هو في التصوف القلم وحتى في بعض الأحاديث النبوية رمز للحضور الإلهي.

وقد نقل روزبهان البقلي⁽¹⁴⁴⁾ الصوفي حديثاً شريفاً يقول: «كلما رأى الرسول صلى الله عليه وسلم ورّداً قبله ووضعه على عينيه»⁽¹⁴⁵⁾.

وقد شاهد هذا الصوفي الإيراني الكبير تجلّي الحضور الإلهي في شكل سحاب من الورد الأبيض والأحمر، لامع شاسع، كنور ورّدة مُشعّعة وكورد أحمر عظيم. وفي الحقيقة أصبح الورد أحسن عبارة عن جمال الله وجلاله عند المتصوفين، لأن فيه لطافة ورائحة موحية مع الأشواك القاتلة.

وأما حكاية العنديل مع الورد، فهي حكاية الإنسان الذي يحب الحُسن المطلق الذي يتليه بأنواع البلايا في طريق الشوق إلى أن يموت ويصل إلى محبوبه الذي وصّاله محال للعاشق ما دام حياً. وأحسن الشاعر (ويقال إنه السلطان أكبر الهندستاني) الذي أفاد من هذا السر بالبيت التالي:

شبنم مكو كه بر ورق كل افاده آست كان قطرها زديده بلبل افاده آست⁽¹⁴⁶⁾

وقد أشار ابن المعتز لهذا الطرف الجلاي في بيت له:

فلو رآه حبيس فوق صومعة، لقال: في مثل هذا فادخلوا الناراً⁽¹⁴⁷⁾

وقد آمن شعراء العرب والعجم من المتصوفين بأن كل وردة فيها عطر من الجنة، من «بستان الوصال» كما قال مولانا جلال الدين الرومي⁽¹⁴⁸⁾ الشاعر الأكبر والأفصح في وصف حُسن البساتين على العموم وجمال الورد على الخصوص. ووصفه [بأنه] «شمس مركّبة من أقمار» تصفّر في حُضوره كل زهرة في الحديقة مثلما تفتي الأفكار في حضرة المعشوق.

ونشهد في غزليات جلال الدين الرومي وتلامذته من الشعراء الإيرانيين والأتراك خاصية أخرى وهي نتيجة للتطور الأدبي الصوفي، فإن رأى الشعراء في المرحلة⁽¹⁴⁹⁾ الأولى [في] البستان والأزهار رمزاً للمحسوب ورأوا عينه في النرجس

بحسب: في النورد وجسمه الظريف المليح في السرو وثوبه الحرير في أوراق الشقائق،
فقد نهض المتصوفة في البستان انعكاس للجمال المطلق كما قال مولانا الرومي:

در باغ هزار شاهد مه رو بود كلها وبنفشها مُشكين بو بود
وآب زره اندر جو بود آن جمله بهانه بود آن خود أو بود⁽¹⁵⁰⁾

ما الشعراء من غير المتصوفين، فقد استحسنوا هذا الأسلوب وأخذوا
بستعملون أزهار الحديقة كناية لمحبيهم؛ وإن شَبَّهوا قبل ذلك الورْد بالحدود،
وإن أصبحت الحدود عندهم ورْد والعُيون تُرْجس، وصارت المحبوبة كلها بُستاناً
خضياً نظيفاً متحرّكاً، وأما البستان الطبيعي، فهو يستعير ألوانه وأشكاله من حُسن
معنوفة كما قال حافظ الشيرازي في غزل له:

قَدْ سَرَقَ الْبَتْفَسَجَ رائحته من مِسْكٍ شَعْرِكَ

وقد أَخَذَ السَّرُّ ظرافة الحركة من لُطافة مشيكِ

وقد وصَّى الصَّبَا للياسمين أن يقلّد ابتساماتك

أنت بُستان أمنيائي⁽¹⁵¹⁾، مزهرة من الرأس إلى أخمص القدم

وأَحَسَّن شعراء إيران في هذا النوع من البَيان وبلغوا نهاية البلاغة فيه، ونادراً
ما ستعمل شاعر فارسي أو تركي في العصر⁽¹⁵²⁾ الكلاسيكي هذا الطراز، ويعرف
كل من استأنس بالأدب الأعجمي أهمية هذه الرموز اللطيفة.

وزد على هذه الأزهار التي مضى ذكرها محبة العجم لزهرة أخرى ازدادت
أهميتها وكبر دورها بعد انقضاء القرون الوسطى في إيران وفي الدولة العثمانية،
وهي زهرة السُّوسَن المعمم أو المدعوة حنون الغزال، واسمها بالفارسية والتركية هو
لَاكِه⁽¹⁵³⁾. ونجد وصفها في كثير من الأشعار، وصوَّروها في شكل قَدَح أحمر أو
صُفر فيه شراب، أو شَبَّهوها بشعلة تلتهب بها المروج، أو أخذوها مثلاً للمنافق
لأسود القلب. وقد رأى محمد إقبال⁽¹⁵⁴⁾ الشاعر الباكستاني فيها القوة الناشئة التي
تُروم تحقيق إمكانيات الحياة في نفسها حتى تصبح شعلة العشق الأزلي الأبدي.

أما الأتراك، فقد اعتنوا بغرس هذه الزهور الجميلة واستخرجوا منها أشكالاً
غريبة وألواناً عجيبة نشاهدتها في الكتب القديمة المصورة حتى أن قيمة بَصلة واحدة

منها بلغت آلافاً من الدنانير. ولم يكتفوا بتربية هذه الأزهار في بساتين قصورهم في استانبول⁽¹⁵⁵⁾، فحسب بل زَيَّنوا حيطان جوامعهم وبيوتهم برسوم السُّوسن المعمَّم؛ وقد أفهمتني صديقة تركية لي في مدينة أدرنة⁽¹⁵⁶⁾ المشهورة بمدارسها وجوامعها الكثيرة الزَّينة سبب هذه العادة وقالت إن كلمة «لَّاله» عكسها بالحروف العربية كلمة «هلال» وهو عَلَمُ الإسلام، وإن كلمة «الله» مركبة من عَيْنِ الحروف، فإذا «لَّاله» [هي] الإفادة الكاملة للحقيقة الإسلامية⁽¹⁵⁷⁾.

ويقودنا البحث الآن إلى موضوع آخر وهو متعلِّق بالفنون الجميلة في البلدان الإسلامية.

إن الشعراء والأدباء بَدَّلوا جهدهم في أن يخلِّدوا جمال الأزهار بواسطة أبياتهم، ويؤبِّدوا حُسْنَ البساتين في أشعارهم، وسموا كتبهم «كُلسْتَان» أو «كُلْشَن» [أي] (بستان الورد) أو «بُوسْتَان» أو «الشقائق النعمانية» أو مثل ذلك وزَيَّنوا الأدب الإسلامي بأحلى عِطَر وأبهى لون.

أما الرِّسَّامون والجُوهريون والخطَّاطون وسواهم⁽¹⁵⁸⁾ من أهل الصَّنعة والفن، قَطَفُوا أزهاراً من الجَنَّة العُليا ووضعوها على جُدران الجوامع والمقابر السُّلطانية، ونَسَجَهَا النَّسَّاجون في قماشهم النفيس، وركَّبَهَا الخطَّاطون بالحروف العربية حتى أوجدوا الخط المسمى بالكوفي المزهر⁽¹⁵⁹⁾، أو وضعوا خط النسخ⁽¹⁶⁰⁾ في بعض الأماكن على نوع من المربَّعات ذات الأزهار والأوراق.

ومن رسوم الزهر والنبات الطبيعية في الصَّنعة الإسلامية تطوَّر ما يسمى [ب] الأرابيسك⁽¹⁶¹⁾، وهو جنس من التَّزيينات التي تنبت فيها ورقة من ورقة وزهرة من زهرة على نظام غير طبيعي، وفي حين أن الشَّعر الفارسي بوصفه للبساتين وصفاً خيالياً رمزياً يتيح لنا التَّمتع بجمال أبهى من جمال البستان الدنيوي، فإن الأرابيسك يجلب نظر الناظر إلى بستان المعرفة المجرَّد، فتتنصرف عَيْنه عن الشكل الطبيعي وتقرَّب من أصل هذه الأشكال ومن خالقها، خالق الأزهار والبساتين والجَنَّة⁽¹⁶²⁾.

ونجد هذا النوع من التَّزيينات في القاليات الفارسية والتركية ومن الطبيعي أن رؤساء الدولة في بلدان قَلَّت زراعتها وعسر فَلَاح أرضها أوجدوا لأنفسهم بساتين اصطناعية وهي القاليات، ولا مسوِّغ للشك أن القاليات الإيرانية أحسن ما يوجد

وفيها الأزهار اللامعة والكؤوس المملوءة بالأزهار في ألوان قوس قزح،
بعضها أيضاً قاليات فيها رسومات من حداث حقيية تجري فيها المياه، فتتحير
عند ذلك لاحتظ ظرافتها، فتتساءل أهي أزهار حقيية أو صناعية، أهذا قالي أم
سـ...؟ وكثيراً ما كان البستان الصناعي الملع لوناً وأملح شكلاً من نموذج
تجبي.

وما بخصوص النساجين، فتأمل الحرير المخمل الإيراني والتركي والهندي
الذي فيه الورد المذهب والأشجار المفضضة⁽¹⁶⁴⁾. وإن وقعت عينك
على نسيبة العثمانية المنسوجة من الحرير الثقيل الموشاة بالأزهار الكبيرة تفهم بيت
عص الشعراء الأتراك الذي يعبر فيه عن خوفه من أن يجرح ظل أشواك الورد
سوحة في الثوب الحرير جسم معشوقه اللطيف.

وما كانت صنعة التزيين بأزهار أو بساتين خيالية مقتصرة على الطبقة العليا
وعلى محيط الأغنياء في بلاد الإسلام، بل كان حب الأزهار منتشر في ما بين غني
وفقر، فإن لبس الأمير أو الأميرة ثوباً مزهراً من ابريشم صيني وشئت⁽¹⁶⁵⁾ النساء
منفريات زهراً على ثيابهن وزين الأغطية في بيوتهن بالأزهار المنقوشة قدر
صناعتهم.

وفي الأناضول⁽¹⁶⁶⁾ نجد صنعة اختصت بها هذه البلاد وهي ما يسمى في اللغة
تركية «اوييا»⁽¹⁶⁷⁾ وذلك أن تأخذ المرأة التركية خيطاً دقيقاً جداً من الحرير من
ألوان مختلفة بحسب الأزهار التي تريد خياطتها بصنارة دقيقة، وتجعل منها شريطاً
صويلاً تزين به بشنوقها. وهذا الاوييا صغير جداً وحجم كل زهرة في الشريط بقدر
سنة على الأكثر، وترى فيه من الورد والفلفل الأحمر بأزهاره وثمره واللبلب⁽¹⁶⁸⁾
والبنفسج وما خلق الله من الأزهار، تحفظها يد المرأة التركية الماهرة في شريط حرير
لا تغني زهورها إذا تهبّ الريح الشديدة في برد الشتاء في الأناضول.

وقد سبق ذكر القاشانيات التي زين بها أرباب الصناعة المسلمين حيطان
مساجدهم وجوامعهم وقصورهم وقبورهم، فهناك المثال الأمثل للصناعة التي خلقت
بساتين غير فانية كما تُشاهد في تركيا وإيران وباكستان وهندستان، وقد انمحت
تار البساتين الأصلية وبقيت الأبواب والأبراج اللامعة بالقاشانيات؛ وتجد في جدار

جامع أحسن ما يكون من الزنبق الأبيض والأزرق، تحيطها [أشجار] السرو الخضراء المظلمة؛ واختلفت أنواع الأزهار وألوانها، فمثلاً في جنوب باكستان الغربي أي في السند وملتان كانت الأزهار زرقاء، فكل ما ترى هو في لون السماء من أزرق خفيف مائي إلى اللازورد المظلم، وأما الأشجار في هذه القاشانيات، فتشبه ظل الأشجار والأزهار إذا وقعت على صحراء بيضاء في وقت الغروب.

وأما في البنجاب⁽¹⁶⁹⁾، فحافظت الأشجار والأزهار على ألوانها الطبيعية من أخضر وأصفر وأزرق ولا تجد الأحمر إلا في القرن الثامن عشر. وفي مدينة شيراز⁽¹⁷⁰⁾ في فارس ترى حائط «جامع وكيلى»⁽¹⁷¹⁾ ممتلئاً بالورد الأحمر الفاتح وهذا اللون لا يوجد إلا بعد القرن الثامن عشر؛ وأما في تركيا، فقد أبدع أساتذة التزيين في هذا المضمار، فجعلوا الجوامع بساتين صناعية منذ القرن السادس عشر وغرسوا على قاشانياتها الشجيرات الزرقاء بأزهار حمراء، وتحصى في حيطان جامع واحد وهو جامع رستم باشا⁽¹⁷²⁾ زوج ابنة السلطان سليمان القانوني⁽¹⁷³⁾ ثلاثة وخمسين نوعاً من السوسن المعمم كلها بالألوان الزرقاء والبيضاء أضيف في بعضها شيء من الأحمر. ومثل ذلك موجود في كثير من المعابد المنشئة في بلدان الدولة العثمانية.

وعندما ينظر المؤمن إلى هذه الرسوم بعد الفراغ من صلاته يتذكر الجنات التي وعدّها الله الذين آمنوا. وما أسعد صاحب صنعة تُذكر الإنسان أن للمؤمنين عند ربهم جنات نعيم⁽¹⁷⁴⁾.

الهوامش والإحالات

- فصلت المؤلفة كلمة (جنية) أو (جنة) على كلمة (روضة) أو (حديقة)، لأنها أكثر الكلمات مسالفة ذكراً في القرآن الكريم. فقد ذكرت كلمة (روضة) مرة واحدة مفردة، في الآية 15 من سورة الروم. ومرة واحدة جمعاً، في الآية 22 من سورة الشورى. وذكرت كلمة (حديقة) ثلاث مرات فقط في صيغة الجمع: الآية 60 من سورة النحل، والآية 32 من سورة النبا، والآية 30 من سورة عبس. أما كلمة (جنة) فقد ذكرت 70 مرة مفردة، وثمان مرات مثناة، و69 مرة جمعاً.
- رُكَّه، رينر ماريا (1875-1926م): شاعر نمساوي - ألماني، يُعتبر أحد عمالقة الأدب الحديث. غلب على شعره التصوف والتجريد. قضى شطراً من حياته في باريس حيث توثقت صلاته بالنحات رُودان. أهم دواوينه: «سونيات إلى أورفيوس» عام 1923. توفي بتسمم في النم ناشئ عن وخزة شوكية.
2. المقصود القرن العشرين المنصرم.
3. بستان: كلمة فارسية مكونة من (بو) ومعناها الرائحة الذكية و(ستان) ومعناها مكان؛ وهي تدل على حديقة الأزهار ذات الرائحة العطرة. واستعارها الأتراك وأطلقوها على حديقة الخضر التي يزرع فيها البطيخ والشمام والبقل. أما في العربية، فتختلف معانيها باختلاف الأقاليم، فهي تدل في بيروت على قطعة من الأرض بها أشجار التوت ويحيط بها سياج، وتدل في الجزائر على أشجار السرو. (انظر: مجموعة مؤلفين. (ب.ت). دائرة المعارف الإسلامية. ج3. بيروت. دار الفكر. ص 626-627).
4. أي الدول الإسلامية.
5. يغلب على إيران الطبيعة الجبلية إذ يحدها من جميع جهاتها إلا الشرق جبال عالية ويخرج من سلاسل الجبال فروع تغشى سطح إيران بخطوط صخرية متشابكة، وقد أدت هذه الظروف الطبيعية الوعرة إلى غرس حب النبات لدى الفرس، بل أنه كان مقدساً لديهم منذ زمن بعيد، ففي كتاب الفرس (الأفستا- نور الخلود) يعتبر النبات والماء من المقدسات، وقد انعكس هذا العشق للنبات على التحف المعدنية التي ترجع إلى العصر الساساني، فنرى الفارس يمسك بفرع النبات تبركاً. وإن كانت الطبيعة الإيرانية، وكذلك المعتقدات القديمة قد أيقظت لدى الفرس حب النبات، فإن الدين الإسلامي وتصويره للجنة قد رسخ لديهم هذا الحب، فبلغ الاهتمام بالحدائق وتنسيقها مبلغاً فائقاً، حتى أنهم قد أطلقوا على حدائقهم المسورة اسم «جنة». ويرجع إلى الفرس الفضل في تلقين العالم الإسلامي بأسره فن إنشاء البساتين ذات المناظر الطبيعية الخلابة، والزرع الجميلة والشجيرات المشدبة، ويدل على أثر الفرس في فن البساتين بالعالم الإسلامي احتفاظ اللغة العربية بكثير من الكلمات الفارسية التي تتعلق بالحدائق مثل: بستان وفردوس. (انظر: البهنسي، صلاح أحمد. 1990. مناظر الطرب في التصوير الإيراني. ط1. القاهرة. مكتبة مدبولي. ص 117).
6. تقصد المؤلفة أبناء جلدتها من الألمان.
7. كلمة غير واضحة في النص الأصلي.

8. أبو عبد الله مُشرف بن مُصلح السعدي الشيرازي أو سَعدي الشيرازي (ت 691هـ/1292 م): أحد النجوم اللامعة في سماء الأدب الفارسي، فقد بلغ أعلى الدرجات في اللغة الفارسية، ونثره، ونظمه، يعدان أحسن مثال في السلاسة، والبلاغة. اضطره الغزو المغولي إلى التطواف في الأناضول وسوريا ومصر والعراق ليستقر آخر الأمر في مسقط رأسه شيراز. وللسعدي ديوان ضخم يُعرف بالكليات جمع بين دفتيه كل تراثه، ويضم ست رسائل نثرية. وله قصائد عربية وفارسية وغزليات، وأشعاراً تسمى الطيبات والخبيثات والبدائع والخواتيم، وقطعاً ومفردات، ونوعاً من الشعر يسمى الملمعات يتكون من أبيات وشطرات فارسية يتخللها أبيات وشطرات عربية. أول منظوماته الهامة، والمشهورة هي «بوستان» ويشتمل هذا الديوان على قصص شعري غاية في الإبداع، وهو في هذا الديوان شاعر، إنساني، ومعلم أخلاقي، وبعد سنة من إتمامه، ألف مصنفه الآخر «كلستان» وهو من أجود ما كتب في النثر الفارسي، وأسلوبه يطابق اسمه «روضة الورد/حديقة الورد»، ويحتوي القصص، والأمثلة، والحكم، والنصائح الأخلاقية، والاجتماعية، كل ذلك بعبارة لطيفة، مجردة عن الزوائد، والحشو. وكان تأثير سعدي في الناحيتين: الأدبية، والأخلاقية، بعيداً، وعميقاً، ليس في إيران وحدها فحسب، بل في العالم أجمع، وقد نقلت آثاره - نظماً، ونثراً - إلى جميع اللغات الحية. وقد احتفل رسمياً في إيران عام 1372هـ. الموافق سنة 1952م. بافتتاح بناء جديد فخم لضريح الشيخ كما احتفل بازاحة الستار عن تمثال من الرخام للسعدي بشيراز. والضريح بوضعه الحالي مقام في سفح جبل (بهندج) على مساحة قدرها سبعة آلاف وسبعمائة متر مربع، يشغل البناء الرئيسي منها 261 متراً مربعاً، وتشغل قاعة الاستقبال 141 متراً مربعاً، وأنشئ في بقية هذه المساحة حديقة وبستان، ويشتمل بناء الضريح على مكتبة تضم آثار الشاعر وبها مخطوطات قديمة لبعض آثاره.
9. حَافظ، شمس الدين محمد (ت 792هـ/1390م): شاعر فارسي. يلقَّب بلسان الغيب. يعتبر أشهر شعراء إيران الغنائيين بدون منازع. ينضج شعره بحب الإنسانية، وبازدراء للنفاق والسرّاء، وبتوق صوفي إلى الاتحاد بالذات العليا. وقد جمع بذوقه الصوفي اللطيف، بين تعاليم الفلسفة، وأبيات القرآن الكريم. يمتزج الواقع، في مسيرة حياته بالأسطورة. ولكن من الثابت أنه ولد في شيراز (ولذلك عُرف بـ "حافظ الشيرازي") وأنه سلخ معظم سني حياته فيها، وأنه نشأ في كنف الفاقة والعوز. وكان حافظ على نقب سعدي لم يغادر شيراز، إلا في سفره القصير إلى ميناء هرمز، ومرة إلى مدينة «يزد»، ثم أنفق حياته في شيراز، إذ حُببها إليه صفاؤها، وجمالها، وبهاء مصلاها، وشاطئ نهرها «ركن آباد» كما يردد ذلك في شعره. أما ديوان حافظ، ففيه، قصائد، وغزليات، وقطع، ومثنويات، ورباعيات. ولكنه مشهور بالغزل، فقد بلغ غزله الصوفي، ذروة الفصاحة والبلاغة في بساطة، ورقة، وكانت تتسع عباراته القصيرة، للمعاني الكبيرة، اللطيفة، وفضلاً عما له من الرونق والبساطة والإيجاز، فإن روحه الصافية كانت تتجلى في كل بيت من أبياته. وكان حافظ بعيداً عن الزينة الزائفة التي كان يتظاهر بها أهل الطرق والمذاهب. فقد وبَّح في أشعاره المرانين، والمشايخ، والزهاد، والمتصوفة. ترجمت آثاره إلى كثير من اللغات العالمية.
10. كلستان - Golestan؛ اسم مكوّن من كلمتين: الأولى (كل - Gol) أي الورد، والثانية (ستان - Stan) وهي اللاحقة التي تفيد معنى المكان. فيكون معناه «منبت الورد» أو «حديقة الورد» أو «روضة الورد» أو «جنة الورد». وهو أحد كتابي سَعدي الأشهر.

- ١- كتب حفيظ شيرازي.
- ٢- في: لأصغر: ١١٠.
- ٣- برهان: ١١-٥.
- ٤- سورة نوح: ٤.
- ٥- تبر: توبة إلى قوله تعالى: {في جنة عالية * قطوفها دانية}(سورة الحاقة: ٢٢ - ٢٣).
- ٦- هـ: هي منطقة باكستان وشمال الهند.
- ٧- تبر: توبة إلى قوله تعالى: {يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبمجامعهم ينشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك هو الفوز نصيب}(سورة الحديد: ١٢).
- ٨- سورة تغين: ١.
- ٩- في: لأصغر: «الدائم».
- ١٠- عن: النون المصري، أبو الفيض ثوبان بن إبراهيم (ت ٢٤٦هـ/٨٦٠م): محدث وشاعر صوفي مصري من أصل نوبي. نشأ في أحميم، وتوفي بالجيزة. قال عنه المستشرق: «تبرزي رينولد نيكلسون: «هو أحق الرجال الصوفية على الإطلاق أن ينسب إليه أنه وضع أسس التصوف». كان عالماً بعلوم الشريعة وعلوم الحقيقة، وعلوم الصنعة (كسبية)، يعد أول من تكلم في مصر بالأحوال ومقامات أهل الولاية وأول من عرف توحيد بالمعنى الصوفي. قيل في اسمه ذي النون لأنه امتحن في دينه مثل النبي يونس (ع)، وروي كثيراً لكونه أتى بعلم جديد هو علم التصوف. ولقبوه بأبي الفيض لأنه كانت له مراهب فيضية. وينفرد ذو النون بغرامة للطبيعة وله فيها مقالات كثيرة.
- ١١- نصر: الحفني، عبد المنعم. ٢٠٠٣. الموسوعة الصوفية. ط١. القاهرة. مكتبة مدبولي. ص ٢٢٣.
- ١٢- يونس إمرة/إيمريه Yunus Emre (ت حوالي ٨٤٣هـ/١٤٣٩م): شاعر ومتصوف عثماني. سخدم في أغلب أشعاره ألقاباً مثل: قول يونس، عاشق يونس، مسكين يونس، يونس إيمريه (يونس العاشق). يعتبر أقدم ممثلي الأدب التركي «العثماني». يكتنف الغموض حياته حيث يتعذر التمييز بين ما هو حقيقي، من أخباره، وما هو خرافي. وأكثر شعره يدور على محوري الحب الإلهي وقدر الإنسان ومصيره؛ وقد كان لهذا الشعر أثرٌ بعيد في المتصوفين الأتراك الذين تعاقبوا من بعده وفي شعراء النهضة الوطنية التركية بعد عام ١٩١٠.
- ١٣- ترجمتها: تتدفق أنهار الجنة منشدة.. الله الله.
- (أنظر: Emre·Yunus. 1989. The drop that became the sea. Boston&London. Shambhala. P72
- ١٤- وترجمة أخرى:

هـ هي أنهار الجنة تصب مُنادية يا الله
خرجت بلباب الإسلام مُغرّدة يا الله
تهتز أغصان أشجار الجنة قارئة القرآن
تفوح أزهار بساتين الجنة وتنتثر اسم الله.
انظر: المصدر السابق.

25. عملت المؤلفة في الفترة بين (1954-1959م) بالتدريس في (كلية الإلهيات) في أنقرة بتركيا؛ حيث قامت بتدريس علم مقارنة الأديان باللغة التركية.
26. مركز أفندي: لم أعر على ترجمته في كتب التراجم والتصوف.
27. خاتمه؛ جمع خواتم: لفظة فارسية معناها البيت. وهي بناء ديني أقيم على نظام الصحن المحاط بأواوين أربعة، بلا منذنة ولا منبر. يضم مسجداً لا تقام فيه صلاة الجمعة ويلحق به ضريح ومدرسة وسبيل تدرّس فيه العلوم الدينية كالحديث والشريعة والفقه والتفسير من وجهة نظر المذاهب السنية الأربعة.
28. في الأصل: «استقره».
29. المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (ت 346هـ/957م): مؤرخ وجغرافي عربي. ولد ببغداد وتوفي في الفسطاط بمصر. قام برحلات إلى الهند والشرق الأوسط وإفريقيا. يُعتبر أول كاتب عربي جمع بين التاريخ والجغرافيا العلمية في مصنف واحد هو كتابه الكبير «مروج الذهب ومعادن الجوهر». ومن آثاره أيضاً: «التنبيه والإشراف» و«أخبار الزمان ومن أباده الحدّان».
30. المقرئزي، تقى الدين أحمد بن علي (ت 845هـ/1441م): مؤرخ عربي مصري. ولد بالقاهرة وتوفي فيها. أشهر مصنفاته: «المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار» المعروف بـ «خطط المقرئزي» وهو مرجع أساسي لدراسة جغرافية مصر وتاريخها وآثارها.
31. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت 911هـ/1505م): عالم موسوعي مصري. لم يترك موضوعاً من موضوعات المعرفة إلا ألف فيه. وقد بلغ عدد مصنفاته قرابة ثلاثمائة على الأقل، من أشهرها «الإتقان في علوم القرآن»، و«حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة».
32. المُستكفي أو المستكفي بالله (ت 338هـ/949م): الخليفة العباسي الثاني والعشرون. كان مُستضعفاً يعوزُه العزم. دام حكمه سنة وأربعة شهور ليس غير. وفي أيامه دخل معز الدولة البويهسي بغداد، وسرعان ما خلعه عن العرش وألقى به في غيابة السجن، فبقي فيه إلى أن مات.
33. باطرنجني: قرية قرب القفص من نواحي بغداد. (الحموي، شهاب الدين ياقوت. 1955. معجم البلدان. ج 1. بيروت. دار صادر ودار بيروت. ص 324).
34. أبو نواس، الحسن بن هاني (ت 198هـ/814م): شاعر عربي عباسي. ولد بالأهواز ومات ببغداد. اتصل بخلفاء بني العباس، وبالخليفة الأمين بخاصة، ومدحهم وناداهم. دعا إلى استبدال وصف الحياة الحضرية بدلاً من البكاء على الأطلال ووصف الحياة البدوية.
35. قارن: ديوان أبي نواس الحسن بن هاني الحكمي. ط 1. م 3. تحقيق إيفالد فاغنز. بيروت. دار المدى. 2003. ص 415 - 416.
36. لم أعر على مصدر هذه الواقعة.
37. القاهرة أو القاهر بالله، محمد بن أحمد (ت 339هـ/950م): الخليفة العباسي التاسع عشر. خلعه الجند وسَمَلُوا عينيه وسجنوه ثم أطلقوا سراحه. ذكروا أنه كان أول خليفة سُمِّلَت عيناه.
38. لم أعر على نص الواقعة.

39. الأقحوان؛ ورد ربيعي صيفي يعيش حتى أواخر الصيف. وله ألوان عديدة منها الأبيض والأصفر والبرتقالي وهو أشهرها. وله ساق قصيرة وزهرته منورة تبعث على السكينة والهدوء وتدعو للتأمل والفرح. وهو ورد الزينة المنزلية الثمينة وورد الباقات. له منزلة لا بأس بها بين الناس وذلك لعطائه الغزير إذ ينبت بكثرة ووفرة. تعامل الإنسان معه وأدخله في يومياته، فكان بارزاً في الحياة الاجتماعية وذلك لجماليته المفرطة بالعذوبة والندوة.

40. الياسمين؛ ورد يفتح في أوائل الربيع ولا يوجد في البراري. بل يزرع في الحدائق والبساتين والأحواض والمساكن. وله أنواع عدة منها: الياسمين الأبيض والياسمين الأصفر والياسمين الأبيض البلدي. وهو أشكال وأحجام عدة. وله رائحة عبقية عدا الأصفر إذ أنه لا رائحة له مطلقاً. ولبعض أنواعه أزهار متداخلة الألوان إذ يمتزج البني مع الأبيض مع بعض النقاط السود. ومنها نوع شجري يطول ويكبر حتى يصل إلى ارتفاع لا بأس به وهو في كل مسمياته يُستعمل للزينة والأناقة والعطور. الياسمين تماشى مع الإنسان وتداخل في صميم حياته، فدفعه إلى السير معه وأغنى مسيرته واستفاد منه ليكمل صورة ما أو ليخلد رمزاً في وجدانه الجمعي وليعينه أحياناً في سبر أغوار حالة تمر عليه. وهو ورد الحب والجمال وورد التأمل والرفقة يهدي في المناسبات الفرحة إن في لقاء أو جلسة حب أو في بهجة خاصة.

41. الصنوبري، أحمد بن محمد الضبي الحلبي (ت 334هـ/946م): شاعر غلب على شعره وصف الرياض والأزهار. دعي بالصنوبري نسبة إلى جده الذي كان صاحب "دار للحكمة" من دور المأمون، فجرت محاوره تفوق فيها الجد، فقال له المأمون: إنك صنوبري الشكل، يعني الذكاء وحدة المزاج، والصنوبري من شعراء سيف الدولة الحمداني.

42. مطلع قصيدة الصنوبري وهو:

يا ريم قومي اليوم ويحك فانظري ما للرأي قد أظهرت إعجابها

كانت محاسن وجهها محبوبة فالآن قد كشف الربيع حجابها

قارن: الضبي، أحمد محمد بن الحسن. 1998. ديوان الصنوبري. تحقيق: إحسان عباس. ط1. بيروت. دار صادر. ص 389-390.

43. في الأصل: «أرسلت».

44. المقصود هو جامع التواريخ المسمى بكتاب «شوار المحاضرة وأخبار المذاكرة» للقاضي أبو علي المحسن بن أبي القاسم التنوخي (ت 384هـ/994م).

45. قارن: تيمور باشا، أحمد. 1961. الموسوعة التيمورية: من كنوز العرب في اللغة والفن والأدب. ط1. القاهرة. لجنة نشر المؤلفات التيمورية. ص 96.

46. المرجع السابق.

47. في الأصل: «سياح».

48. تيمور باشا، أحمد. الموسوعة التيمورية. مرجع سابق. ص 97.

49. في الأصل: «على».

50. في الأصل: «اختصت».

51. خمارويه بن أحمد بن طولون، أبو الجيش (ت 282هـ/895م): السلطان الثاني في الدولة الطولونية بمصر. ولد بسمراء، ونشأ في مصر. كان ميالاً للسلم، ولهذا كادت الشام تضيق

- منه في أوائل عهده ويأخذها منه الخليفة العباسي. توطدت علاقته مع الخليفة المعتضد بن الموفق بعد أن تزوج الخليفة العباسي قطر الندى ابنة خمارويه.
52. الْمُعْتَمَدُ أو المعتَمد على الله (ت 279هـ/892م): الخليفة العباسي الخامس عشر. اضطرب أمر الدولة في مستهل عهده بسبب من غلبة الموالى عليها وتَحَكُّمهم في شؤونها. فلم يكن من أخيه الموفق (وكان ولياً لعهد) إلا أن استبدَّ بالحكم مقلصاً سلطة المعتمد إلى أبعد حد، ومعيداً إلى الدولة ما افتقدته من استقرار.
53. الْمُعْتَضِدُ أو المعتضد بالله (ت 289هـ/902م): الخليفة العباسي السادس عشر. أقام العدل، وأصلح النظام المالي، وأعاد تنظيم الإدارة، وقرب أهل العلم والدين، مما حمل بعض قدامى المؤرخين على القول: «قامت الدولة بأبي العباس وجَدَّدَت بأبي العباس» يقصدون السَّقَّاح والمعتضد.
54. الإردَب: مكيال يسع أربعة وعشرين صاعاً، أو ست وبيات.
55. قارن: المقرئ، أحمد بن علي. 1270هـ. خطط المقرئ. ج2. القاهرة. دار التحرير للطبع والنشر (عن طبعة بولاق). ص 269.
56. قَانِصُوهُ الغوري (ت 922هـ/1516م): سلطان المماليك البرجيين. جركسي الأصل. يُعرف بـ «الملك الأشرف». قاتله السلطان سليم الأول في «مرج دابق» قرب حلب، فانهزم عسكر الغوري ومات قانصوه قهراً، فيما ذُكر له ديوان شعر.
57. ابن إياس، محمد بن أحمد (ت 930هـ/1524م): مؤرخ عربي مصري. يُعتبر مؤرِّخ عصر المماليك. أهم آثاره: كتاب «بدائع الزهور في وقائع الدهور» الذي يُعرف عادة بـ «تاريخ ابن إياس»، و«عقود الجمان في وقائع الأزمان»، و«شوق الأزهار في عجائب الأقطار».
58. في الأصل: «يجلس على».
59. في الأصل: «مسموعة».
60. الهَزَار: طائر حسن الصوت. وهو اسم فارسي معرب.
61. الفَاخِشَةُ: ضرب من الحمام المطوق إذا مشى توسَّع في مشيته وباعدَ بين جناحيه وإبطيه وتمایل. جمعه فواخت.
62. قارن: الحنفي، محمد بن أحمد بن إياس. 1960. بدائع الزهور في وقائع الدهور. ط2. جزء 4. تحقيق: محمد مصطفى. القاهرة. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر. ص 172.
63. بابر (بابير، بَبْر) (1483-1530م): هو لَقَّبَ ظهير الدين محمد، مؤسس الأسرة المغولية في الهند. ينحدر نسبه من تيمورلنك (عن طريق أبيه) وجهانكيز خان (عن طريق أمه). كان منذ 1497 أميراً على سمرقند (إمارة فرغانه). استولى سنة 1504 على كابل، ثم زحف من هناك على الهند، بعدما استعداه بعض أمراءها على حاكمهم. فتَحَ قندهار عام 1522، ثم احتل مدينتي دلهي وآكرا عام 1526 وأنشأ الإمبراطورية المغولية في الهند. عُرف بإجادته الشعر والنثر، وقد ترجمت مذكراته إلى الإنجليزية 1921-1922.
64. أولسى الحدائق التي بناها بابر كانت (رام باغ) على ضفاف نهر جامونا. وهي من أقدم الحدائق في الهند التي لا تزال موجودة إلى يومنا هذا وقد اشتق اسمها من لغة الماراتا. يقول بابر في مذكراته «بابر ناما» متحدثاً عن حديقته: «بعد قدومي إلى أغرا بوقت قصير، مررت بنهر جامونا واخترت بقعة مناسبة لتكون حديقة. كان المكان بأكمله قبيحاً ومقرفاً، لدرجة أنني

لم أجد بجانب النهر كله منطقة أفضل منها في أغرا. كنت مضطراً لاختيار هذه المنطقة والعمل على الحصول على أفضل ما يمكن منها. بدأت بحفر بئر ضخم ثم شرعت ببناء خزان كبير للمياه قبل إحاطة المنطقة بسور وبناء قاعة ضخمة للمتفرجين أمام القصر الحجري. بعدها أنهيت بناء أجنحة السكن الخاصة ثم الحمامات وبعدها الحدائق التي كانت تتصف بقدر كبير من النمطية. في كل ركن منها زرعت مساكب مناسبة له ووروداً في أحواض متناظرة مع بعضها. والهنود الذين لم يسبق لهم أن رأوا شيئاً مثل هذا أطلقوا اسم كابل على الجانب الذي بنيت فيه القصور». هذا الوصف المطول لتصميم الحديقة في أغرا يوضح الأسلوب الذي ادخله بابر على حدائقهم.

65. أكرأ أو أغرا - Agra.

66. منذ أقدم العصور كانت الأزهار والنباتات والأشجار تحظى بالإعجاب والرعاية الكبيرين في الهند. ويتضمن الأديان السنسكريتي والبوذي إشارات كثيرة للحدائق. غير أن أول الأعمال الموثقة عن فنون الحدائق لم تظهر في الهند إلا في العهد الإسلامي، حيث أحضر الحكام المسلمون تقنيات زراعتها من وسط آسيا وفارس لتصبح بعد ذلك فناً أصيلة في البلاد. ثم تطورت باستخدام الأساليب المبتكرة وبلغت أوج تقدمها في حدائق كشمير التي بناها الإمبراطور المغولي جهانجير وزوجته الإمبراطورة نور جيهان. تذكر المراجع التاريخية أن البلاط المغولي طراً قد انتقل في رحلته الموسمية هذه ما لا يقل عن ثلاث عشرة مرة إلى كشمير تلك العاصمة الصيفية عابراً المعابر الجبلية المغطاة بالثلوج في بير بانجال على الفيلة وهو ما كان مغامرة محفوفة بالمخاطر في ذلك الزمان. وكان وجهاء البلاط الآخرون يعتزلون في حدائقهم الخاصة في التلال المجاورة هرباً من حرارة الصيف الخانقة في المدينة.

67. من بين حدائق المغول، تبرز حدائق «شاليمار» التي توصف بأنها خلاصة إبداع الأباطرة المغول، بممراتها الجميلة والأجنحة الرخامية والخزانات وغيرها، وقد عاشت المشغولات المستخدمة فيها الورق الملوك على أسقف الجناح الرئيسي للحديقة لما يقرب من 400 عام. تقع حدائق شاليمار على الجانب الأقصى من بحيرة دال وقد سميت على اسم قرية تجاورها. وكان الإمبراطور جهانجير قد وضع مخططها عام 1619. وتتخلل الحديقة سواقي الماء وتطل مرآتها أشجار التشينار الضخمة وكانت مقر إقامة صيفي لأباطرة المغول، والحديقة موزعة على أجزاء ثلاثة: حديقة خارجية وحديقة وسطى للإمبراطور حصراً وثالثة للإمبراطورة ورفيقاتها. تنتهي الخارجية منها عند "ديوان عام". وفيها عرش رخامي أسود صغير لا يزال يشرف على شلال مياه. وكانت الحديقة تشرع أبوابها أمام العامة مراراً لتمكينهم من رؤية الإمبراطور المتربع على عرشه في قاعة للمتفرجين من الرعية. أما الحديقة الثانية، ففيها "ديوان خاص" وهي مقصورة على الخاصة من الحضور في وسط الحديقة. وتضم الثالثة فناءً من الرخام الأسود بنته نور جيهان للنسوة. وتعد حدائق شاليمار مكاناً محبباً لقضاء شهر العسل بالنسبة للهنود قبل اندلاع الحرب الأهلية عام 1980.

68. في الأصل: «جنر».

69. القاشانيات: من أنواع الخزف النقي. يُنسب إلى مدينة قاشان الفارسية.

70. في الأصل: «عكوس».

71. حين زار الفنان والكاتب والشاعر البريطاني إدوارد لير (1812-1888) «تاج محل» لأول مرة، صاح من فرط الدهشة والانبهار بهذا المعلم التاريخي الفني الرائع «من الآن فصاعداً يجب أن ينقسم سكان الأرض إلى فئتين، أولئك الذين شاهدوا تاج محل، وأولئك الذين لم يشاهدوه». وتاج محل هو التحفة التاريخية وأحد أجمل مباني العالم، حيث كان أمر بنيائه الإمبراطور المغولي المسلم شاه جهان تخليداً لذكرى زوجته وليكون البناية مقبرة لها. ويشار إلى أن الإمبراطور شاه جهان أمر ببناء تاج محل خلال 18 سنة من العمل المتواصل (1631-1648م). وتقول إحدى أشهر الأساطير التي ظلت دارجة للقرون الثلاثة الماضية أن بناء هذا الصرح التاريخي في بلدة أغرا شمال نيودلهي عاصمة الهند (حالياً) أن الإمبراطور شاه جهان عقد العزم على الحؤول من دون أن ينسخ أي ملك آخر عمله الفني البديع، وبالتالي قام بتقطيع أيدي بعض الحرفيين الذين وضعوا مخطط تاج محل وساهموا في عمارته. ومن غريب مخالقات القدر، أن السلطان المغولي لم يهنأ بالعرش والصلولجان والسطوة والسلطة حتى يرى إنجازاته التاريخي الذي أمر ببنيائه وهو على كنف السلطة، إذ خلعه ابنه عن العرش وأودعه السجن على بعد بضعة كيلومترات عن القصر الملكي المسمى «الأحمر القوي» الذي كان يراقب منه تاج محل مستخدماً امرأة صغيرة معلقة على الشرفة. ويقع تاج محل في منطقة تغص بآثار المغول من قصور وقلاع في مدينتي أغرا وفتحبور سيكري اللتين ظلنا عاصمة المغول لسنوات طويلة قبل أن ينقلوا حاضرتهم إلى دلهي، وكان الإنجليز قد أرادوا نقل تاج محل بعد تجزئته إلى قطع إلى إنجلترا ليعيدوا تركيبه مرة أخرى هناك إلا أنهم أقلعوا عن الفكرة حين أشار عليهم الخبراء أن إعادة التركيب قد لا تتحقق وبالتالي سيضيع تاج محل نهائياً.

72. ممتاز محل (1594-1631م): هي حفيدة اعتماد الدولة ميرزا غياث بيك (والد الإمبراطورة نور جيهان)، رئيس وزراء الإمبراطور المغولي الرابع جهانكير، وابنة خواجه أبو الحسن الذي كان يعرف في بلاط جهانكير بلقب يامن الدولة آصف خان- رجل ذو طلعة مهيبة ويحظى باحترام كبير. هكذا كانت نشأة (أرجُمون بانو بيغوم)، التي عرفت لاحقاً باسم ممتاز محل، ابنة عائلة من أشراف القوم. ولدت ممتاز عام 1594. ولما كانت تتحلى به من جمال أملت عائلتها أن يكتب لها المجد مثل عمته نور جيهان وأن تحوز على مكانة رفيعة في بلاط إمبراطور الهند.

73. شاه جهان (1592-1666م): إمبراطور مغولي من أباطرة الهند. ابن الإمبراطور جهانكير. بنى "تاج محل" وعدداً من مساجد أكرا ودلهي. اعتلّت صحته عام 1657، فنشب الصراع على خلافته بين أولاده الأربعة. وفي غمرة هذا الصراع احتجزه واحد من أولاده هؤلاء في إحدى القلاع عام 1658 حتى وفاته.

74. جهانغير أو جهانكير أو جهانجير (1569-1627م): رابع أباطرة الأسرة المغولية في الهند. ابن الإمبراطور أكبر. كان سكيراً، مدمناً الأفيون، ولكنه تمتّع بحسّ جماليّ مُرهّف، فشجّع فنّ الرسم تشجيعاً كبيراً. وقد عُرف أيضاً برعايته للثقافة الفارسية في الهند المغولية.

75. باغ (فارسية): بستان أو حديقة.

76. مرافق ودليل الدكتور شيمل في إحدى رحلاتها إلى تلك المنطقة.

77. زيب النساء الهندية (ت 1701م): هي زيب النساء بيكم (أي خاتون = سيدة) ابنة الشاه محيي

الدين أورك زيب عالمكير الهندي، من الملوك وسلالة التيمورية. وأما كانت دلس بنت شاهنواز خان الصفوي. كانت حافظة لكتاب الله مفسرة له واسم تفسيرها (زيب التفاسير). كما كانت عالمة أدبية ولم تتزوج حتى ماتت وكانت تشاعر الشعراء.

78. في الأصل: «فسيفيسا».

79. الأصيص: وعاء من الفخار غالباً، تستنبت فيه النباتات. جمعه: أصائص، وأصص.

80. في الأصل: «الإسلاميون».

81. سورة الرحمن: 26.

82. ابن المعتز، عبد الله (ت 296هـ/908م): شاعر وخليفة عباسي. تولى الخلافة يوماً وليلة، ثم خلع وقتل. عُرف في شعره بالنزوع إلى الصناعة، وبخسن الاختراع، وإجادة التشبيه والاستعارة. من أشهر آثاره: «كتاب البديع»، وكتاب «أشعار الملوك».

83. الخالدي، أبو بكر محمد بن هاشم بن وعلة (ت 380هـ/990م): شاعر وأديب، من أهل البصرة. اشتهر وأخوه (سعيد) بالخالدين. وكانا من خواص سيف الدولة الحمداني. وولاهما خزائن كتبه. لهما تأليف في الأدب. وكانا يشتركان في نظم الأبيات أو القصيدة، فتتسب إليهما معاً.

84. كشاجم، محمود بن الحسين (ت 360هـ/970م): أديب ومنشئ عربي. من أهل "الرَّملة" في فلسطين، ومن أصل فارسي. من آثاره: «أدب النديم»، وديوان شعر. قيل إن "كشاجم" منحوت من أوائل حروف العلوم التي أتقنها، وهي الكتابة والشعر والإنشاء والجدل والمنطق.

85. قارن: الشوكاني، محمد بن علي. 1392هـ. الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة. بيروت. المكتب الإسلامي. ص 196.

86. لم أعر على بيت الشعر المذكور أو قائله.

87. لم أعر على مصدر النص.

88. كان شعار الدولة العباسية والتي امتد حكمها من عام 750 إلى عام 1258م الراية السوداء؛ حيث كان اللون الأسود عند العباسيين رمزاً للانتصار على الأعداء وكان لهم علم يسمى الظل وراية تسمى السحاب، إضافة إلى ذلك كانت للعباسيين أعلام أخرى مفضضة ومذهبة لفترة امتدت حتى عام 813م وذلك أيام خلافة المأمون وألغيت بعد ذلك وأعيد استعمال اللون الأسود حتى نهاية الحكم العباسي على عهد المستعصم آخر خلفاء هذه الدولة. وفي أكثر من رواية كان يذكر بأن العباسيين كانوا يرتدون ثياباً سوداء، فلهذا لا نستغرب تمسكهم باللون الأسود.

89. المعتد أو المعتمد بن عباد (ت 488هـ/1095م): آخر ملوك العباديين، في اشبيلية بالأندلس. وصفه بعض مترجميه قائلًا إنه «كان أَوَّحَ أفراد الدهر شجاعة وحزماً وضبطاً للأمر». جعل من اشبيلية أحد مراكز الثقافة الإسلامية في عصره، وكان هو نفسه شاعراً وكتاباً مرموقاً.

90. لم أعر على هذين البيتين في ديوان المعتمد بن عباد، ط4. القاهرة. مطبعة دار الكتب والوثائق القومية. 2002.

91. لم أعر على بيت الشعر المذكور أو قائله.

92. زهرة النيلوفر نبتة هندية الأصل تنبت من تلقاء نفسها في الماء العذب وتواجه هذه الزهرة مطلع الشمس وتزداد تفتحاً كلما ازداد سطوعها، وحين يأتي الغروب تأخذ أوراقها في الانضمام حتى تغطس في الماء، والعجيب أن طائراً لطيفاً يتدانى منها عند مهبط الشمس فتتضم أوراقها عليه وتغيب به في الماء، وتظل كذلك طوال الليل فإذا حل الصباح طفت الزهرة على وجه الماء، وتفتحت منها الأوراق وانطلق منها الطائر الذي غمرته بالحنان الليل كله.

93. في الأصل: «الجاذب».

94. لم أعر على أبيات الشعر المذكورة أو قائلها.

95. الشقائق أو شقائق النعمان؛ زهر برّي يظهر ويفتح في منتصف الربيع ويعيش حتى أوائل الصيف. ينبت في الحقول والبراري ولا رائحة له. ويتميز بلون ساحر وهو الأحمر الناري الذي يوحي بروعة وإحساس خارقين بالسّم والاعتناق في الفرح والحب ويظهر على شكل أضموّمات وتجمعات في أجسام كبيرة وعلى مسافات واسعة وخاصة في الأرض البور المشبعة بالمطر. وهو لم يهجن إلى الآن ولم يُستنبت في حدائق خاصة. وله أسماء مختلفة حسب البيئة المحيطة. يمكن أن نستنتج معان عدة لهذه الزهرة، أولها الانفعال الذي تنبئه لدى الناظر حيث تهيج في الإنسان رغبات شتى بعضها مكبوت وبعضها ظاهر وبعد هذا يبدأ فعله في العاطفة وتأججها بحرارة ويندفع الإنسان أحياناً إلى حمل زهرات عدة منه أو وصفها في مكان ظاهر بين. ولون الشقائق الأحمر؛ هو لون الحب الأول لدى العذارى والشباب، فالحب هنا ثورة وحياة؛ والحياة هي إحدى دلالاته التراثية أو الأسطورية كما نستشفها من علاقته الأسطورية، فهو بحد ذاته مثير للحب وشاهد عليه ويحمل إشارته، وهو ورد حيوي، فالحركة سمة رئيسة من سماته.

96. في الأصل: «وحواليها».

97. قارن: ديوان كشاجم. تحقيق: خيرية محمد محفوظ. بغداد. مطبعة دار الجمهورية. 1970. ص 98.

98. ابن الزقاق، علي بن عطية بن مطرف اللّخمي البّلنسي (ت 528هـ/1134م): شاعر عربي أندلسي، عُرف بشاعر الطبيعة. له غزل رقيق ومدائح اشتهر بها. توفي دون الأربعين.

99. قارن: ديوان ابن الزقاق البّلنسي. (ب.ت). تحقيق: عفيفة محمود ديراني. بيروت. دار الثقافة. ص 125.

100. البحتري، الوليد بن عُبيد الله (ت 284هـ/897م): شاعر عربي. يعتبر أحد أكبر الشعراء في العصر العباسي. تتلمذ على أبي تمام، ولكنه لم يذهب مذهبه. اشتهر بحُسن الديباجة وروعة الوصف. شُبّه النقاد شعره بسلاسل الذهب.

101. قارن: ديوان البحتري. (ب.ت). تحقيق: عمر فاروق الطباع. مجلد 1. بيروت. شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم. ص 362.

102. ترجمتها: وَقَعَ النَّدَى عَلَى الشَّقَائِقِ وَقَتَ الصَّبَّاحِ، كَأَنهَا خُدُودٌ وَرْدِيَّةٌ قَدْ عَرَقَتْ.

103. النرجس زهر الربيع المبكر إذ يبدأ تفتحته مع أواخر يناير ويستمر حتى أوائل الصيف، فهو ربيعي حصراً. استنبته الإنسان منذ القديم وزرعه في الجنائن والأصص ولا يزال ينبت في البراري وخاصة في بعض المناطق الباردة. وهذه الزهرة نوعان المطبق المكّم والعادي،

والمطابق أجمل من العادي. أما ألوانها، فالأصفر على الغالب واللون الثاني هو الأبيض على الأصفر. رائحتها عيقة قوية تنتشر لمسافات بعيدة وعبيرها طيب يأخذ بمجامع القلوب. ولذلك تحب لرائحتها أكثر من منظرها. فهي زهرة الحب بلا منازع. ورائحتها تدوم طويلاً، لذا تتزين البيوت بباقات لتزويق المنزل ولنشر الرائحة العطرة. دخلت هذه الزهرة حياتنا، فجملتها وأكملت علاقاتها الحسية والمعنوية، فهي للحب والفرح والخصب وللتأمل واللقاء والأشواق، تنقلنا خلال رحلة تواجدها إلى عالم نقي حي من الأحلام والرؤى الفياضة. يطلق الأندلسيون اسم بهار أو البهار على النرجس، ويرد النرجس في لسانهم أيضاً؛ وهو بهار البر.

104. أكثر العرب من تشبيه النرجس بالعين، في المشرق وفي الأندلس؛ واشتهرت أبيات الواواء الدمشقي:

فأمطرت لؤلؤاً من نرجس وسقت ورداً وعضت على العناب بالبرد
وقال أحمد بن فرج الجياني:

للعروض حسن فقف عليه واصرف عنان الهوى إليه
أما ترى نرجساً نضيراً يدنو إليه بمقلتيه؟

105. كسرى أنوشروان (ت 579م): أشهر ملوك الفرس الساسانيون. دانت له جزيرة العرب، وأجزاء من أرمينيا والقوقاز. روج التجارة، وشجع التعليم، وشيد المدن.

106. لم أعثر على مصدر النص.

107. قارن: الشوكاني، محمد بن علي. الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة. مصدر سابق. ص 196.

108. لم أعثر على بيت الشعر المذكور أو قائله.

109. قارن: ديوان ابن المعتز، 1995. ط 1. بيروت. دار الجيل. ص 360.

110. في الأصل: «دور».

111. قارن: ديوان الصنوبري. مصدر سابق. ص 161.

112. قارن: ديوان الصنوبري. مصدر سابق. ص 140.

113. ترجمتها: العين النعسانة.

114. ترجمتها: العين النشوانة.

115. قارن: ديوان كشاجم. مصدر سابق. ص 62.

116. لم أستطع التعرف على هذه الشخصية.

117. للشاعر الأندلسي ابن الفرج الجياني (366هـ) قصيدة ناقض فيها قصيدة الشاعر ابن الرومي (ت 283هـ) المشهورة، وهي قصيدة غير مطوّلة فضل فيها النرجس على الورد، واثار بذلك ردوداً كثيرة عليه في المشرق وفي الأندلس؛ وكان أكثر الأندلسيين يفضلون السورد، ولكنهم لا يزرون بالنرجس. ولم يسلكوا سبيل ابن الرومي الذي نصر النرجس ثم وصف الورد وصفاً قبيحاً.

118. يقصد أن النرجس أصفر؛ وعينه - على هذا - مصفرة، وهل تكون الصفرة في العين إلا مع داء اليرقان. قارن: ديوان الصنوبري. مصدر سابق. ص 448.

119. إن أوصاف الورود تتجلى في الإنسان وتعبّر عن حالاته ووجداته. فالأغنية الشعبية المطعّمة بالأزهار حملت هذه المعاني، والمثل تثبتّها في الذاكرة الجمعية، والتطريز نقش بها الثوب وحلّاه، وحفل الطين والفخار بهذه المعاني، وأيضاً الزجاج والصلصال، فالورد يحزن حزن العاشق المتيّم ويكي بكاءه ويفرح فرحه، والتراث الشعبي في العالم كافة أنسنه وأنطقه، فتكلّم وكلّم كما يتكلّم الإنسان، وأرسل وراسل، وحاور، ولم يترك كلمة غلاً قالها من الهمس حتى الصراخ.
120. لم اعثر على مصدر النص أو قائله.
121. صاعد الأندلسي، أبو القاسم صاعد بن أحمد (ت 462هـ/1070م): مؤرخ عربي أندلسي ولي قضاء طليطلة حتى وفاته. من أشهر آثاره: «طبقات الأمم»، و«جوامع أخبار الأمم من العرب والعجم»، و«مقالات أهل الملل والنحل».
122. قارن: تيمور باشا، أحمد. الموسوعة التيمورية. مرجع سابق. ص 97.
123. في الأصل: «المغطية».
124. ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن (ت 571هـ/1176م): مؤرخ ومحدّث عربي. ولد بدمشق وتوفي فيها. يُعتبر إحدى القمم الشامخة في التأليف التاريخي عند العرب. له في التاريخ كتاب «تاريخ دمشق الكبير» المعروف بـ «تاريخ ابن عساكر».
125. المتوكل أو المتوكل على الله (ت 247هـ/861م): عاشر الخلفاء العباسيين. عُرف بتعصّبه لمذهب أهل السنة، ومحاربه المعتزلة، واضطهاده لفرق إسلامية أخرى. أمر بهدم البيع النيسرانية واليهودية المُحدّثة في بغداد. واصل سياسة الاعتماد على الجند الأتراك، التي دشّنها المعتصم، فتأمروا عليه وقتلوه.
126. النعمان (الثالث)، ابن المنذر بن ماء السماء (ت 15ق. هـ/608م): آخر ملوك اللخمين في الحيرة، وأشهرهم على الإطلاق. مدحه النابغة الذبياني وحسان بن ثابت وغيرهما. كان له يوم بؤس ويوم نعيم. عزله كسرى وسجنه في المدائن.
127. انظر: تيمور باشا، أحمد. الموسوعة التيمورية. مرجع سابق. ص 96.
128. الأصفهاني، العماد (ت 597هـ/1201م): أديب ومؤرخ مسلم. من أهل أصفهان. يُعرف بعماد الدين الكاتب الأصفهاني. عمل في خدمة صلاح الدين الأيوبي. تميزت آثاره بالإسراف في اصطناع المحسّنات البديعية. أشهر آثاره: «خريدة القصر وجريدة العصر» وقد أرّخ فيه لأدباء زمانه.
129. لم أعثر على هذا البيت من الشعر للعماد الأصفهاني.
130. هناك زهرة تحمل اسم «شوكة المسيح»؛ حيث يقال إنه صنع للسيد المسيح حين صلب تاج من الزهور يشبه هذا الزهر، وهذا الزهر له وردة حمراء صغيرة محاطة بسور من الأشواك.
131. قارن: ديوان ابن المعتز. دار بيروت. مصدر سابق. ص 188.
132. لم أعثر على بيت الشعر أو قائله.
133. في الأصل: «عكس».
134. قارن: ديوان ابن الزقاق البلنسي. مصدر سابق. ص 131.
135. القاسم بن عيسى بن إدريس بن معقل أو أبو ذلف العجلي (ت 226هـ/840م): من بني عجل بن لجيم. أمير الكرج، وسيد قومه، وأحد الأمراء الأجواد الشجعان الشعراء. قلده

- الرشيد العباسي أعمال «الجبل» ثم كان من قادة جيش المأمون وأخبار أدبه وشجاعته كثيرة. يعد من العلماء بصناعة الغناء، يقول الشعر ويلحنه. توفي في بغداد.
136. قارن: هزاع بن عيد الشمري. 1995. أبو دلف العجلي - مفخرة من مفاخر العرب. ط1. الرياض. دار أجا. ص 32.
137. لم أعثر على بيت الشعر أو قائله.
138. الكسائي: لم أعثر على ترجمته في كتب الأدب والتراجم.
139. ترجمتها: الورْد نعمة من السماء وهدية أرسلتها الجنة، فإن بعته، يا تاجر الزهور، بفضة، من ذا يشتريه بهذه الدراهم وهي أكثر قيمة منه.
140. الحديث المرفوع: هو ما أضيف إلى النبي (ص) من قول أو فعل أو تقرير أو صفة. (أبو الدهب، أشرف طه. 2002. المعجم الإسلامي. ط1. القاهرة. دار الشروق. ص218).
141. قارن: الشوكاني، محمد بن علي. الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة. مصدر سابق. ص 196.
142. أي أدب الوردة والبلبل أو العندليب. وفي الشعر الفارسي يظهر البلبل يعشق الوردة، ويغني لها ويثبها شكواه وأنيبه، وقد ترق له فتبكي بدموع ملؤها الندى والحب والعتاب.
143. فرهاد؛ هو بطل ملحمة العشق الشعرية الفارسية المعروفة (شيرين وفرهاد) في منطقة (كرمنشاه). وتقول الملحمة إن العاشق (فرهاد) كان ينحت تمثالاً على صفحة جبل (بيستون) الشهير، من أجل حبيبته (شيرين)، وبأمر من حاكم ظالم كان يؤدّ التفريق بينهما، للاستئثار بـ (شيرين). وقبل أن يتم (فرهاد) نحت التمثال، بلغه خبر كاذب عن موت معشوقته (شيرين)؛ فرمى القدم الذي كان ينحت به في الهواء، وتلقاه برأسه ومات منتحراً. وحين علمت (شيرين) بموت حبيبها، زارت قبره وغرزت خنجرأ في قلبها، وماتت منتحرة فوق القبر. ومعنى اسم (فرهاد) في العربية هو (مهيب)، أي الذي يهابه الناس لقوته أو شدة بأسه.
144. الشيخ أبو عبد الله روزبهان بن أبي النصر البقلي (ت605هـ/1209م): صوفي فارسي من أهل شیراز. يعد من أقطاب الطريقة الأويسية. يُعرف بالشيخ الشطّاح، لكثرة شطحاته، طبعت بعض كتبه ونشرت من لدن المستشرقين. من مؤلفاته: الأنوار في كشف الأسرار، ثمرة الأشجار (منظومة فارسية)، رسالة القدس لأهل الأنس، سير الأرواح، شرح الشطحيات، صفو المشارب في العشق، عرائس البيان في حقائق القرآن.
145. لم أعثر على نص الحديث.
146. ترجمتها: ما هذا الندى الذي وقع على الورد، إنه دموع العنّادل.
147. قارن: ديوان ابن المعتز. دار بيروت. مصدر سابق. ص 251.
148. جلال الدين بن محمد الخطيبي البكري (الرومي) (ت672هـ/1273م): عالم ورياضي ومدرّس وشاعر وصوفي كبير. يُعرف بـ «مولانا جلال الدين»، ويعتبر أحد أعظم شعراء الحب الإلهي. ولد بمدينة بلخ من أعمال أفغانستان. درس بمدينة نولاً ثم ببغداد فالحجاز فقونية بتركيا. ثم أكمل دراسته ببلط ودمشق، وعاد إلى قونية ليدرس مكان واده. سلك التصوف على يد الشيخ شمس الدين التبريزي. أنشأ طريقة صوفية خاصة عُرفت بـ «الطريقة المولوية». أشهر آثاره ديوان «مثنوي» الذي يقدر بحوالي 27 ألف بيت، يعد - بحق - من

أروع ما أنتجه الفكر، ويشتمل على قصص ديني، وأخلاقي، بأسلوب رشيق جذّاب. ولقد كان لكتاب مثنوي أثر عظيم في الفكر والأدب الصوفيّين عند المسلمين. ومن أعماله الأخرى؛ المجالس السبعة، فيه ما فيه، الرسائل، الرباعيات، ديوان شمس تبريز.

149. في الأصل: «الدور».

150. ترجمتها: كل ما في البستان من أزهار ومياه ونباتات وأشجار هو تجلّي للجمال الإلهي والمثال الأمثل للجنة العليا.

151. في الأصل: «تمنياتي».

152. في الأصل: «الدور».

153. لآله: كلمة فارسية بمعنى زهرة قرن الغزال Tulip. ولهذه الزهرة أهمية ملحوظة عند العثمانيين ولهم شغف شديد بها، ففي احتفال السلطان مراد الثالث بختان ولده الأمير محمد، صنع نموذج كبير لهذه الزهرة وحمل في موكبه وهذا مشاهد في (سور نامه) مراد الثالث؛ وهي قصيدة نظمت بمناسبة ختان ابنه. ومما يجدر ذكره أن الأتراك العثمانيين وحدهم الذين رسموا هذه الزهرة كعنصر زخرفي في العمارة والخزف. وقد ذكر أحد المؤرخين العثمانيين أن نزح دفتري (بمعنى دفتر الأسعار) فيه تحديد لمائتي وخمسين نوعاً من هذه الزهرة وقد أحضر حسن أفندي المؤرخ من إيران سبعة أنواع من هذه الزهرة، وفي عام 1062 للهجرة جاء سفير النمسا بعشرة أنواع منها. ويذكر بوسيك Busbeque سفير هولندا في استانبول كتب عن هذه الزهرة، فوصف في تقرير له كتبه سنة 1620 ما رآه في أثناء سفره من أدركه إلى استانبول من أنواع الزهور ذات الرائحة الزكية والألوان الجميلة. وقصة نقل زهور قرن الغزال من تركيا إلى هولندا معروفة، فقد أعجب بها بوسيك هذا ونقل البعض منها إلى حديقة داره في هولندا فأزهرت بها، وحرص على الاحتفاظ بهذه الزهور لنفسه، وكان يرضن بها على غيره ممن رأوها عنده وأعجبوا بها، فعمد هؤلاء إلى سرقتها من حديقته. وهكذا انتشرت زهور قرن الغزال أو اللاله أو التوليب في هولندا وغيرها من البلاد الأوروبية. وبذلك انتشرت هذه الزهرة التي تنبت في أوروبا ويذكر هذا المؤرخ ثمانمائة اسم لهذه الزهرة اللاله. وهناك في التاريخ العثماني ما يعرف بعصر اللاله «لاله دورى» بمعنى عصر زهرة قرن الغزال وهو عصر السلطان أحمد الثالث (1718-1730 م). والسبب في هذه التسمية أن الأتراك في هذا العصر كان لهم شغف شديد بالشغف بهذه الزهرة وقد كانت هذه الزهرة أكثر ما يشغل الناس ويملك عليهم إعجابهم. وقد تألق الأتراك في تسمية هذا الزهر على حسب ألوانها وشكلها ومن هذه الأسماء تاج القيصر واللؤلؤ الأزرق، كما قيل لبعضها حمراء الخد والكأس الذهبية وقد تنافس المتنافسون في اقتناء هذه الزهرة، فقد غرست اللاله في حدائق خاصة بها، كما راجت تجارتها إلى حد بعيد وغالى التجار أعظم المغالاة في رفع أسعار النادر منها حتى اضطرت الدولة إلى أن تجعل على هؤلاء التجار رقيباً يسمى الشيخ محمد لاله زاري. وكان هذا الرقيب ذا سلطة تتحول له نفى التاجر أن استزاد. ولقد أصبحت مدينة اسطنبول أشبه شيء بروضة فيحاء من زهر قرن الغزال. وفي عام 1730م شقّ الانكشارية عصا الطاعة ورفعوا راية العصيان، فاقترحوا على مصطفى باشا القبطان حديقته وهو واقف يشاهد جمال أزهارها، فخنقوه مع الصدر الأعظم إبراهيم باشا وكان كذلك شديد الولع بهذه الزهرة.

154. محمد إقبال (1877-1938م): شاعر وفيلسوف هندي مسلم. نظم باللغة الفارسية واللغة الأردية. وكان أول من دعا إلى إنشاء دولة باكستان. أشهر آثاره الشعرية: قصيدة طويلة عنوانها «أسراري خودي» أي أسرار النفس، وأهم آثاره الفلسفية: «إعادة بناء الفكر الديني في الإسلام».
155. تقع مدينة "استانبول" (إسلام بول) في الجزء الأوروبي من تركيا، فوق مدينة "القسطنطينية" الرومانية القديمة، وهي ذات طابع جغرافي فريد، إذ يحدها من الشمال البحر الأسود ومن الشرق بحر مرمرة ومن الجنوب بحر إيجه ومن الغرب شريط ضيق من الأرض متصل بقارة أوروبا. وترجع أهمية هذا الموقع في أنه يجعل استانبول أحد أهم نقاط الاتصال بين قارة آسيا وقارة أوروبا، وأنها تعد من أحسن المواقع الاستراتيجية في العالم، كما أنها تعد مفتاح أوروبا من الشرق.
156. أدرنة إحدى مدن تركيا وتقع في أقصى الجهة الغربية من القسم الواقع في أوروبا قريبا من حدود بلغاريا واليونان. أسس الرومان مدينة أدرنة في القرن الثاني الميلادي واحتلها العثمانيون في سنة 1362م وصارت عاصمتهم من 1365 إلى 1453م والآن هي عاصمة المقاطعة التي تسمى أيضا باسم أدرنة.
157. اسم الزهرة التركي (لاله) يعطي مكتوباً بالحروف العربية نفس قيمة العدد في كلمة «الله» وفي كلمة «هلال»، فالكلمات الثلاث - تبعاً لحساب الحروف القديم أي حساب الجمل - تساوي ستة وستين. فأى زهرة يمكن لها أن تتناسب الأتراك أكثر من هذه التي تشير من ناحية إلى الإله الواحد الأحد وتشير في الوقت نفسه إلى رمز الإسلام وهو الهلال. (انظر: شميل، أنا ماري. 2004. الشرق والغرب: حياتي الغرب - شرقية. ترجمة: عبد السلام حيدر. ط1. القاهرة. المجلس الأعلى للثقافة. ص 131).
158. في الأصل: «ومثلهم».
159. الخط الكوفي المزهر: وفيه ترسم أرضية نباتية في الفراغات البينية للحروف أو للأرضية كلها، ثم تسقط عليها الكتابة. وفيه أيضاً تزدان الحروف بمراوح نخيلية تشبه زخارف التوريق، وشاع استعمال هذا النوع في إيران في عهد السلاجقة، وفي مصر في العهد الفاطمي.
160. في الأصل: «الخط النسخي».
- وخط النسخ وضع قواعده الوزير ابن مقلة، وأطلق عليه النسخ لكثرة استعماله في نسخ الكتب ونقلها، لأنه يساعد الكاتب على السير بقلمه بسرعة أكثر من غيره، ثم كتبت به المصاحف في العصور الوسطى الإسلامية، وامتاز بليضاح الحروف وإظهار جمالها وروعها.
161. كلمة أرابيسك أطلقت على الزخارف النباتية المتشابكة والتي تتكرر بانتظام، وترسم الزخارف النباتية المتشابكة من أوراق نبات الأكانث أو من أوراق وسيقان الكرمة أو من سعف النخيل. ولقد عمم المستشرقون هذا المصطلح ليدل على النمط العربي في الزخرفة بصفة عامة. ولقد كان التعبير عن هذه النباتات تجريبياً. وزخرفة الأرابيسك ليس فيها تعبير حركي وتعتمد على التكرار بإيقاع منتظم. وتؤثر جمالياً بتغير النور والظل وبتدرج واختلاف الكثافة الزخرفية. ومن أبرز الأمثلة لهذا النوع من الزخارف الموجودة على الخشب بمسجد بن طولون بالقاهرة.
162. تصف سور القرآن الكريم موقعين لحدائق الجنة بالتفصيل. فالصور والعناصر الموعودة تصف أربع جنات ذات أسوار مربعة الشكل، تجري من تحتها أنهار وجدول ماء مستقيمة،

تروي أزهراً فواحة مصفوفة، وأنهار من خمر «لذة للشاربين»، وأشجار باسقة تظلل أرائك النعيم الأبدى. وقد جاء هذا الوصف كما يلي: {مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مُصَفًى} (محمد: 15). لقد قام مفهوم الجنان المسورة وحدائق الأفنية الداخلية على أوصاف القرآن الكريم للجنة الموعودة، ويزيد العدد الإجمالي للإشارات التي تتحدث عن جنة الفردوس عن 120 إشارة محددة وموصوفة بدقة، وقد انتشر ذلك المفهوم شرقاً، إلى الهند والقارة الآسيوية، وبلغ ذروة تطوره في حدائق ملوك المغول العظيمة، حيث يعتبر "تاج محل" و"حدائق شاليمار" و"ضريح همايون" وغيرها في بلاد الهند القديمة ومن ضمنها باكستان الحالية، أمثلة حية على هذا التراث الجميل. كما انتشرت الفكرة شمالاً إلى سمرقند وآسيا الوسطى وخصوصاً في العصر التيموري. وكانت قد انتشرت غرباً إلى الجزيرة العربية، ومن ثمة، إلى المغرب العربي وصقلية وإسبانيا عبر الحروب العربية في المشرق والمغرب، وساهمت بالنهاية في إيجاد الحدائق الفرنسية الكلاسيكية الأصلية. ولا تزال ساحة الأسود في قصر الحمراء بغرناطة، التي هي صورة رمزية من صور "جنة الفردوس" مآثورات ذات تناسق رباعي في تخطيط كوني بديع، محط إعجاب العالم حتى وقتنا الراهن.

163. الإستبرق هو الديباج الغليظ.

164. أي المحلاة بالفضة، أو ما طلاه بها.

165. وَشَت: وَشَى فلان الثوب، وشياً، وشية: نممه ونقشه وحسّنه.

166. الأناضول شبه جزيرة جبلية في غرب آسيا على البحر المتوسط تشمل معظم الأراضي التركية وتعرف بآسيا الصغرى. تقدر مساحتها بحوالي 743000 كم² تحيط بها بحار إيجه وممرات والبحر الأسود.

167. أوياس أو أوياس هو طراز الدانتيل الذي تخاط أزهاره وأوراقه بنعومة كاملة بإبرة كروشييه رفيعة كإبرة الخياطة.

168. اللَيْلُك؛ من الورود الشجرية تقريباً، فساقه ساق شجرة وأغصانه أغصان وردة. زرعه الإنسان واستنبته في بساتينه وحدائقه الواسعة. وهو اسم جنس واحدته ليلكة. زهرته تضج حياة وإشراقاً وانعتاقاً في الدروب، وله ألوان عدة، منها الخمرى والخمرى الغامق القريب من الأسود، والأسود الفاتح. إذن ألوانه تموجات الخمرى والأسود وتجليات هذه الألوان وحرارته حرارتها. زهره زهر الحب العنيف المحتدم وأوائل الحب. فهو يكاد يرقص لحركته وانسجابه مع ذاته ويستعمل في الزينة المنزلية ضمن باقات. له عند الناس منزلة هامة، وله سحره الخاص في الربيع يسر منظره الرائين ويجذبهم.

169. البنجاب ولاية باكستانية. ومعنى بنجاب، أرض الأنهار الخمسة. ويعد محمود بن سبكتكين الغزنوي أول من نشر في البنجاب.

170. شيراز: مدينة عريقة في القدم تقع قرب تَحْت جَمَشِيد. وفي العصور الإسلامية اهتم بها الديلمة فبنى فيها عضد الدولة العمارات الشاهقة، وبلغت كثرة فيها على عهده حداً اضطر معه إلى تشييد مدينة أخرى قريبها باسم (جرد خسرو). وشيراز مدينة واسعة تشتهر بطيب هوائها ووفرة أنهارها وثمارها، وقربها يقع شعب بَوَّان الذي وصفه المتنبي في قصيدته. وقد ازدهرت هذه المدينة بعد خراب مدينة (إصطخر) العاصمة الإيرانية القديمة التي تقلص

ظلها بعد الفتح الإسلامي. وكان للأسرة البويهية وخاصة عضد الدولة الفضل الأول في ازدهار هذه المدينة، وقد اختارها ملوك الأتابكية عاصمة لهم، كما بقيت من بعدهم مدة عاصمة لـ (كريم خان) الذي ترك فيها آثاراً خالدة تُعرف باسمه، منها مسجد وكيل وسوق وكيل. وفي شیراز يقع قبر الشاعرين سعدي وحافظ، وضريح شقيق الإمام الثامن لدى الشيعة الإثني عشرية المعروف بـ «شاه چراغ».

171. يُعتبر عهد الأسرة الزندية في شیراز العصر الذهبي الذي شهدت فيه المدينة نهضة عمرانية كبيرة؛ فقد أسس (وكيل الرايا) كريم خان زند لأول مرة فيها سوقاً عامرة لا مثيل لها في إيران، لا تزال تحتل حتى اليوم في وسط المدينة مركزاً اقتصادياً هاماً. ومسجد وكيل (وكيلي) يقع قرب السوق، وله إيوانان شمالي وجنوبي، ورحبتان جنوبيّة وشرقية. تحتوي الجنوبية منها على 48 عموداً، كل منها قطعة واحدة وفيه منبر رخامي من قطعة واحدة أيضاً له 14 درجة. وليس لهذا المسجد منذنة، وقد نُقش على إزار الصحن نقوش حجرية رائعة لطيفة. أما داخل المسجد فقد زُخرف بالقيشاني مع نقوش تمثّل منظر شجرة ووردة وبلبل على أرضية بيضاء وصفراء تعود إلى عهد الأسرة الزندية. وقد ظل هذا المسجد كبقية أبنية كريم خان متيناً قوياً لم تزعه الزلازل العنيفة التي أصابت المنطقة.

172. يعتبر جامع رستم باشا تحفة معمارية فنية، وقد بني في عام 1561م بأمر من رستم باشا الوزير الأعلى وزوج ابنة سليمان الكبير.

173. سليمان الأول (1495؟ - 1566م): سلطان عثماني. هو الابن الوحيد للسلطان سليم الأول. في عهده بلغت الإمبراطورية أوجها وعرفت نهضة مرموقة في حقول التشريع والأدب وفن العمارة. يُعرف بـ «سليمان القانوني» أو بـ «سليمان الكبير».

174. تشير المؤلفة إلى قوله تعالى: {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ} (سورة الطور: 17).

التشبيه بالحروف

في الأدب الإسلامي

[مجلة (فكر وفن)، العدد ثالث، 1964]

نَظَّم شاعر شعبي تركي في القرن السادس عشر قصيدة قال فيها إن اسم محبوبته يسطره المطر إذا تمّاطل، والبَط إذا سَبَح، والثَّلَج إذا سَقَط على الأرض، فإن اسم حبيبته هو: «أَلِف». وكان كلما وقع نظر شاعرنا هذا على أي خطٍّ مستقيم رأى فيه الألف، وفي الألف اسم المعشوقة.

مع أن هذه القصيدة الشعبية لا توجد فيها بلاغة [الشعر] أو الكلام ولا فصاحة الأسلوب ولكنها تدلّ على العلاقة⁽¹⁾ الموجودة بين الخطّ والشعر، بين الكتابة والدين، بين حروف المهجاء العربية ورموز الصوفية⁽²⁾.

نجد في مدنيّات العالم كله صلات⁽³⁾ خاصة بين الكتابة والدين، ولذلك صنّف أحد مدققي تاريخ الأديان في ألمانيا، وهو أ. برتولت (A. Bertholet)⁽⁴⁾ كتاباً مهماً أشار فيه إلى أهمية الكتابة في جميع الأديان، وكذلك في الحرافات العامة والسّحر. فإن مهمة الكتابة هي المحافظة على الكلام الإلهي، ولذلك اتّفق أهل الدين على أنه يتحقّق على كل من نَسَخ كتاباً مقدساً أن يكون في حالة الطهارة الكاملة الروحية والبدنية، وقالوا إن ثوابه كبير في الدّارين⁽⁵⁾.

وكان للإسلام دور عظيم في هذا الحيز. فقد أشار العلامة سودربلوم الأسوجي⁽⁶⁾ Soderblom إلى أن الإسلام هو أوّل من فرّق بين أهل الكتاب وبين أصحاب الأديان الأخرى، وهذا الفرق من أهم ما يتمسّك به تاريخ الأديان إلى يومنا هذا. وفي القرآن الكريم كثيراً ما يُشار إلى الكتابة⁽⁷⁾ والقلم⁽⁸⁾ واللّوح المحفوظ⁽⁹⁾، ومن هناك أخذ المسلمون يستأنسون إلى هذه التعبيرات ويعطونها أهمية خاصة. وكم من شاعر وأديب، وكم من متصوّف وعالم استفاد من هذه الإشارات المجيدة واستعملها في كتاباته.

وفي كثير من الكتب المأثورة ما يدلّ على الدور المهم الذي لعبته الكتابة والخط⁽¹⁰⁾ الذي يسميه عبد الله بن عباس⁽¹¹⁾ «لسان اليد»⁽¹²⁾ وقيل إن الإنسان يمتاز عن سائر أنواع الحيوان بالخط، وإن الخط أعمّ العلوم وأشرفها⁽¹³⁾. ومن المعلوم أن في الروايات إشارات إلى الخط الذي أنزله الله تعالى على أنبيائه في قدم الزمان:

«ولو لم يكن من شرف الخط إلا أن الله تعالى أنزله على آدم أو هود عليهما السلام وأنزل الصحف على الأنبياء مسطّورة، وأنزل الألواح على موسى عليه السلام مكتوبة، لكان فيه كفاية».

ويروى أنّ [نبي الله] سليمان عليه السلام سأل عفريتاً عن الكلام فقال: ريح لا يبقى؛ قال فما قيده؟ قال: الكتابة⁽¹⁴⁾.

وما زال الأدباء يصنّفون كتباً في فضائل الكتابة ونقرأ في كتب التاريخ أسماء الكتاب المشهورين منذ عهد الرسول إلى أيام المؤلف نفسه، واجتهد المؤرّخون بأن يُحصّلوا أخباراً عن الكتاب الذائعي الصيت، فألّفوا رسائل في «أدب الكاتب» دالّين على ما يجب للكاتب الأملعي أن يَعْلَم من العلوم الدينية والدنيوية، وصارت هذه الرسائل - من كتاب الصّولي⁽¹⁵⁾ مثلاً في عصر⁽¹⁶⁾ خلفاء بني العباس⁽¹⁷⁾، وصُبح الأعشى للقلقشندي⁽¹⁸⁾ في عصر المماليك في مصر - مصادر وافرة تحتوي على معلومات قيّمة عن وضع الحضارة وتفرّعات الثقافة في تلك القرون.

ونجد أيضاً الأخبار عن أساتذة الخط الذين أبدعوا طرازاً جديداً أو أصلحوا في الأسلوب الموروث أو برعوا في حُسن الخط⁽¹⁹⁾. وقال بعضهم في مرثية ابن البوّاب⁽²⁰⁾ الكاتب المشهور:

واستشعر الكتابُ فقدك سالفاً فجَرتَ بصحة ذلك الأيام
فلذاك سودّت الدوي وجوها أسفاً عليك وشقّت الأقالام⁽²¹⁾

وما كانت هذه العلاقة بصنعة الكتابة محدودة على العرب فحسب بل فاقهم في العصور الحديثة أهل إيران والهندوستان⁽²²⁾، والدولة العثمانية (لغاية عام 1928 عندما قام⁽²³⁾ أتاتورك⁽²⁴⁾ بإلغاء الخط العربي في تركيا).

ولم يزل الخطاطون يُبدعون أنواعاً مختلفة من [الخطوط]؛ كالطومار⁽²⁵⁾ والرَّيْحَانِي⁽²⁶⁾ وخط الغبار⁽²⁷⁾ والثُّلُث، والتعليق⁽²⁸⁾ الظريف في إيران والهندوستان، والشكسته⁽²⁹⁾ والدِّيواني، ومن أنواع الخط [أيضاً] الكوفي الشطرنجي⁽³⁰⁾ أو الكوفي المزهر أو المعقد⁽³¹⁾، أو من الصُّور المركبة من حروف الهجاء أو من جُمْل ذات معنى (مثل البسملة أو كلمة الشهادة) ويحسنون هندسة الحروف؛ أما المتدينين والمتصوفين منهم، فاجتهدوا في نسخ القرآن الكريم أحسن النَّسخ⁽³²⁾ راجين ثواباً في الآخرة، حتى أن بعض الملوك العرب والعجم كانوا يفتخرون بنسخهم للقرآن بأظرف خط وسعى آخرون في فهم المعنى المستور للآيات القرآنية بمعونة المعاني السرية [الباطنية] للحروف⁽³³⁾ أو بتعديد عدد الأحرف في كل صحيفة أو في كل آية أو بحساب الأبجدية أو ما يشبه ذلك من علوم الوُفْق⁽³⁴⁾ والجُفَر⁽³⁵⁾.

ومن المعلوم أن للحروف المقطعة⁽³⁶⁾ في ابتداء بعض السور القرآنية قيمة خاصة في نظر بعض المتصوفة حتى أن بعضهم اختار «طه» و«يس» أسماء للأولاد. وقال مولانا جلال الدين الرومي⁽³⁷⁾ مثلاً؛ إن «ألم» هو «عصاة موسى». ومن المعلوم أن بعض المتصوفة وأهل المذهب الحروفي⁽³⁸⁾ قد علّقوا أهمية كبيرة لمعنى الحروف⁽³⁹⁾، وفي نظريتهم إن لكل حرف معنى مخصوصاً يربطه بالذات الإلهية أو إنه يكشف عن أسرار الكون أو عن درجات الطريقة. ومثال باهر لهذا التأويل موجود مثلاً في القصائد الهجائية التي ألّفها كثير من المتصوفين في الشرق والغرب، كما قال مثلاً شاعر تركي، وهو علاء الدين ويزه لي⁽⁴⁰⁾، في قصيدة له:

أ أعلم المقصود من الألف هو أن تَكُون مع الله.

ب تبرّك بِيَاءِ البِسْمَلَةِ.

ت أَكْثَرُ التَّلَاوَةِ حتى تجد وحدة الذات.

ث اثبت في الدِّين بعَوْنِ الله.

ذ معنى الذال تذلل نفسك دائماً.

ع هي العناية التي تجد بلطف الله.

ق قرب قَابَ قَوْسَيْنِ الذي يعرفه العارف... وإلى آخره.

ومثل ذلك معلوم في تاريخ الأدب بهجاء الذَّهَب، ومعناه أن المؤلف يجمع أمثال في شكل أبيات على سلوك الحروف المحجائية؛ وهذا موجود في قديم الزمان في مزامير داود النبي⁽⁴¹⁾، وكثيراً ما نجد عند مسلمي الهند ممَّن كتب الشعر بالأردو أو السنڊي أو البنجابي، وسموه (سِي حَرْفِي) أو (تِيه اَكْر) أي ثلاثون حرفاً. وذكر القرآن الكريم اللّوح المحفوظ⁽⁴²⁾، والقلم⁽⁴³⁾ الذي كتب كل ما يصادفه الإنسان - وقد جَفَّ القلم، كما قال الرسول - ولا إمكان لتغيير ما كتبه في الأزل⁽⁴⁴⁾.

وذكر الشعراء هذه الواقعة في أبياتهم، شاكين من ظلم القلم، أو مَسْرورين بأن اسم المحبوب قد رُقِمَ⁽⁴⁵⁾ في لَوْح قلوبهم، كما قال فخر الدين أُوحد المستوفى الإيراني⁽⁴⁶⁾ ويقصد الإمام علي الرضا⁽⁴⁷⁾:

من ابتداء الكَوْن رَقَمَ قَلَمُ الْقَضَاءِ حَرْفَ مَحَبَّتِكَ عَلَى لَوْحِ التَّرَابِ.
وَأَحْسَنَ الْفَضُولِي التُّرْكِي⁽⁴⁸⁾ (المتوفى في سنة 1560م) حين قال:

قَدْ نَقَشَكَ قَلَمُ الْقُدْرَةِ عَلَى لَوْحِ صَدْرِي
وَقَدْ انْتَحَبْتُكَ مِنْ مَجْمُوعَةِ الْمَحْبُوبِينَ

كأنه رأى في الأزل كتاباً مكتوباً فيه أسماء المحبوبين وانتخب لنفسه أحداً منهم ورَقَمَ اسمه على لَوْح القلب. ولكن هذا الشاعر اعترف في بيت آخر بالحقيقة المرّة:
إِنْ حَرَّرَ الْكَاتِبُ الْأَزْلِي قَضَاءَ الْعِشَاقِ بِالسَّوَادِ..

وكذلك إن القلم الأزلي كتب قَضَاءَ الإنسان وأن الملائكة تكتب أعماله في أثناء حياته، يملئون دفتره بكل ما فعله أو ما نَوَاه. ولذلك كان كثير من أهل الدين والدولة يشتدّ حزناً ونواحاً عندما يتخيّلون كِتَاب أعمالهم ظاهراً في يوم الدِّين، وكانت هذه الفكرة من الموضوعات المحبوبة عند شعراء العرب والعجم، كما قال الفضولي التركي ممثلاً لآلاف من أدباء الإسلام:

قَدْ اسْوَدَّ دَفْتَرُ أَعْمَالِنَا مِنْ خَطِّ الْخَطَايَا

تَحْيَلْنَا يَوْمَ الْحَشْرِ وَأَمْطَرْنَا الدَّمَ مِنْ أَعْيُنِنَا

(لنغسل ونَمْحِي الخط، مع العلم بأن غسل حبر الأعمال بماء الدموع كان رمزاً معروفاً عند الشعراء كلهم).

وإن كان القلم الأزلي مُطيعاً لإرادة الله الغير مخلوقة، [فقد] رأى الأدباء في القلم العادي عبداً مُطيعاً لهم، كما وصفه بعضهم:

وَذِي عَفَافٍ رَاكِعٍ سَاجِدٍ أَخُو صَلاَحٍ دَمَعُهُ جَارِي
مَلَا زِمَ الْخَمْسِ لِأَوْقَاتِهَا مَجْتَهِداً فِي طَاعَةِ الْبَارِي⁽⁴⁹⁾

فأصبح القلم لذلك؛ المثال الأمثل للعاشق الذي يسير في طريق الحبيب على سمت رأسه، المقطوع اللسان. لا يفعل إلا ما أمره صاحبه. وزاد على هذه الأهمية الحديث المشهور أن «قلب المؤمن بين الإصبعين من أصابع الرحمن يقلبه حيث يشاء»⁽⁵⁰⁾.

ميكشد آن شَهْ رَقْمِي

دَلْ بِكَفَشِ جُونِ قَلَمِي⁽⁵¹⁾

كما قال مولانا [جلال الدين] الرومي الذي استعمل هذا الرمز في كثير من أشعاره. فإن الإنسان في يد "النقاش الأعظم" أو في يد محبوبه مثل قلم لا يدري كيف يتحرك وأين يذهب. وإن أطاعه فسَيَحْسُنُ خَطَ حياته، وقال الحافظ الشيرازي:

إِنْ وَجَبَ عَلَيَّ أَنْ أَذْهَبَ عَلَى رَأْسِي فِي سَبِيلِ الْحَبِيبِ مِثْلَ الْقَلَمِ؛

أَذْهَبَ وَالْقَلْبُ كَدُّورٍ وَالْعَيْنُ بَاكِية.

وقد بلغ مولانا الرومي حدّاً في هذه المقايضة لما أشار برمز القلم إلى قضية حسين بن منصور الحلاج⁽⁵²⁾، الصوفي المقتول الذي اشتهر بقوله «أنا الحق» وسلّم رأسه للمشنقة:

ضَعُ رَأْسَكَ مِثْلَ الْقَلَمِ عَلَى خَطِّ أَمْرِهِ

لَأَنْ مَنْ لَا رَأْسَ لَهُ رَفَعَ عُنْقَهُ

ويقصد الحافظ الشيرازي عَيْنَ الحكاية عندما بحث عن القلم المقطوع لسانه الذي لا يستطيع إفشاء سرّ الحبيب. وصلة⁽⁵³⁾ القلم باللسان قديمة العهد وقالوا فيه إن القلم أحد اللسانين، ووصف شاعر فارسي القلم كذي لسائين (لأن في رأسه شق) وقال:

صَارَ مَعِيَ الذَّهْرُ ذَا لِسَانَيْنِ كَالْقَلَمِ
وَصَرْتُ أَنَا مَعَهُ ذَا وَجْهَيْنِ كَالْقُرْطَاسِ
وَذَا مِائَةَ قَلْبٍ كَالذَّفْتَرِ

وَمِنْ طَرَفٍ آخَرَ مَدَحَ الشُّعْرَاءُ وَالْأَدْبَاءُ الْقَلَمَ الَّذِي أَمَكْنَهُمْ [مِنْ] كِتَابَةِ
أَشْعَارِهِمْ وَوَصَفَ مَحَبُّوهُمْ وَمَدَحَ خَالِقَ اللَّوْحِ وَالْقَلَمِ:

وَأَخْرَسَ يَنْطِقُ بِالْحُكْمَاتِ وَجِثْمَانَهُ صَامَتِ أَجْوَافُ
بِمَكَّةٍ يَنْطِقُ فِي خَفِيَّةٍ وَبِالشَّامِ مَنْطِقُهُ يُعْرِفُ⁽⁵⁴⁾

أَوْ كَمَا قَالَ ابْنُ الْمَعْتَزِ فِي الْقَلَمِ وَكُتِبَ بِهِ إِلَى الْقَاسِمِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ⁽⁵⁵⁾:

قَلَمٌ مَا أَرَاهُ أَمْ فَلَيْكَ يَجْ رِي، بِمَا شَاءَ قَاسِمٌ وَيَسِيرُ
سَاجِدٌ خَاشِعٌ يُقْبَلُ قِرْطَا سَاءَ كَمَا قَبْلَ الْبِسَاطِ شُكُورُ
مُرْسَلٌ لَا تَرَاهُ يَجْبِسُهُ الشَّ لُكُ إِذَا مَا جَرَى وَلَا التَّفَكِيرُ
وَجَلِيلُ الْمَعْنَى لَطِيفٌ نَحِيفُ وَكَبِيرُ الْفِعَالِ وَهُوَ صَغِيرُ⁽⁵⁶⁾

وَلَكِنِ الشُّعْرَاءُ لَمْ يَكْتَفُوا بِوَصْفِهِمُ الْقَلَمَ الْمَفِيدَ الْمَطِيعَ بَلْ إِنَّمَا نَجِدُ مِثْلًا فِي شَعْرِ
فَارِسِي قَدِيمٍ تَشْبِيهُاً بَيْنَ الْقَلَمِ وَشُعَاعِ الشَّمْسِ الَّذِي يَكْتُبُ نَصّاً مُبِيناً عَلَى لَوْحِ السَّمَاءِ:
قَدْ كَتَبَتِ الشَّمْسُ بِقَلَمِ الذَّهَبِ عَلَى لَوْحِ الصَّبَاحِ الْفَضِيِّ
اسْمَ أَحْمَدَ وَأَلْقَابَ أَبِي تُرَابٍ⁽⁵⁷⁾

وَالْقَلَمُ أَيْضاً طَيْرٌ غَرِيبٌ (وَلَعَلَهُ فِي ذَلِكَ إِشَارَةٌ إِلَى بَرِيدِ الطَّيْرِ الَّذِي كَانَ
اسْتِعْمَالُهُ⁽⁵⁸⁾ مَشْهُوراً فِي الْقُرُونِ الْوَسْطَى فِي بِلَادِ الْإِسْلَامِ) فَإِنَّ الْقَلَمَ كَالطَّيْرِ النَّاقِلِ
الْأَخْبَارِ:

هُوَ طَيْرٌ وَلَكِنَّهُ طَيْرٌ عَجِيبٌ لِأَنَّهُ
طَعَامُهُ مِنَ الْحَبْرِ، وَذَهَابُهُ عَلَى مَنَقَارِهِ.

وَمِنْ السَّهْلِ أَنْ يَشَبَّهُوا أَنْامِلَ الْإِنْسَانِ بِالْقَلَمِ، وَأَبْدَعَ الشَّاعِرُ الْإِيرَانِي أَبُو مُحَمَّدٍ
النِّزَامِيُّ⁽⁵⁹⁾ فِي أَقْصَوْصَةٍ «خَسَرُو وَشِيرِينَ»⁽⁶⁰⁾؛ وَرَوَى أَنَّهُ إِذَا أَرَادَتْ شِيرِينَ الْأَمْرَ

بِقَتْلِ أَحَدٍ، فَبَيْدَهَا عَشْرَةُ أَقْلَامٍ، أَيِ عَشْرَةِ أَنْامِلٍ (كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا يَكْتُبُ أَمْرَ
الإِعدامِ، لِأَنَّ كُلَّ حَرَكَةٍ أَثْمَلَةٌ لَهَا يُسَبِّبُ شَقَّ قَلْبٍ عَاشِقٍ).

ونجد أيضاً تشبيه القلم بالسَّمَكِ⁽⁶¹⁾. وأصل هذا راجع إلى الآية القرآنية «نُونُ
وَالْقَلَمِ»⁽⁶²⁾، ومن الطبيعي أن الشعراء يشبِّهُون أيضاً الدَّوَاةَ بينابيع الحياة التي فيها
"ماء الحياة" في قَطَرَاتِ سَوْدَاءٍ. ونُخْتَمُ هذا الباب ببيتٍ لحافظ الشيرازي الذي افتخر
أَن:

صَارَ صَرِيرَ قَلَمِي فِي خُلُوةِ الْكَرَوِينِ
سَمَاعاً رُوحَانِيّاً فِي عَالَمِ الْقُدُسِ.

وقد اكتشف أحد المستشرقين في إسبانيا بعض الأشعار لأبي جعفر أحمد بن
خاتمة⁽⁶³⁾ من شعراء القرن الرابع عشر ونشرها في مجلة «الأندلس» قبل مدة وجيزة⁽⁶⁴⁾
وفيها رموز كثيرة مأخوذة من صُنْعَةِ الْكِتَابَةِ، ومنها:

وَأَجَلُ عَيْنِكَ فِي وَشْيِ تَعَايِنِ كِتَاباً وَهَوَاءٌ لَهُ مِدَادُ
حَكَايَ كَاتِبِي فِي حَالَتْسِيهِ لَنَا جِسْمٌ وَلَيْسَ لَنَا فُؤَادُ
وله أيضاً:

كُتِبَتْ وَشَوْقِي يُمْلِي أَسَى سَرِيرَةٌ حَبٍّ وَشَاها الْحَلَمِ
وَلَوْ رُمْتُ خَطَاها بِسَواهِ تَلَهَّبَ بَيْنَ يَدَيَّ الْقَلَمِ

وبيته هذا، وبيته التالي:

أَرَادَ يَشْكُو لَكُمْ هَوَاهُ فَالْتَهَبَتْ أَحْرَفُ الْكِتَابَةِ⁽⁶⁵⁾

شبَّهَانِ بَيْتَ نَظْمِهِ شَاعِرٌ فِي مَمْلَكَةِ السُّنْدِ فِي الْقَرْنِ الْتَاسِعِ عَشَرَ يَقُولُ فِيهِ
بِالْفَارْسِيَةِ:

مِيخَواسْتَمِ كِه نَامِه نَوِيْسَمِ بِسَوِي دُوسْتِ
كَاغْذِ زَكْرِيَه تَرشْدِه كَلْكَمِ بَاَه سُوخْتِ⁽⁶⁶⁾

وتدل هذه المشاهدة على أن هذه الكتابة كانت معروفة في الغرب والشرق
وأما كانت كثيرة الاستعمال عند الأدباء والعُشّاق.
وأما ابن المعتز، فكتب في خمرية له ضد ذلك قائلاً:

مَنْ رَامَ فِي تَرْكِي الْمُدَامَ كَمَنْ يَكْتُبُ بِالْمَاءِ فِي الْقَرَاطِيسِ⁽⁶⁷⁾

وكثيراً ما يجد القارئ مثل هذه الأبيات في الشعر الجاهلي وعند شعراء العرب
في عهد الرسول، وقد استفاد منها العالم واسع الشهرة، كرنكو (Krenkow)⁽⁶⁸⁾
عند تصنيفه مقالاً حول مسألة مهمة: هل دَوَّنت قصائد الشعراء قديمي العهد أم
نُقلت شفهاً فقط؟ وقد أثبت أن استعمال كنايات مأخوذة من صنعة الكتابة يشير
إلى معرفتهم بهذه الصنعة؛ ونقرأ في عدد من القصائد المعروفة أن الشاعر يقارن بين
الطلل المتروكة والخط، كما قال امرؤ القيس⁽⁶⁹⁾ في هذا النصيب:

لَمَنْ طَلَّلَ أَبْصَرْتُهُ فَشَجَانِي كَخَطِّ الزُّبُورِ فِي عَسِيبِ يَمَانٍ⁽⁷⁰⁾

وذكر هو الخط المكتوب على عَسِيبِ يَمَانٍ⁽⁷¹⁾، وذكر حاتم الطائي⁽⁷²⁾ الرِّقَّ
في مثل هذا المطلع:

أَتَعْرِفُ أَطْلَالاً وَنُؤِيّاً مُهْدِماً، كَخَطِّكَ، فِي رِقٍّ، كِتَاباً مُتَمَنِّماً⁽⁷³⁾

وبحث بعضهم عن «رسم كالطَّرَاد»⁽⁷⁴⁾ المذاهب» أو «الرِّقَّ المكتوب فيه أيام
العجم»، وقال الأخطل⁽⁷⁵⁾ في الأطلال:

فكأنما هي، مِنْ تَقَادُمِ عَهْدِهَا وَرِقٌّ نُشِرَ مِنْ الْكِتَابِ بَوَالِي⁽⁷⁶⁾

حتى أن حسّان بن ثابت⁽⁷⁷⁾ الشاعر المسلم في عهد الرسول يشبّه ديار زبيب
المتروكة بخط الوحي على رِقٍّ. ولقد شعراء العجم هذا التشبيه مع أنه لا يتفق مع
الحضارة الفارسية. لذلك قال متوجّهري⁽⁷⁸⁾ وهو من قدماء الشعراء الفارسيين
(وهو يُومئ إلى الوزير المشهور صاحب ابن عباد)⁽⁷⁹⁾:

رُسُومُ الطَّلَلِ وَالْدِيَارِ وَالِدَوَارِسِ
كَأَنَّمَا تَوْقِيعُ الصَّاحِبِ عَلَى صَدْرِ الْمُنْشُورِ

قد وَقَّعَ النَّسْرِينَ عَلَى أَوْرَاقِ السَّنْبِيلِ
كَمَا تَقَعُ عَلَى الْقِرْطَاسِ خُطُوطُ الْكَاتِبِ⁽⁸⁰⁾

وبعد مدّة أصبحت كناية الورق والخط كثيرة الاستعمال فيما بين العرب
والعجم، فشَبَّهُوا بالورق كل شيء ذي سطح بسيط مثل السماء والعين وتراب
الصحراء أو ماء الحياض. وقال لذلك الشاعر التركي (الفضولي):

يَكْتُبُ الدَّمْعُ الْأَحْمَرُ أَسَاهُ عَلَى مَقْلَةِ الْعَيْنِ وَلَا يَدْرِي

أَنَّهُ لَا يَقْرَأُ الْخَطَّ الْمَكْتُوبَ بِالْدَّمِ عَلَى أَوْرَاقِ حُمْرَاءِ

ووصف هذا الشاعر الكبير نفسه بجمال الشمس الطالعة في بيت آخر وقال:

لَيْسَ هَذَا بِلَوْحِ الشَّمْسِ، بَلْ هُوَ خَطٌّ ذَهَبٌ فِي السَّمَاءِ

وقد أخذ ملاك بيده ورقاً من كتاب جمالك

وأحب شعراء العرب أن يشَبَّهُوا منظرًا عجيباً أو ماءً مهتزاً بأسطر مجهولة

المعنى. وأشار الشماخ⁽⁸¹⁾ في أوائل الإسلام إلى خط اليهود في أحد أبياته وقال:

كَمَا خَطَّ عِبْرَانِيَّةٌ يَمِينَهُ بِتِيْمَاءٍ جَدُّ ثُمَّ عَرَضَ أُسْطَرًا⁽⁸²⁾

وقال ابن المعتز في الرَّاح:

فَإِذَا مَا الْمَاءُ خَالَطَهَا

وَتَبَدَّتْ فِي أَسْرَهَا

أسطر مجهولة الكلم⁽⁸³⁾

وقد ظن أن الماء المزوج بالخمر يكتب فيها أسطراً حروفها من شعر

الزعفران.

شاهد المسلمون أن خط الروم ومن يليهم من أهل الغرب على العموم كان

مقلوباً يكتبونه من اليسار إلى اليمين، فأصبحت عبارة «خط النصارى» في الأدب

الفارسي رمزاً لشيء غير مرضي. وقال الخاقاني⁽⁸⁴⁾ في العصر الثاني عشر في إيران:

إِنَّ الْفَلَكَ أَكْثَرَ انْقِلَاباً مِنْ خَطِّ نَصْرَانِيٍّ.

يشير ذلك إلى سوء خطّه؛ وتبنّى الشعراء في تركيا هذا الرمز الذي يستعملونه

كلما أرادوا أن يخبروا عن بلايا الحياة المكتوبة على اللوح المحفوظ. ولا عجب أن

أسماء الخطّاطين الكبار كانت معروفة في ملة تفتخر بكتابتها، وقد يعرف الأدب
أسماء ابن مقلة⁽⁸⁵⁾ وابن البواب وياقوت المستعصمي⁽⁸⁶⁾ وآثارهم، وأشار إليهم
شعراء العرب والعجم، وأمكن مثلاً للشاعر التّجنيّس⁽⁸⁷⁾ باسم ابن مقلة ومُقلّة العين
وقال بعضهم في ذلك:

سَبَقَ الدَّمْعُ فِي الْمَسِيرِ الْمَطَايَا إِذَا رَوَى مِنْ أَحَبِّ عَنْهُ بَقْلَةٌ
وَأَجَادَ السُّطُورَ فِي صَفْحَةِ الْخَدِّ وَلَمْ لَا يَجِيدُ وَهُوَ ابْنُ مُقْلَةٍ⁽⁸⁸⁾
وقال آخر:

تَسْلَسِلُ دَمْعِي فَوْقَ خَدِّي أَسْطَرًا وَلَا عَجَبُ مِنْ ذَاكَ وَهُوَ ابْنُ مُقْلَةٍ⁽⁸⁹⁾

وشبيه بذلك نجد اللعب الظريف باسم «ياقوت»، وتوجد في تذكرة الشعراء
لدولة شاه الإيراني قصيدة بقلم عصمة الله البخاري⁽⁹⁰⁾ مملوءة بتعبيرات صَنَعَةُ الْخَطِّ،
ومنها:

كَانَ قَدْ ظَهَرَ فِي قَلْبِ اللَّيْلَةِ رَجَاهُ الْمُشْتَرِي
مِثْلَمَا تَلَأَلَّتْ نُقْطُ الذَّهَبِ مِنْ حَوَاشِي الْخَطِّ
وَيَصِيبُ يَاقُوتًا مِنْ ابْنِ مُقْلَةٍ مَنْ يَرَى
نَقْشَ الْخُطُوطِ الْمَعْبُورَةِ عَلَى الْفُضَّةِ الْخَامِ.
وقال جعفر جلي⁽⁹¹⁾ الشاعر التركي في القرن الخامس عشر في ذلك:
إِنْ خَطَّ الرِّيحَانِي فِي شَفْتَيْكَ
أَفْضَلَ مِنْ خَطِّ يَاقُوتٍ

ويقصد بخط الريحاني؛ الشَّارِبُ النَّابِتُ عَلَى وَجْهِ الشَّابِّ. ومن المعلوم أن خط
الريحاني أحد أنواع الخط العربي وذَكَرَهُ الشعراء في أشعارهم خاصة عند مشاهدتهم
بين البستان وبين كِتَابٍ يَكُتُبُ فِيهِ الصَّبَا أَسْطَرًا بِهَيَّةٍ مِنْ خَطِّ الرِّيحَانِي، أي تزيّنه
برياحين زاهرة كثيرة الأشكال والألوان. فإن البستان في نظر الشعراء لَوْحٌ أَوْ
صَحِيفَةٌ يَكْتُبُ عَلَيْهَا السَّنْبِلُ غَزَلًا جَدِيدًا (كما وصفه الباقي الشاعر التركي
الفصيح) وأصبح النَّدَى مثال الخاتم على أوراق مَكْتُوبِ الْأَزْهَارِ.

وقد فهم مولانا جامي الإيراني⁽⁹²⁾ أن الخشخاش النبات من تراب الحديقة «رسالة بَعَثَ بها الذين تحت التراب». وبَدَأَ لبعضهم أن الورد ذات الألف ورقة مثل منشور العشق في البستان، وظنَّ آخر أنه قد قرأ في الزنبق «خط طومار مكتوب بالزعفران»، وكان قَلَم⁽⁹³⁾ الطومار على ما نستخلصه من كتاب القلقشندي وغيره «قلم جليل وكان الخلفاء يكتبون علاماتهم به».

وأما الزعفران، فاستعملوه في مصر لتخليق مقياس النيل في أيام الوفاء، وللتزيين في العيدين أو في المراسم السلطانية، ولذلك يمكن للعاشق أن يدَّعي أنه «كتب كلمات المحبة في دفتر الطومار»، ولكن لا بد أنه بالغ غاية المبالغة الشاعر الذي زعم أن «كاتب الأفلاك حرَّر أشعاري بخط الطومار على ورق السماء».

ومن جهة أخرى نجد الكناية بخط الغبار (المستعمل في بريد الطير مثلاً)، وقال الحافظ الشيرازي:

لو وَقَعَ بيدي تراب كَفَّ قَدَمَ حبيبي
لمسحته على لوح بصري كأنه خط الغبار

وقال آخر مثل ذلك في الخط الذي يدعوه «قيرمه»⁽⁹⁴⁾ أو «شِكِسته»⁽⁹⁵⁾ أي «المكسور» ويشبه به جسمه المكسور من أجل انكسار خياله.

ومن الرموز والإشارات التي تسترعي انتباهنا وتنال إعجابنا هي تشبيه الخط والكتابة بالشارب واللحية النابتة على عذار الشاب التي تسمى في الأدب الإيراني والتركي «خَطًّا». ونصادف هذا التشبيه في قصائد جميع شعرائهم سواء أكانت لحافظ الشيرازي [حيث يقول] في ذلك:

بهذا الرِّقْم الجميل الذي نقشت على وردة الوجه
خَطَطْتُ خَطًّا على ورق الورد والبستان

ومثال ثانٍ نأخذه من ديوان السلطان جم العثماني⁽⁹⁶⁾ (المنحوس) الذي لقي حتفه على يد الفرنج في سنة 1495م؛ [حيث] قال:

كَأَنَّ طُومَارَ البنفسج رقم لدرج خَطِّكَ
وإنَّ دفتر الورد ورقة لرسالة الجمال

وكان التشبيه بين البنفسج والشارب الثابت وبين الورد والوجه معروفاً لدى الشعراء منذ عصور كثيرة في الأدب الإسلامي. وشبه بعضهم شارب المحبوب بأحرف سحرية:

كَانَ خَطُّكَ طَلَّسَمَ حَوْلَ شَفَتَيْكَ
يَكْتُبُ سِحْرًا بِالمَسْكَ لِأَجْلِ حَلَاوَتِكَ،
يَا حَبِيبِي !

وبإمكان كل من يطالع الأدب الفارسي والتركي أن يزيد على هذه الأمثلة. إن كثيراً من الشعراء غرّموا كذلك باستعمال كناية طُغراء⁽⁹⁷⁾ الكتاب أو عُنوانه المُرقوم بأجل شكل والمزّين بالذهب أو بالألوان الباهرة وأخذوا تشابك حروفه مثلاً للأطلال وموازنة خطوطه مثلاً لأهداب المحبوب وقد قال في مثل ذلك أحد الشعراء القدماء، وهو أبو داود الكلابي⁽⁹⁸⁾ وأحسن:

لَمَنْ طَلَّلَ كَعُنوانِ الْكِتَابِ بِبَطْنِ آفاقٍ أَوْ بطنِ الذَّهَابِ⁽⁹⁹⁾

أما الشعراء الإيرانيون ومن تأثر بهم، فشبّهوا حاجبي المعشوق بالطُغراء وقد أفاد الحافظ الشيرازي عن أمله:

بأن يأخذ "منشور" عشقي
"طغراء" من قوس ذلك الحاجب⁽¹⁰⁰⁾

أو بحث عن مكتوب الوفاء الموعود الذي كان حاجب عين المحبوبة طُغرائه، وخاتم عنوانه مأخوذ من دم عيني الشاعر نفسه. ورأى هو، ومعه كثير من مواطنيه، في حاجب العين طغراء مكتوبة بيد الخالق على الوجه القمري. أو «طغراء كتاب الحسن».

واعتماد الشعراء الأتراك في الدولة التيمورية⁽¹⁰¹⁾ على الأخذ بمثل هذه الكسنيات. ونورد هنا على سبيل المثال مير علي شيرنوائي⁽¹⁰²⁾، الشاعر الشهير في مدينة هراة⁽¹⁰³⁾ في أواخر القرن الخامس عشر عندما خاطب معشوقه:

يَا مَنْ صَحِيفَةِ عَذَارِكَ إِنشاءَ خطِ الأَزَلِ
يَا مَنْ نَقْطَةِ الأَبَدِ طُغراءَ فِي دِيباجةِ حَسَنِكَ !

ويبدل مير علي شيرنوائي في مِصْرَاعِيهِ هذين على الجمال الأزلي والأبدي (ونقطة الأبد هي النقطة تحت حرف الباء في كلمة أَدُّ وهي عند أهل التصوّف محتوية على الحكمة الأبدية) الذي يتجلى في وجه المحبوب، وهذا يتّفق مع طريقة مذهب الحروفية في الشرق الأدنى.

ونصادف مثل هذا البيت في أشعار معاصر مير علي شيرنوائي، السلطان الإيراني شاه إسماعيل الصفوي⁽¹⁰⁴⁾ الذي ألف ديوانه باللغة التركية أيضاً، وهو تحت تأثير عَنَعَنَة⁽¹⁰⁵⁾ المتصوّفة ومذهب الحروفية، وقال في أحد أشعاره يقلّد أسلوب الحروفية:

يا مَنْ آية جمالِكَ عنوان الديوان القديم

وطُغراء حَاجِبِكَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ !

وهناك تشبيه آخر نجده في آثار بعض الشعراء وهو تشبيه الشمس أو البدر بالطغراء المذهّبة، ففي شعر لمولانا جلال الدين الرومي:

طغراء دولة عشق الحق على توقيع الشَّفَق

(وفي هذا إيحاء مخفي إلى معشوقه شمس الدين التبريزي).

ولله درّ الشاعر التركي غني زاده⁽¹⁰⁶⁾ الذي ألف قصيدة طويلة في معراج النبي

قال فيها:

كتب عطار د حكم هذا السلطان على السماء

وأصبح له الليلة خطّاً والأنجم رَمَلاً وِغُرّة القمر طغراءً

ويقول في بيت آخر من هذه القصيدة:

لما أَمَحَى الفلك دَمْعَةَ الشمس الحمراء

رُقِمَ ظِلُّ الأرض المَخروطي طغراءً عنبرية

وأدخلنا مثال الطُغراء في شعر شاه إسماعيل الصفوي المذكور إلى رمز آخر

وهو الكناية بالمصحف. وكان المصحف على العموم مثال معروف عند الشعراء منذ قديم الزمان، إذ قال فيه ابن المعتز:

مصحف ورّاق أدقُّ نُسخاً⁽¹⁰⁷⁾

والليل في مَغْرِبِهِ قد رسخا

وقال أيضاً:

[جَلَا لِكُلِّ شَيْخٍ نَائِي الدَّارِ] فَارِسَ كَفَ مَائِلَ كَالْأَسْوَارِ
ذُو جُوجُوٍّ مِثْلَ الرُّخَامِ الْمَرْمَارِ أَوْ مُصْحَفٍ مُنَمَّنٍ ذِي أَسْطَارِ⁽¹⁰⁸⁾
وقال أحد الشعراء السوريين المحدثين وهو أنور العطار⁽¹⁰⁹⁾ في وصفه لنهر
بَرَدَى:

خَطَّ فِي مُصْحَفِ الْوُجُودِ سُطُورًا بَاقِيَاتِ تَخْتَالُ تِيهَاً وَكِبَرًا⁽¹¹⁰⁾

ولم يستعمل الشعراء كلمة المصحف في معناها الأصلي فحسب، بل إننا
نجدها أيضاً بمعنى «مصحف شريف» عند كثير من الشعراء الغير العرب،
وعندهم كثر تشبيه الوجه الحسن بالمصحف الشريف لأنه يحتوي على كل ما
خلقه الله من آيات الجمال، وهو «نسخة الأسرار الإلهية». وكان الممثل الشهير
لهذا الطراز الشاعر الحروفي التركي تسيمي⁽¹¹¹⁾ المعلوم سنة 1417م لأجل
زندقته، وقد قال، وتبعه عدد غير قليل⁽¹¹²⁾ من شعراء إيران وتركيا
والهندوستان:

حِجَابُ عَيْنِكَ وَأَهْدَابُكَ وَشَعْرُكَ الْمِسْكَى أَمَ الْكِتَابِ⁽¹¹³⁾،
صار إمام أهل التوحيد وقرآهم.
وكتب أحدهم في بلاد السند:

وَجْهَكَ مِثْلَ الْمُصْحَفِ بَلَا سَهْوٍ أَوْ غَلَطٍ
قَدْ كَتَبَهُ قَلَمُ الْقَضَاءِ مِنْ مِسْكِ فَقَطٍ
عَيْنِكَ وَفَمُكَ آيَةٌ وَوَقْفٌ، حَاجِبُكَ مَدَّةٌ
أَهْدَابُكَ إِغْرَابٌ، خَالُكَ وَشَارِبُكَ حَرْفٌ وَنُقْطَةٌ⁽¹¹⁴⁾

مع إننا لا نستحسن المقايسة بين القرآن والوجه، فإننا نعتز أن مولانا جلال
[الدين] الرومي أحسن استعماله إذ قال:

الأوراق في البستان كأنها مكاتيب مرقومة عليها بالخط الأخضر،
فاطلب شرح هذه الخطوط ممن عنده أم الكتاب

وإن شَبَّه الشاعر وَجَهَ محبوبته بالمصحف الشريف لِحَمَالِهِ وَكَمَالِهِ، فله أيضاً أن يعبر عن تفرّعات هذا الجمال بالحروف المنقطعة التي تُوجد في ابتداء بعض السور القرآنية. مثلاً «ألم»، كما قال بعضهم في بلاد الهند:

إِنَّ الْفَمَّ وَالصَّدْغَ وَالْقَدَّ الْمُسْتَقِيمَ

إِنِّي عَلَى حَقِّ أَنْ قُلْتُ أَلْفَ وَلامٍ وَمِيمٍ

كما تشير هذه الحروف إلى ما يحسّه الشاعر عند فراق محبوبته؛ أي إلى الألم.

نرغب الآن في ذكر استعمال حروف الهجاء كرموز في الأدب الإسلامي:

أ. كان لحرف الألف⁽¹¹⁵⁾ أهمية فائقة عند أهل التصوف لأنه في مقام «أَحَدٌ» وصار رمزاً لوحدة الله المطلقة، وكثيراً ما يحكي في المناقب بأن فلان أو فلان لم يتعلّم من الحروف الهجائية إلا الحرف الأول واستغنى عن الحروف الباقية لأن الألف تشتمل على كل شيء كما أن الوحدة الإلهية منبع كل ما في الكون، كما نُقل عن سهل التستري الصوفي⁽¹¹⁶⁾ (المتوفى عام 896م) أنه قال: «الألف أول الحروف وأعظم الحروف وهو الإشارة في الألف، أي: الله الذي ألف بين الأشياء وانفرد عن الأشياء»⁽¹¹⁷⁾.

وقالوا إنَّ يونس إمّره الشاعر التركي (المتوفى سنة 1321م) اكتفى بالألف وقال: «إنَّ المعنى الكامل للكتب الأربعة في ألف واحدة».

وَرَوَا مِثْلَ هَذَا عَنْ شَاهِ عَبْدِ اللَّطِيفِ السَّنْدِيِّ⁽¹¹⁸⁾ المتصوّف في القرن الثامن عشر، وذكر هذا الشاعر الكبير «الحرف الحَقَّاني» الذي في ابتداء «سَبَقِ الأَلَمِ» وأيضاً في «وَرَقِ الوِصَالِ» وقال:

قَدْ وَضَعْتُ مِيمًا فِي رُوحِي (أَي اسْمَ مُحَمَّدٍ)

وَقَبَّلَهَا أَلْفًا (يَعْنِي الْاسْمَ الْأَعْظَمَ)

وقد قارن الشعراء الإيرانيون هذه العَلَامَةَ الصوفية بتشبيه آخر وهو أن المحبوب الظريف يُشابه الألف، وقال مثلاً الحافظ الشيرازي وهو يُومئ إلى حكايات المتصوّفة المقدّم ذكرها:

لَيْسَ عَلَى قَلْبِي إِلَّا أَلْفٌ قَامَةٌ حَبِيبِي

مَا الْعَمَلُ الْآنَ؛ مَا عَلَّمَنِي أَسْتَاذِي غَيْرَ ذَلِكَ!⁽¹¹⁹⁾

وتدلّ على هذه المشاهدة البارزة بين قَدِّ الألف والقَامَةِ الإنسانية حكاية جاءت في كتاب الأستاذ إسماعيل حقيّ بالطهجي أوغلي⁽¹²⁰⁾ عن صَنَعَةِ الحَظِّ عند الأتراك، قال فيها إن بعض أساتذة الحَظِّ في استانبول إن أراد أن يُبينَ الفرقَ بين أَلِفٍ مَرْقُومَةٍ بقلم الأستاذ مصطفى راقم⁽¹²¹⁾ وأَلِفٍ مَكْتُوبَةٍ بيد محمود جلال الدين⁽¹²²⁾ كان يقوم - وكان طويل القامة واللحية- رافعاً رأسه مادّاً لحيته فاتحاً عينيه كالغاضب ويقول: «هذه أَلِفُ مصطفى راقم ثم كان يقوم خاشعاً متواضعاً جاراً لحيته على صدره مُطبقاً عينيه: هذه أَلِفُ محمود جلال الدين». وفهم التلامذة الفرق بين الطرزين بغير صعوبة.

وقد قال ابن المعتز وما أبدعه:

وكانَ السُّقَاةَ بَيْنَ التَّدَامِي أَلِفَاتٌ عَلَى السُّطُور قِيَامٌ⁽¹²³⁾

وأَحْسَنَ شاعرٍ مشهورٍ منسوبٍ إلى الطريقة المولوية⁽¹²⁴⁾ في استانبول وهو الشيخ غالب⁽¹²⁵⁾ (المتوفى عام 1799م) هذا التشبيه في أقصوصته المؤثرة (حُسْنُ وَعَشْقٍ)⁽¹²⁶⁾ وروى كيف درس الولد المسمى بعَشْقٍ حُرُوفَ الهجاء في المكتبة وكان كل حَرْفٍ يحتوي على ذكرى صديقه «حُسْن».

فكلما قرأ أَلِفاً ذَكَرَ قَامَتِهَا

وارتفعت نَوَحَتُهُ إِلَى الْعَرْشِ

وكلما قرأ جِيماً دَلَّ ذَلِكَ عَلَى صَدغِهَا

وهكذا في الحروف كلها، كما فعله أيضاً شاعر سندي في القرن السابع عشر وقد ترجمنا مثنويّه الفارسي في صحيفة من هذه المجلة⁽¹²⁷⁾.

وأعطى الفضولي الشاعر التركي الشهير الألف معنى آخر، فرأى في السَّهْمِ الذي أَلَقْتَهُ أَهْدَابَ المعشوقة في عَيْنِ العاشقِ الباكِية «أَلِفاً مَكْتُوبَةً بالدم».

أما الشعراء الحديثون، فعندهم تشبيهات غير مستعملة ولكنها ظريفة، مثلاً إذا قارن أمير الشعراء أحمد شوقي⁽¹²⁸⁾ أعمدة⁽¹²⁹⁾ قصر الحمراء⁽¹³⁰⁾ في غرناطة بأَلِفَاتٍ متوازنة جميلة.

ب. أمّا الباء⁽¹³¹⁾، فليست من الحروف الكثيرة الاستعمال في رموز الشعراء، وإن كانت ذات أهمية عند أهل التصوّف والحروفية لأنها الحرف الأول في القرآن

المجيد، وقال بعض المتصوفين الإيرانيين إن حرف القرآن الأول الباء وحرفه الآخر السين ومعنى هذين الحرفين «بس» أي «كاف» بالفارسية؛ لأن القرآن يكفي للعالم والآخر⁽¹³²⁾.

ومنهم من يرفع من شأن النقطة تحت الباء التي هي «رأس البسملة» ظناً أنها منبع الحروف كلها. ونادراً ما نصادف الباء في الشعر، وقال أحد الشعراء القدماء في تركيا:

إن الباءات قد سَترت رؤوسها
وصارت التُّقط لهم دموعاً

ت.ث. ومثل ذلك يصاب أيضاً في التاء والتاء.

ج. وقد ذُكر حرف الجيم ككناية [عن] الصّدغ أو الخصلة، وهذا من التشبيهات المعروفة عند العرب والعجم. ونجد أيضاً بعض الشعراء الذين يرون في حرف الجيم أذنًا جميلة الشكل.

د. كثيراً ما يقرأ القارئ أن قامةَ العاشق المشبهة بالألف قد صارت دالاً إذا غمره الحزن. حتى أن الفضولي التركي غالى في هذا التشبيه إذا شكى من آثار ظلم محبوبه:

قد حنّت قامتي،

وإن نَسيت رأسي، فأنا معذور

لأنه لا توجد نقطة على الدال

وأحسن مولانا جلال الدين الرومي هذا التشبيه وزاده تخليساً زائداً إذ قال:

إنّ قلوب (دلها) العاشقين أصبحت دالات (دالها).

ر. أما حرف الراء، فقد شبهه⁽¹³³⁾ الشعراء بالسكّين والخنجر، ومن السهل عليهم كذلك أن يشبهوه بالهلال، وقد وصف الباقي⁽¹³⁴⁾ الشاعر التركي المشهور (المتوفى سنة 1600م) الهلال في أوائل شهر رمضان:

أهو نُونٌ إذا يبدو في آخر شعبان

أم راء في ابتداء رمضان؟

س. أما السين، فهي بلا شك مثال الأسنان أو قُل بالأحرى مثال أسنان المنشار الذي يجرح شفتي العاشق ويمنعه من أن يقبل المعشوقة حتى أنه يقطع حياة العاشق المسكين الذي يرى مثل هذا الحرف في كتابه ويذكر عند قراءته أسنان المحبوب، كما وصفه الشيخ غالب في أقصوصه المذكورة.
ويخالفه في ذلك مولانا جلال الدين الرومي الذي مدح تبسم معشوقه شمس الدين التبريزي قائلاً:

أما شمس التبريزي الذي هو فخر الأولياء

فصارت سين أسنانه لي مثل يس

ويمكننا أن نرى أيضاً مع بعض الشعراء في السين المشط الذي تمشط به البنت اللطيفة خصل شعرها.

ش. وربما أصبحت النقطة الثلاثة على الشين دموعاً سقطت من عين العاشق.
ص. أما الصاد، فأحب الشعراء تشبيهها بالمقلة الإنسانية. كما فعل ذلك جلال الدين [الرومي] مثلاً، أو بحاجب العين.

ومن أطرف ما قيل في هذا الحرف أبيات ابن المعتز في إحدى خمرياته حيث استعمل التجنيس المشهور خط (بمعنى اللحية، الشارب) وخط (من الحروف) الذي تقدّم ذكره، وقال:

كَأَنَّ خَطَّ عِذَارٍ، شَقَّ غَارِضُهُ مِيدَانُ آسٍ عَلَى وَرْدٍ وَنَسْرِينَ
وَحَطَّ فَوْقَ حِجَابِ الدَّرِّ شَارِبُهُ بَنَصْفِ صَادٍ وَذَالِ الصُّدْغِ كَالْتُونِ⁽¹³⁵⁾
ق. لابن المعتز تشبيه آخر بحرف القاف الذي لم يُستعمل في هذا الفن إلا نادراً بالنسبة إلى الحروف الأخرى:

[ظَلَلْتُ بُنْعَمَى خَيْرَ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ] يَدُورُ عَلَيْنَا الْكَأْسُ فِي فِتْيَةِ زُهْرٍ
بِكَفِّ غَزَالٍ ذِي عِذَارٍ وَطُرَّةٍ وَصُدْغِينَ كَالْقَافَيْنِ فِي طَرْفِي سَطْرِ⁽¹³⁶⁾
ل. أما اللام، فنجدها كالمثال المشهور لحصل الشعر.

م. كان أهل التصوف ومذهب الحروفية يعلّقون أهمية كبرى على حرف الميم وهذا لأنه [كما قيل]:

از احمد تا احد يك ميم فرق است

جهاني اندر آن يك ميم غرق است⁽¹³⁷⁾

وكان حرف الميم رمزاً للرسول الأكرم محمد⁽¹³⁸⁾، وفهم المتصوّفون ومن على رأيهم أن الفرق بينه في صفته كإنسان كامل وبين الله تعالى الذي هو أحد، ميم واحدة، ولما كان عدد الميم في حروف الأبجدية 40⁽¹³⁹⁾ قالوا إن بين الإنسان وبين الله جلّ جلاله أربعين مرتبة يجب على السالك أن يرتقيها في سلوكه نحو الحق، كما كتب ذلك مفصلاً عبد الكريم الجيلي⁽¹⁴⁰⁾ في رسالته المسماة بكتاب الأربعين مرتبة⁽¹⁴¹⁾.

أما الشعراء الغير متصوّفين فما زالوا يشبهون الميم بالفم، كأن فم كل محبوب صغير ضيق للغاية، والفم الصغير كان يُعدّ مثال الجمال منذ القرن الحادي عشر أو الثاني عشر تقريباً في بلاد العجم، فشبهوا الفم الجميل بميم على صحيفة البدر. وكانت الميم رمزاً للضيق على الإطلاق، كما قال بعضهم مشيراً إلى ميم الفم الضيق وفي الوقت نفسه إلى سوء بخته:

صارت الدنيا لي مثل ميم من أجل ميمه

وتنهّد الظهير الفريابي الإيراني⁽¹⁴²⁾:

ما بقى من وجودي فيما بعد إلا حرفين

قلب (ضيق) كالميم وقامة مثل خلقة النون

وإن شبه يونس إمره مُقلّة العين بالميم فهذا لا يعدو أن يكون تشبيهاً استثنائياً.

أمّا في الأدب العربي من العصر⁽¹⁴³⁾ العباسي، فأبدع ابن المعتز:

قدح تكتب فيه كف المزاج لنا ميمات سطر بغير تعريق⁽¹⁴⁴⁾

ن. وكانت السُّون في دولة العباسيين مثال الهلال، ولكن في الأكثر نجدها رمزاً للصدغ:

[غلالة خدّه صبغتُ بورد،] وثون الصدغ مُعجّمة بخال⁽¹⁴⁵⁾

كما وصفها ابن المعتز في كثير من أبياته، وكذلك الفضولي التركي بعد مضي سبعة قرون في بيته:

قامتك نهال⁽¹⁴⁶⁾ السرو، وحاجبك نون على هذا النهال

وخالك مثال نُقطة التون على هذا الغزال المسكي

ومن الطبيعي أن علاقة⁽¹⁴⁷⁾ الثون بالآية القرآنية من جهة، وبالسَّمَك من جهة أخرى⁽¹⁴⁸⁾، أُمَكَّن الشعراء أن يستعملوها في وصفهم «سَمَك النون» أو «سَمَك القلم» ومثل ذلك⁽¹⁴⁹⁾.

هـ. وكانت الهاء الحرف السري عند المتصوفين الذين اعتبروها الإفادة الكاملة عن هُوية الله وصنّفوا رسائل في أسرار اللاهوت، وقد شاهد ابن عربي⁽¹⁵⁰⁾ الهُوية الإلهية في شكل حرف الهاء البرّاقة الزاهية على بساط أحمر وبين يدي هذه الهاء التي تضيء بشعاعها الأفلاك ظهرت كلمة «هُو»⁽¹⁵¹⁾. وكانت الهاء في خيال الشَّعب التركي مثل العَيْن الإنسانية، ونرى في بعض البيوت في تركيا رسوم غريبة مكتوب فيها البيت المشهور المنسوب إلى مولانا جلال الدين الرومي:

آه من العشق وحالاته

ونرى على هذه الصورة أن هَاء كلمة «آه» (= هـ) تقطر من عَيْنها (لأن في الهاء الحقيقية عَيْنين اثنتين) دموع كالسَّيل في الربيع. ويقولون في تركيا «هانك ايكى كوزي ايكى حشمة»؛ أي: عَيْنَا الهاء عَيْنَان (أو يُنبوعَان). وأخذ آصف حالت جلبي وهو شاعر تركي معاصر⁽¹⁵²⁾ هذه الهاء الباكية عنواناً لكتاب له.

و. أما الواو، فقد رَسَمَهَا الخطّاطون في تركيا في شكل زَوْرَق له مَقَادِيف إذا كتبوا كلمات [...]»⁽¹⁵³⁾؛ ولكن هذا الحرف لم يُستعمل في كثير من التشبيهات، وعلينا أن نرجع مرة أخرى إلى ابن المعتز الذي قال في «قهوة زُوِّجَت بدمع»:

مِثْل نَسْجِ الدُّرُوعِ أَوْ مِثْلِ وَاوَاتِ تَدَانَتْ سَطُورُهَا فِي كِتَابِ⁽¹⁵⁴⁾

لا. وكان حرف لام أَلَف⁽¹⁵⁵⁾ أحد الحروف المحبوبة عند الشعراء والأدباء، ويوجد فيه حديث شريف؛ رَوَاهُ الشَّيْخ أَبُو الْعَبَّاسِ الْبُؤي⁽¹⁵⁶⁾ في كتابه «لطائف الإشارات في أسرار الحروف المَعْلُومَات»⁽¹⁵⁷⁾: «يروى عن أَبِي ذَرِّ الْغِفَارِيِّ⁽¹⁵⁸⁾ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كُلُّ نَبِيٍّ مَرْسَلٌ بِمِ يُرْسَلُ؟ قَالَ: بَكِتَابٍ مُنْزَلٍ. قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ كِتَابٍ أُنْزِلَ عَلَى آدَمَ؟ قَالَ: أ ب ت ث ج إِلَى آخِرِهِ. قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَمْ حَرْفٍ فِيهِ؟ قَالَ: تِسْعٌ وَعِشْرُونَ. قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَدَدَتْ ثَمَانِيَةً وَعِشْرِينَ، فَغَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حَتَّى احْمَرَّتْ

عيناه، ثم قال: يا أبا ذر، والذي بعثني بالحق نبياً ما أنزل الله تعالى [على آدم] إلا تسعة وعشرين حرفاً. قلت: يا رسول الله، فيها ألف ولام. فقال عليه السلام: لام ألف حرف واحد، أنزله [على] آدم في صحيفة واحدة، ومعه سبعون ألف ملك، من خالف لام ألف فقد كفر بما أنزل على آدم ومن لم يعد لام ألف فهو بريء مني وأنا بريء منه. ومن لا يؤمن بالحروف وهي تسعة وعشرون حرفاً لا يخرج من النار أبداً»⁽¹⁵⁹⁾.

قال أحد الشعراء في عهد الرسول:

أقبلت من عند زياد كالحرف

يخط رجلاي بخط مختلف

يكتبان في الطريق لام ألف⁽¹⁶⁰⁾

ونستدل من هذه الأسطر أن لام ألف كان يُعتبر حرفاً واحداً في ذلك الوقت القلسم. وصارت فيما بعد رمزاً لمقارنة شيئين، مثلاً تلاقي جيشين أو مُعانقة العاشقين كما استعمله الحريري⁽¹⁶¹⁾ وكثير من الأدباء في التّظلم والنثر، وتبنّى الشعراء في بلاد العجم هذا الرمز الظريف وقالوا:

عانقته عناقاً مثل لام ألف

ونصادف التشبيه نفسه في اللغة السّندية وقال شاعر مملكة السّند الأكبر، شاه عبد اللطيف. في رسالته مخاطباً كاتب القضاء الأزلي:

يا كاتب، مثلما علّقت الألف باللام

فكذلك صارت رابطة الحبيب بقلبي

وربما كانت المناسبة التي يشير إليها اقتران اللام بالألف غير مفيدة، كما قال مولانا جامي في «تحفة الأبرار» أن التردّد على فاسق [من] الناس مضرّ لخلق الشاب كما أن الألف المستقيمة القَد تُصبح عوجاء عند اقترانها باللام، فتُصبح تابعة لمثال الحرف الأعوج.

ومما يبعث الحيرة أن الشاعر التركي المعاصر الذي مرّ ذكره، آصف حالت جلبي⁽¹⁶²⁾، صنّف علاوة على كتابه «هـ» كتاباً اسمه «لام ألف» يقياس فيه اللام ألف بالإنسان الذي رفع يديه مستعيناً مستغيثاً:

ذَرَاغَاهُ فِي الْهَوَاءِ

الْأَمَانِ

ذَرَاغَا لَامَ أَلِفٍ

هُمَا ذَرَاغَاكَ

وَبَطْنَ لَامَ أَلِفٍ

هُوَ بَطْنُكَ

ذَرَاغَا لَامَ أَلِفٍ

قَدْ عَانَقَانِي.

لم يكتف الشعراء باستعمال مختلف الحروف في تشبيهاتهم بل شبهوا كذلك النُّقْطَ التي على الأحرف بالخَالِ الذي يُزَيِّن وَجْهَ المحبوب، وقال بعضهم:
لا تظن أنه خال، بل هو نُقْطَةٌ رَقْمَهَا كاتب ديوان الجمال
وفاقه الحافظ الشيرازي عندما نَظَّمَ:

لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَضَعَ نُقْطَةً خَالِكَ عَلَى لَوْحِ الْبَصَرِ

وربما وَجَبَ عَلَيْنَا أَنْ نَطْلُبَ حَبِراً مِنْ إِنْسَانِ الْعَيْنِ

وأصبحت العين ذاتها أيضاً من موضوعات المقايسة، ومن الطبيعي أن يشبه الشعراء الأهداب بالقلم، وصار إنسان العين الأسود «لوحة أسوداً ينقش عليه خيال خط (أي شارب)»⁽¹⁶³⁾ الحبيب». ولكن الفضولي [الشاعر] تأسَّفَ لأنه في هذه الحالة يُضَيِّعُ الخط الحسن لأنه يصبح:

كتابة سوداء على الأسود، فلا فائدة لها.

ومن المعلوم أن الخطَّاطين في القرون الوسطى أحسنوا الكتابة بالخطِّ الملون على قرطاس ملون أو مُدَهَّب، والبيت المذكور يُؤمِّي إلى هذه الصَّنعة: الخطُّ الأسود على لوح العين الأسود، أي على إنسان العين، لا يرى كما ينبغي. ووَصَفَ بعضهم العين بأنها دَوَاةٌ سوداء فيها الحبر الأحمر (وهو الدموع الدموية)، كما قرأت أيضاً في شعر هندي - إسلامي قدم العهد أن «العيون مثل المكتوب: بياضها القرطاس، خطوط الكحل فيها مثل الحروف، إنسان العين مثل المهر»⁽¹⁶⁴⁾، وأهداب الجفون المدهونة لاثقة بأن تلتصق بما صمغ الظرف»⁽¹⁶⁵⁾.

ليس بإمكاننا أن نعدّ جميع تفصيلات هذه الصنعة وتفرّعاتها من تَلَاعُبِ
بالألفاظ الذي برّع فيه الحريري مثلاً، والمعميات التي أوجدها في إيران وبلاد
الهند؛ وبإمكان كل من طالع تاريخ الأدب في بلاد الإسلام أن يُضيف أمثالاً
غير معدودة إلى ما دوّنناه أعلاه. وسيجد في جميع هذه التشبيهات لذة غير
منتظرة كما قال شاعر تركي:

من كان قلبه ضيقاً مثل البرعم يفتح مثل الورد
(عند قراءته كتاباً)

لأن الكتاب هو ورْدَة ذات مائة ورقة في فصل الربيع!

الهوامش والإحالات

1. في الأصل: «المناسبة».
2. يقرّ كل مسلم بالأهمية القصوى للأبجدية العربية، فهي الأحرف التي أوحيت فيها كلمة الله الخالدة. والقرآن يبين أنه لو كان البحر مداداً، وكانت كل الأشجار أقلاماً لما كان ذلك يكفي لسطر كلمات المولى. وما أكثر ما كان الصوفية يرددون هذا التصريح القرآني كلما أرادوا أن يصفوا العظمة والجمال والكمال الإلهي. وواجب على كل من اعتنق الإسلام أن يتعلم الأحرف العربية، فإنها هي وعاء الوحي، ولا يمكن التعبير عن أسماء الله وصفاته إلا بواسطتها، ومع ذلك فإن تلك الحروف مختلفة عنه؛ فهي "حجاب المغامرة" الذي يجب على الصوفي تخطيه، لأنه ما دامت الحروف تقيده فهو لا يزال أسيراً لشيء من الأصنام، كما يقول النفري (ت 354هـ)، إنه يعبد نفسه، بدلاً من أن يكون حيث لا حروف ولا أشكال. (انظر: شيمل، أنا ماري. 2006. الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ الصوفية. ت: محمد إسماعيل السيد ورضا حامد قطب. ط 1. ألمانيا. منشورات الجمل. ص 469).
3. في الأصل: «مناسبات».
4. أ. برتولت: لم أعثر على ترجمته في كتب التراجم.
5. يفيد قول منسوب إلى الرسول (ص)؛ بما معناه من يكتب البسملة كتابة جميلة ينال الجنة. (شيمل، أنيماري. 1996. الدور الثقافي لفن الخط والخطاطين. (مجلة) حديث الدار. العدد 5 الكويت. دار الآثار الإسلامية. ص 14).
6. سودربلوم الأسوجي: لم أعثر على ترجمته في كتب التراجم.
7. انظر في (الكتابة) الآيات: البقرة/79، الأعراف/145، الأنبياء/105، التوبة/120-121، البقرة/282، الزخرف/19، آل عمران/181، مريم/79، يس/12، النساء/81، يونس/21، الطور/41، القلم/47، الفرقان/5، النور/33.
8. انظر في (القلم) الآيات: لقمان/27، آل عمران/44، القلم/1، العلق/4.
9. انظر في (اللوح المحفوظ) الآية: البروج/22.
10. خط: الجمع خطوط (واستعمل العجاج الشاعر صيغة "أخطاط" أيضاً). والخط كان يدل في الأصل على خط مستقيم أو علامة مستقيمة تحفر في الأرض أو ترسم على الرمل بعضاً أو إصبع، وكثيراً ما تستعمل الكلمة للدلالة على حفر القبر وذلك لطوله واستقامته، ثم استعملت في تخطيط المحلات نوات الدروب والطرق (وتسمى المحلة خطة) واكتسبت آخر الأمر معنى السطر يرسم على ورقة أو رق، كما استعملت للدلالة على سطر من الكتابة. (للمزيد انظر: مجموعة مؤلفين. (ب.ت). دائرة المعارف الإسلامية. ج 8. بيروت. دار الفكر. ص 358).
11. عبد الله بن عباس بن عبد المطلب (ت 68هـ/687م): صحابي ومحدث وابن عم النبي (ص)، اشتهر بعلمه وفقهه وعبادته ولقب بـ «حبر الأمة»، له تفسير يُعرف بـ «تفسير ابن عباس».
12. انظر: الزين، أحمد عارف. 1914. العرفان. ج 1. المجلد 5. صيدا. مطبعة العرفان. ص 52.

13. لقد كان الخط من أمهات الصنائع الإنسانية الشريفة، كالتوليد والطب وغيرهما؛ يقول ابن خلدون في مقدمته ما نصه: «هو - أي الخط - صناعة شريفة، إذ الكتابة من خواص الإنسان التي يُمَيِّز بها عن الحيوان. وأيضاً فهي تطلع على ما الضمان وتتناذى بها الأغراض إلى البلد البعيد، فتقضي الحاجات، وقد دفعت مؤونة المباشرة لها، ويُطَلَع بها على العلوم والمعارف وصحف الأولين، وما كتبوه في علومهم وأخبارهم، فهي شريفة بجميع هذه الوجوه والمنافع». ابن خلدون. عبد الرحمن. 1992. تاريخ ابن خلدون. ج1. بيروت. دار الكتب العلمية. ص 444.
14. يروى عن النبي (ص): «قَيِّدُوا العلم بالكتاب». انظر: ونسك، أ.ي. 1965. المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي. ج5. لندن. مطبعة بريل. ص 502.
15. الصُّولي، أبو بكر محمد بن يحيى (ت 335هـ/946م): أديب عربي. نادم الراضي والمكتفي والمقتدر العباسيين. من آثاره: «الأوراق»، و«أدب الكتاب»، وغيرهما.
16. في الأصل: «دور».
17. في الأصل: «عباس».
18. القلقشندي، أحمد بن علي (ت 821هـ/1418م): مؤرخ وأديب عربي. ولد وتوفي في القاهرة. أهم آثاره كتاب «صُبْحُ الأَعْشَى في صناعة الإنشاء» وهو موسوعة ضخمة تشتمل على مجمل ما يحتاج إليه الأديب من معارف.
19. لقد ذكر بعض المؤرخين أن فن الخط يعود أصلاً إلى الإمام علي بن أبي طالب (ت 40هـ/661م). ويقال في بعض الكتب إن كل من ينظر إلى عديد شجرات العائلة التي للخطاطين يجد أنهم كلهم ينتهون إلى علي بن أبي طالب، ابن عم النبي (ص). (شيمل، أنيماري. الدور الثقافي لفن الخط والخطاطين. العدد 5. مرجع سابق. ص 15).
20. ابن البواب، أبو الحسن علي بن هلال (ت 414هـ/1023م): خطَّاط ومُذهَّب عربي. لقب بابن البواب لأن أباه كان بواباً للبويهيين، يعتبر أحد أعظم الخطاطين في العصر العباسي. نسخ القرآن الكريم بيده 64 مرة. اخترع الخط المعروف بـ «الريحاني».
21. انظر: مجموعة من الباحثين. 2005. موسوعة أعلام العلماء والأدباء العرب والمسلمين. ط 1. ج4. بيروت. دار الجيل. ص 173.
22. هندستان: باكستان وشمال الهند.
23. في الأصل: «أجرى».
24. أتاتورك، كمال (1881-1938م): قائد وزعيم تركي. اسمه الأصلي: مصطفى كمال. يعتبر مؤسس الجمهورية التركية وأول رئيس لها. تحت قيادته تبنت تركيا نهجاً علمانياً غربياً أدى إلى إحداث تغييرات جذرية غيرت كثيراً من أوضاع تركيا السياسية والاقتصادية والاجتماعية.
25. الطومار: خط مبسوط كلّه ليس فيه شيء مستدير وهو أصل الخط الكوفي وبه كتبت مصاحف المدينة الأولى.
26. الريحاني: هو خط التُّلُث يُشَبِّه خط المحقِّق مع بعض التصغير وكلا الخطين لا تُطمس فيها الميم والواو والعين والقاف والفاء على عكس الرَّقَاع.
27. الغبار أو الغباري: نوع دقيق من الخط تكتب به رسائل الحمام؛ وهو الصغير جداً من النسخ ويطلق عليه وضاح التوقيع.

28. التعلّيق: أو النسخ تعلّيق؛ خط فارسي استمده حسين الفارسي من خط النسخ والرقاع والثلث، يعود إلى عام (1010م) وأشهر من أتقنه مير علي سلطان التبريزي، ويسمى الخط الفارسي. والتعلّيق الدقيق يطلق عليه بالتركية (تعلّيق خرده)، ومن أنواعه، جلي تعلّيق، وأنجه تعلّيق أي دقيق، وشكسته تعلّيق أي المكسور، وهو لا يحتاج إلى تشكيل.
29. الشكسته أو شكسته: كلمة فارسية تعني (المكسور) وبالتركية (قرمه)؛ وهو خط فارسي مترابط حسب مبادئ الخط الديواني، أوجده الأستاذ شفيع أو شفيعا، وأكمل قواعده عبد المجيد طالقاني، وعُرف أيضاً بخط شكسته تعلّيق، وهناك خط شكسته أميز، وهو خليط من التعلّيق والشكسته.
30. الكوفي الشطرنجي أو المُرَوّي: الخط الذي يعتمد على الزوايا والأشكال الهندسية، وهو خط مُعقّد مبتكر يعتمد على حسن التنسيق والتكامل وملء الفراغ، وقد يضاف إليه بعض الزخارف.
31. أنواع الخطوط المستخدمة في دنيا اليوم فهي ستة: الثلث والنسخ والفارسي والكوفي والرقعة والديواني. إلى جانب نوعين آخرين هما: الديواني الجلي، والديواني مضافا إليه الشكل الجمالي. أما خط الإجازة فهو خليط. من النسخ والثلث. وأما عن سبب تسميته بالإجازة فهو لأن الأساتذة الخطاطين كانوا يكتبون به إجازاتهم (شهاداتهم) لتلاميذهم لممارسة الخط. (للمزيد انظر: غريب، يوسف. 2006. فن الخط العربي رحلة من التطور في رحاب الحضارة الإسلامية. جريدة الفنون. العدد 65. الكويت. ص 37).
32. في الأصل: «الاستساخ».
33. اكتشف الصوفية - في وقت مبكر - المعني الخفي وراء كل حرف، ومجموعات الحروف المتفرقة الواردة في 29 سورة من القرآن قد ألهمتهم بتفسيرات مجازية مدهشة. ومعظم رؤوس الصوفية قد أعاروا هذا الموضوع اهتماماً، وحتى في أقصى المناطق الحدودية من العالم الإسلامي - مثل اندونيسيا - قد ظهرت مخطوطات بها تأملات حول رمزية الحروف. ومن تلك التفسيرات الصوفية لحروف الأبجدية العربية طُور الصوفية لغة "سرية"، ليستروا بها عن العامة أفكارهم. وخير مثال على ذلك هو ما يعرف بلغة «بليبلان» التي شغلت المستشرقين منذ زمن طويل. حتى إن مفكراً في قمة التحضّر مثل السهروردي المقتول يحكي أنه تلقى تعليماً في أبجدية سرية، كي يتمكن من فهم أعمق معاني القرآن. (انظر: شيمل، أنا ماري. الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ الصوفية. مصدر سابق. ص 469-470).
34. الوُفُق أو المربع السحري هو أحد أعجب اكتشافات فيثاغورث في علم الحروف الشمولي. وهو عبارة عن تحليل يركز على وسائل مَزُولِيَّة (تقنيات تستخدم في حساب تركيب المزاوِل الشمسية) تبرهن أن الأعداد التسعة الأولى من الجدول العددي ترتبط فيما بينها بتلازمات منطقية. فعندما نرتب، في مربع ما، مجموعة من ثلاثة أعداد من هذه الأعداد التالية: 4، 9، 2؛ 3، 5، 7؛ 8، 1، 6؛ نحصل على المجموع 15 حتى ولو قاطعنا بين جموع هذه المجموعات: 3، 4، 8، أو 9، 5، 7؛ 2، 6، 7. (انظر: شبل، مالك. 2000. معجم الرموز الإسلامية. ط 1. ترجمة: أنطوان الهاشم. دار الجيل. بيروت. ص 297).
35. علم الجُفَر: علم يبحث فيه عن الحروف من حيث دلالتها على أحداث العالم. وهو يعني أيضاً مجمل التقنيات الباطنية التي تتيح للصوفي بلوغ أعلى درجات الزهد. وكان البوني وابن

عربي عَالَمَيْنِ مُجَازَيْنِ في علم الجُفْرِ. (انظر: شبل، مالك. معجم الرموز الإسلامية. مرجع سابق. ص 76).

36. عند الحروف المقطّعة في أوائل سور القرآن الكريم 78 حرفاً، يتكرّر بعضها في مختلف السور التي أوردتها وهي 29 سورة، وبدون تكرار فهي 14 حرفاً، ويرى البعض أن العدد 14 ضعف العدد 7 وهو من الأعداد التي ربما لها دلالات خاصة، وشغلت المفكرين المسلمين كشغلهم بالحروف المقطّعة، وكثيرون تكلموا في هذه الحروف وذهبوا في تفسيرها مذاهب شتى، ومنها التفسير العددي لها، بحساب الأعداد التي تمثلها الحروف، فيكون حاصل جمعها هو عُمر الإسلام وهو ما ذهب إليه اليهود. وبعض السور لا تبدأ إلا بحرف واحد مثل: «ص»، أو بحرفين مثل «حم»، أو بثلاثة أحرف مثل: «الم»، أو بأربعة، مثل: «المص»، أو بخمسة، مثل: «كهيعص». ونلاحظ أن أساليب الكلام في اللغة العربية على نفس المنوال، فمنها ما هو على حرف، ومنها ما هو على حرفين، وعلى ثلاثة، وعلى أربعة، وعلى خمسة، ولا أكثر من ذلك. ولأنها حروف متقطّعة فإنها تقرأ كحروف التهجّي، وليس كأسماء متمكنة، ولا كأفعال.

37. الرومي، جلال الدين (ت 672هـ/1273م): شاعر وعارف ومتصوف فارسي. يُعرف بـ «مولانا جلال الدين»، ويعتبر أحد أعظم شعراء العشق الإلهي. أنشأ طريقة صوفية خاصة عُرفت بـ «الطريقة المولوية». أشهر آثاره ديوان «مثنوي» الذي كان له أثر عظيم في الفكر والأدب الصوفيّين عند المسلمين.

38. المذهب الحروفي أو الحروفية: الاشتقاق من حرف (جمع) حروف. مذهب صوفي ينادي بوحدة الوجود، تعظم وتقّس الحروف والأرقام وتركيب الحروف في الكلمات. ويقال أنها تأسست، في الربع الأخير من القرن الرابع عشر الميلادي، على يد رجل يعرف باسم «فضل الله الاسترابادي»، من استراباد (إيران). وقد قتل فضل الله على يد ميران شاه بن تيمورلنك. وعلى أثر انتشار الحروفية بعد ذلك، ترك الحروفيون في القرن الخامس عشر الميلادي اللغة الفارسية، وبدعوا باستعمال اللغة التركية. وتعتبر الحروفية الكون مظهراً للوجود المطلق. حيث الدنيا راسخة في علم الكون، وهذا الرسوخ يعتبر تجلياً للكاننات، وتتأسس أحكام الحروفية على الحروف الثمانية والعشرين في العربية مضافاً إليها أربعة حروف إضافية (اللام ألف) التي تقرأ عند بسطها أي كتابتها كما تقرأ أربعة حروف إضافية هي (لام، ألف، ميم، فاء) وبذلك يصل عدد الحروف إلى اثنين وثلاثين حرفاً. يعرف الحروفيون بتردهم في تأويل القرآن وأحياناً في تأويل التأويل استناداً إلى القيمة العددية للحروف وتارة إلى قيمة الكلمات أو مجموعات الكلمات بإعطائها مثيلاً باطنياً، كوزمولوجياً وجفرياً خاصاً، يستخدم نظامهم العددي نظام «إخوان الصفا». من الناحية التنظيمية، لم تنش الحروفية طويلاً، وقد عرفت مع ذلك العديد من الانقسامات الداخلية. بعض الأفكار الحروفية استمرت إذ تداخلت تعاليمها في البكتاشية (طريقة صوفية عثمانية) وإن جزئياً. (للمزيد انظر على سبيل المثال: مجموعة مؤلفين. 1998. معجم العالم الإسلامي. ط2. ترجمة: جورج كتورة. بيروت. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع. ص 248).

39. يقول ابن عربي: «إن الحروف أمة من الأمم، مخاطبون ومكلفون، وفيهم رُسُل من جنسهم، ولهم أسماء من حيث هم، ولا يعرف هذا إلا أهل الكشف من طريقنا، وعالم الحروف أفصح العالم لساناً وأوضحه بياناً». ابن عربي، محي الدين. 1975. الفتوحات المكية. ج1. القاهرة. الهيئة المصرية العامة للكتاب. ص 260.

40. علاء الدين ويزه لي: لم أعثر على ترجمته في كتب التراجم.
41. مزامير داود: ما كان يترنم به من الأناشيد والأدعية.
42. اللوح المحفوظ: عبارة غامضة ملفزة تظهر مرة واحدة في القرآن: {إِلَهُهُ قُرْءَانٌ مُّجِيدٌ} **في لوح محفوظ** (البروج: 21-22). صيغة نادرة سال حولها الكثير من الحبر لأنها اعتبرت الجوهر الكلي الذي تجسّد في كتاب، دعامه من زبرجد، حقيقة خالدة. يقول المفسرون: يحتوي اللوح المحفوظ «أُمُّ الكتاب»؛ النموذج الأولي للقرآن. يذكرنا اللوح المحفوظ أيضاً بالوواح الشريعة، ألواح الوصايا العشر التي أعطاه الله لموسى، وردت بصيغة الجمع ثلاث مرات في القرآن، سورة الأعراف (145، 150، 154). من هنا كانت تسمية ابن عربي للوح المحفوظ «سرير الرحمانية» بمعنى أنه يشمل كل قدر وكل معرفة. إن رمز اللوح المحفوظ هو رمز خلود الأشياء ودوامها. إنه المثل الحسي الذي يشير إلى خلود كلمة الله المدونة في لوح ثابت دائم من كونه مثالياً. واللوح المحفوظ سجل تدوّن فيه أعمال الناس الأكثر تواضعاً. تدوّن بالقلم السماوي وهو رمز آخر للقدرة الإلهية؛ ويكتب رينيه غينون (1886-1951م): «اللوحة المحفوظ هو نموذج "لا زمني" للكتب المقدسة نزل من السماء عمودياً مخترقاً جميع العوالم». ويضيف هنري كوربان (ت 1978م) إلى ذلك: «إن تجلي المعارف من مرآة اللوح السري في هذه المرآة الأخرى التي هي القلب هو كانعكاس صورة مرآة في مرآة أخرى تواجهها». (انظر: شبل، مالك. معجم الرموز الإسلامية. مرجع سابق. ص 279-280).
43. القلم: من وجهة نظر باطنية يرمز القلم إلى الانبثاق الأول للعمل الإلهي، بحيث إنه، استناداً إلى السّنة، أول شيء خلقه الله. والسبب هو أن القلم أصل العالم لأن بفضلته وبتوجيهات من الإله الخالق، تكونت "المادة الأولى" التي يرمز إليها القرآن. والقلم على الصعيد الدنيوي، هو قطعة من قصب، جذع بُري باتجاه طوله وأعدّ للكتابة. ويرمز إلى الاستعمال الفكري بمقابل السيف الذي يرمز إلى الأعمال الحربية.
44. عن ابن عباس قال: «كنت خلف النبي صلى الله عليه وسلم يوماً، فقال لي: يا غلام إني معلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك إذا سئلت فسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلاّ بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعت على أن يضروك بشيء لم يضروك إلاّ بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف». (ونسك، أ.ي. 1936. المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي. ج 1. ليدن. مكتبة بريل. ص 481).
45. رَقْمُ أَي كَتَبَ.
46. فخر الدين أُوحد المستوفى الإيراني: لم أعثر على ترجمته في كتب التراجم.
47. الرضا، على بن موسى (ت 202هـ/817م): الإمام الثامن لدى الشيعة الإثني عشرية. زوّجه المأمون العباسي ابنته «أم حبيب»، وأشركه في الحكم، وسماه لولاية العهد، وذكر أنه ضرب العملة باسمه. مات بالسم ودفن في طوس (إيران).
48. محمد بن سليمان فضولي أو فضولي البغدادي (1494-1556م): أعظم شعراء الأدب التركي. لقبه أدباء عصره بأمير الشعر التركماني. تقول بعض المصادر إن (فضولي) من قبيلة البيات، وهي بطن من قبيلة الغز (اوغوز) التركمانية التي استوطنت العراق قديماً. كان

لفضولي الشيعي المذهب مكاتبات ومناظرات شعرية مع الشاه إسماعيل الصفوي، وكان يكتب قصائده باسم (خطائي) وإليه أهدى الشاعر ديوانه (بنك وباده) حيث شبه السلطان العثماني بـ (بنك = الأفقون) وشبه الشاه الصفوي بـ (باده = الشراب). وعندما استولى العثمانيون على بغداد منهيين بذلك حكم الصفويين استقبل فضولي بقصيدة السلطان العثماني سليمان القانوني الذي أمر أوقاف بغداد بصرف راتب شهري للشاعر. إلا أن الأوقاف توقفت عن صرف الراتب الشهري للشاعر، وذلك بعد مرور فترة على مغادرة السلطان بغداد. وقد تأثر الشاعر من هذا الإجراء المتعسف، فكتب شكواه إلى السلطان في قصيدته الخالدة (شكايت نامه) ولكن دون جدوى، وهو الأمر الذي دفعه للاعتكاف في كربلاء والتي كان يعتبرها (أكسير الممالك) حيث فوض إليه إسراج المصابيح في حضرة الحسين الشهيد. وقد توفي الشاعر في هذه المدينة بعد أن أصيب بمرض الطاعون سنة 963 هجرية حيث دفن بمدينة كربلاء على خطي جنوبي صحن الروضة الحسينية تجاه باب القبلة. ترك فضولي ميراثاً ضخماً خالداً للأدب التركي خاصة وللأدب الإنساني عامة من الشعر والنثر باللغات التركية والعربية والفارسية في آثار قيمة مثل: أنيس القلب (منظومة في 134 بيتاً)، حديقة السعداء (عن واقعة كربلاء، وترجمة خطب الإمام الحسين خلال الواقعة)، ديوان فضولي (ثلاثة مجلدات ضخمة باللغات الثلاث)، رسائل فضولي، رند وزاهد (منظومة في 850 بيتاً)، ساقى نامه (في 700 بيتاً)، مطلع الاعتقاد (في علم الكلام) ليلي ومجنون (3400 بيتاً). ورغم أن علي شيرنوائي يعتبر أول من تناول موضوع (مجنون ليلي) في الشعر التركي إلا أنه لم يصب الشهرة التي بلغها فضولي لكونه قد كتبها باللغة الجغتائية التركية. أما فضولي الذي كتب نفس الموضوع متأثراً بالشاعر الأذربيجاني نظامي كنجوي فقد اختلف عن بقية الشعراء الأتراك الذين تناولوا نفس الموضوع بمنح مطولته الشعرية نفساً صوفياً مجرداً بذلك قصة الحب المعروفة من عناصرها الحسية محولاً بذلك تلك العناصر إلى عناصر مجازية.

49. لم أعر على الأبيات وقائلها.

50. قارن: ونسك. المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي. مرجع سابق. ج. 5. ص 454.

51. ترجمتها: كتب هذا الملك خطأ، والقلب في كفه كالقلم.

52. الحلاج، أبو المغيث الحسين بن منصور (ت 309هـ/922م): ولد الحلاج في فارس وتلقى على سهل التستري تربية صوفية قبل أن ينتقل بعد ذلك إلى بغداد. أدى فريضة الحج مرتين، وعاش حياة صوفية قاسية، عام 905م سافر باتجاه الهند، وساح وصولاً إلى تركستان، ثم أدى فريضة الحج مرة أخرى عام 913م اتهم بالكفر والزندقة، فسُجن وعُذِّب، ثم احتُزَّ رأسه وأُحرقت جثته عام 922م. وقد كان تلفظه بعبارات شطحية مثل «أنا الحق» السبب في إعدامه. إلا أن المستشرق الفرنسي ماسينيون قد أثبت أن لإعدامه علاقة بالظروف والارتباطات السياسية. لقد كان موقفه الديني الشخصي وتفسيره الوجودي للإسلام مناقضاً للسياسة التي تتبعها الدولة. أصبح الحلاج فيما بعد الحلقة التي توسطت معظم الشعر الصوفي. وبشكل خاص في المناطق التي تسودها الثقافة الفارسية، إذ اعتبر شاعر الحب الصوفي؛ فبسبب كشفه سر اتحاد النفس بالله حوكم الحلاج وأعدم. أما في الآداب الإسلامية (الهندية والتركية والعربية) لاسيما الحديثة منها، فقد اعتبر الحلاج صاحب طريقة خاصة

في التدين، وقد قتل دفاعاً عن المثل التي آمن بها مما أسهم في إبراز الدور الهام الذي لعبه. أما أشعار الحلاج وقد وصلنا منها القليل، فعلى جانب كبير من الجمال والبلاغة. من أشهر آثاره الباقية «الطواسين».

53. في الأصل: «مناسبة».

54. الأبيات منسوبة إلى زهير بن أبي سلمى (105؟ - 13؟ ق. هـ/520 - 609م): شاعر عربي جاهلي، من أصحاب المعلقات. اشتهر بدعوته إلى السلم، وشجبه للحرب وروعة تصويره لويلاتها.

55. القاسم بن عبيد الله: لم أعثر على ترجمته في كتب التراجم.

56. قارن: ديوان ابن المعتز. 1995. ط1. بيروت. دار الجيل. ص 391.

57. أبو تراب: من كنى الإمام علي بن أبي طالب (ت 40هـ/661م).

58. في الأصل: «ترتيبه».

59. نظامي، جمال الدين أبو محمد إلياس (ت 605هـ/1209م): من أشهر الشعراء باللغة الفارسية، إذ كان شاعر بلاط من الدرجة الأولى ومن الشخصيات التي حظيت بإعجاب وتقدير مواطنيه على الدوام، فكثر الروايات حوله. وقد زعم بعضها أن نظامي قد غادر مسقط رأسه كانج (حالياً مدينة كيروف آباد في الاتحاد السوفيتي السابق) وذلك نزولاً عند رغبة أحد الأمراء الذين مرّوا بذلك المكان وصادف أن تعرف عليه. وضع نظامي أول الأمر ديواناً شعرياً ذا طابع فلسفي بعنوان «مخزن الأسرار» ولكن وبعد أن عاش مرحلة قاسية شهد فيها وفاة زوجته الأولى بعد فترة قصيرة من زواجه، تحول نظامي إلى كتابة شعر وجداني غني برومنطقيته. أما إنتاجه اللاحق فقد كان عبارة عن روايات أشهرها خسرو وشيرين، ليلي والمجنون، وكتاب الإسكندر الذي حوى مجلدين كبيرين. وضعت المنمنمات حول أشعار نظامي مما أسهم فعلاً بتقدّم هذا الفن.

60. تبدأ القصة الحقيقية لخسرو وشيرين، أن هذا الملك، عندما كان شاباً فُهرِبَ إلى أعدائه البيزنطيين بعد مقتل أبيه على يد أحد قواده. رحب به إمبراطور بيزنطي وزوّجه إحدى الأميرات (ماريا)، وبمساعده تمكن أن يسترد عرش أبيه. لهذا قد أصبح نصيراً للمسيحيين في العراق بتأثير زوجتيه المسيحيتين، العراقية (شيرين) والبيزنطية (ماريا). لكن هذا لم يمنعه فيما بعد من اضطهاد المسيحيين العراقيين، وشن حرباً شعواء ضد البيزنطيين واجتياحه لإمبراطوريتهم. يقال إن كسرى كان يعيش ببذخ ومجون، بحيث أنه كان يمتلك حريم من (3000) امرأة. كان زير نساء وكان يرسل موظفيه إلى المقاطعات ليختاروا له نوعاً معيناً من النساء، حسب مواصفته وذوقه ! لكن رغم ذلك، فإن (شيرين) ظلت دائماً سيدة قلبه وسلطانة روحه، ولها الكلمة الحاسمة في حياته، بحيث يقال إنها كانت هي بنفسها تختار المرأة التي يجب أن يمضي معها ليلته. لقد كانت قصة عشق (كسرى) - (شيرين) موضوعاً للعديد من الروايات وقد ألّفت العديد من القصص حولهم وخاصة قبل سقوط الدولة الساسانية حيث وجدت أكثر من قصة شعبية عن هذا الموضوع ودخلت هذه الروايات في المؤلفات العربية حيث حفظ كل من الثعالبي والفردوسي العديد من الروايات عن (شيرين) وأساليبها الذكية للاستئثار بكسرى وزواجه منها والطريقة البارعة التي أستطاع بها كسرى من إسكات عظماء الدولة الذين كانوا ساخطين على زواجه منها لأنها من بلد كان تابعاً

للدولة الساسانية ولم تكن من دماء ملكية. كذلك ذكر البلعمي قصة (فرهاد وشيرين) وكان فرهاد عاشقاً لهذه المرأة وقد عاقبه كسرى بأن أرسله لقطع الحجارة في بهستون وقد شغل فرهاد نفسه بهذا العمل إلى حد أن كل قطعة يحطمها من الجبل كانت من الضخامة بحيث أن مئة رجل لا يستطيعون حملها، وقد أصبحت حوادث عشق (خسرو وشيرين) و(فرهاد وشيرين) موضوعاً محبوباً في الشعر الغرامي والحماسي. ومما تجدر الإشارة إليه أن بعض الروايات الخاصة بهذا الموضوع مزجت الحقيقة بالأسطورة وبعضها بالغت بالشكل الأسطوري البعيد عن الحقائق ولعل من أفضل النصوص عن هذا الموضوع هو (خسرو وشيرين) للأديب الحكيم نظامي كنجوي الذي يسرد فيه قصتهما بأسلوب شعري. يعد هذا الكتاب من روائع الأدب الفارسي أشتمل على ستة آلاف وخمس مائة بيتاً شعرياً. قام عبد المحمد آيتي باختصار هذه القصة ونشرها في طهران في سبعينات القرن الماضي، وهي النسخة التي ترجمت إلى العربية. لم تكن قصة (كسرى وشيرين) مصدر للأدب والشعر فقط بل كانت موضوعاً فنياً شائعاً في تلك الفترة، فغالبا ما زينت التحف الزجاجية وكذلك النرجيلات والقوارير ذات الرقاب الطويلة بالمناظر الشاعرية وكان منظر خسرو وهو يستقبل حبيبته (شيرين) من أكثر المواضيع التي نراها مجسمة على هذه القطع الفنية. يعتبر كتاب (خسرو وشيرين) للشاعر نظامي، وقد أتم هذا الكاتب مؤلفه سنة 576 هـ (1180م) وأهداه إلى جيهان بهلوان حاكم أذربيجان (582هـ) وقد قلد كثير من الشعراء قصة (خسرو وشيرين) وظهرت بمسميات كثيرة، لقد كان هذا الكتاب ماثراً اهتمام العديد من العرب والمستشرقين ففي عام 1933 أعد المستشرق التشيكي هيربرت دودا W.Doda كتاباً بعنوان (فرهاد وشيرين) وقام فيه ببحث (خسرو وشيرين) لنظامي. وقد ترجم كتاب نظامي إلى العديد من اللغات.

61. يكتب الباحث الفرنسي رينيه غينون (1886-1951م): «إن حرف (النون)، باعتبار ما ينطبق عليه من رموز، يتخذ التقليد الإسلامي مثلاً للحوت، وهو المعنى الأساسي لكلمة نون (= الحوت) وتعني أيضاً السمكة؛ ولهذا دعي سيدنا يونس (الذي يوانان) ذا النون». (انظر: شبل، مالك. معجم الرموز الإسلامية. مرجع سابق. ص 335).

62. تشير المؤلفة إلى قوله تعالى: **إِن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُورُونَ** (سورة القلم/1).

63. أبو جعفر أحمد بن علي بن خاتمة الأنصاري المريني (700-770م): شاعر وكاتب وفقيه متطّيب ومتصوف زاهد من طبقة لسان الدين بن الخطيب. اشتهر بالشعر والكتابة والتأليف، وله ديوان شعر جيد جمعه بنفسه.

64. لم أعثر على عدد مجلة «الأندلس» المشار إليه، والتي يحتمل أن يكون نشر في مطلع ستينيات القرن الماضي.

65. لم أعثر على الأبيات.

66. ترجمتها: أردت أن أكتب مكتوباً إلى حبيبي - فابتل القرطاس من بكائي، واحترق القلم من أهاتي.

67. قارن: ديوان ابن المعتز. دار الجيل. مصدر سابق. ص 410.

68. كرنكو، فريس F.Krenkow (1872-1953م): مستشرق ألماني هاجر إلى إنجلترا وأشأ مصنعاً للنسيج. اتصل بدائرة المعارف العثمانية في حيدر آباد الدكن، فأخرج ضمن

منشوراتها عدداً من المخطوطات العربية، منها: «الجمهرة» لابن دريد، و«الذُرر الكامنة» لابن حجر وغيرهما. سَمَى نفسه بالعربية: سالم الكرנקوي.

69. امرؤ القيس بن خُجَر بن الحارث الكندي (497؟ - 540م؟): شاعر عربي جاهلي. من أصحاب المعلقة. انصرف في صدر شبابه إلى اللهو والصيد. حتى إذا قتل بنو أسد أباه التمس من قبائل العرب العون على الثأر، فلم يستجب لطلبه أحد. وعندئذ سار إلى القسطنطينية قاصداً القيصر يوستينيانس الأول فأكرم وفادته، وفي رواية أنه ولأه إمرة فلسطين، وأنه ارتحل يريدها ولكنه أصيب في بعض الطريق بالجذري أو نحوه وتوفى على مقربة من مدينة أنقرة التركية. وقد عُرف امرؤ القيس بدقة الوصف وبراعة التغزل.

70. قارن: السندوبي، حسن. 1982. شرح ديوان امرئ القيس. ط7. بيروت. المكتبة الثقافية. ص 210.

71. العسيب اليماني: سعف النخل.

72. حاتم الطائي (ت 16ق. هـ/607م): شاعر عربي جاهلي. كان فارساً شجاعاً عُرف بالكرم وسماحة النفس. وقد بلغ من الجود غاية لا تدرك، فضرب به المثل. ضاع معظم شعره ولم يبق منه غير مجموعة صغيرة.

73. ديوان حاتم الطائي. 1963. بيروت. دار صادر - دار بيروت. ص 79.

74. الطرّاذ: المستقيم.

75. الأخطل، غياث بن غوث التغلبي (ت 92هـ/710م؟): شاعر عربي نصراني. يعتبر أحد أبرز شعراء العصر الأموي.

76. شرح ديوان الأخطل التغلبي. 1968. بيروت. دار الثقافة. ص 244.

77. ابن ثابت، حسان (ت 54هـ/674م): شاعر عربي مخضرم. قصد في الجاهلية ملوك المناذرة والغساسنة، فمدحهم ونال جوائزهم. أدرك الإسلام، فدخل فيه وأصبح شاعر الرسول (ص). عُمِّر مائة عام ونيفاً، وقد كف بصره في أواخر حياته.

78. منوچهری، أبو النجم أحمد بن قوص دامغانی (ت 432هـ/1040م): شاعر إيراني شهير. ولد في دامغان أواخر القرن الرابع الهجري، تفتحت مواهبه الشعرية منذ نعومة أظفاره، فاجتذبه بلاط الزياريين، وتلقّب بالمنوچهری، نسبة إلى منوچهر بن شمس المعالي قابوس بن وشمكير الزياری الديلمي (403-423هـ). ثم استدعاه بلاط السلطان محمود الغزنوي (421 - 432هـ) في غزنین، وبقي هناك، حتى توفي وهو شاب سنة 432هـ. يتميز منوچهری بالخيال الخصب المبتكر في وصف الطبيعة، وخمرياته من أفضل خمريات الأدب الفارسي.

79. ابن عباد، الصاحب (ت 385هـ/995م): كاتب ووزير مسلم. كان أحد أئمة البيان العربي. تولى منصب الوزارة في عهد بني بويه. له مجموعة رسائل، وكتاب «الوزراء»، وكتاب «المحيط» في اللغة.

80. لم أعثر على هذه الأبيات.

81. الشَّمَاح، مَعْقِل بن ضرار بن سنان بن غَطَفَان. شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام. وهو أحد من هجا عشيرته وأضيافه ومنّ عليهم بالقرى.

82. انظر: مجموعة مؤلفين. دائرة المعارف الإسلامية. مرجع سابق. ج8. ص 359.

83. لم أعر على أبيات بهذا المعنى لاس المعتر سوى صدر البيت الأول وذلك في قصيدة (الهم اليقظان) إذ يقول:

فإذا ما الماء خالطها راض منها سهلة الشيم

قارن: البستاني، كرم. 1980. ديوان ابن المعتر. بيروت. دار بيروت للطباعة والنشر. ص 407.

84. الخاقاني، الشرواني، أبو البديل، أفضل الدين، إبراهيم بن علي بن عثمان (ت 595هـ - 1198م): شاعر فارسي. ولد سنة 520هـ/1126م في شروان من مدن جنوب القفقاس. تلمس عمه، وكان طبيباً، في إبراهيم الفتى موهبة خاصة، فحّته على تلقي علوم العربية وآدابها، ثم توسّع في علوم زمانه. يعتبر من أساتذة القصيدة الفارسية على مستوى الشاعر (أنوري). وبسبب بروزه في نظم الشعر سمي "حسن العجم" وأصبح شاعر الخاقان الأكبر شروان شاه، ولذلك تلقّب بالخاقاني. له أسفار إلى مكة والمدائن تركت آثارها على شعره. وله وقوف على إيوان كسرى في المدائن يشبه وقوف البُحْثري على هذا الإيوان. رحل في أواخر حياته إلى تبريز، وتوفي هناك سنة 595هـ. ديوانه المطبوع يضم 20 ألف بيت، وله شعر باللغة العربية. يقال إنه اتخذ لنفسه اسم «حقاقي» (أي الباحث عن الحقيقة).

85. ابن مقلة، محمد بن علي (ت 328هـ/940م): أديب وخطاط ومبتدع جملة من الخطوط ووزير عباسي. ومقلة لقب أبيه أبي العباس علي بن الحسين. وقال البعض إن مقلة اسم أم لهم كان أبوها يُرقصها فيقول: «يا مقلة أبيها»، فاشتهر أبناءها بـ «ابن مقلة». اشتهر ابن مقلة بجمال خطه. استورزه عددٌ من خلفاء بني العباس. مات في السجن. يعد ثالث ثلاثة من الخطاطين الذين وضعوا قواعد وضوابط لتنسيق الخط، ونظموا أهم طرز الخط على تباينها، والثلاثة هم ياقوت المستعصمي وعلي بن هلال (ابن البواب) وابن مقلة.

86. ياقوت المستعصمي، جمال الدين (ت 689هـ/1299م): كاتب وأديب وخطّاط عربي، من أصل رومي، ومن موالى المستعصم، آخر خليفة عباسي. لقّب بـ «قبة الكتاب». من آثاره: «أسرار الحكماء» و«رسالة في علم الخط». أخذ الخط عن خطوط ابن البواب، فقد أولع بخطه وأخذ يقلّده حتّى استقام له الخط بجميع الأقلام، وبخاصة قلم الثلث. أطلق عليه وعلى تلاميذه لقب «الأساتذة السبعة»، وهم: ياقوت، ومبارك شاه، وأرغون الكاملي، وأحمد السهروردي، والصيرفي، والصوفي، ومحمود الحسيني. كتب ياقوت المستعصمي بخطه ألف مصحف، وفي خزائن استانبول عدد كبير من المصاحف التي كتبها بخط النسخ، والثلث، والمحقّق. وقلم المصاحف وزخرفها بمهارة وإبداع. وكان مغرمًا بنقل كتاب «صاح اللغة» للجوهري، وكتب منه نسخاً كثيرة.

87. الجناس أو التجنيس: هو، في علم البديع، تشابه الكلمتين لفظاً لا معنى، نحو قول أبي العلاء المعري:

لو زارنا طيف ذات الخال أحيانا ونحن في خفر الأحداث أحيانا

فالجناس بين الكلمتين: «أحيانا» و«أحيانا»، فالأولى بمعنى: من وقت إلى آخر، والثانية بمعنى: بعث الحياة. والجناس نوعان، تام وغير تام، ويُقسم كل نوع إلى أقسام عدة. (انظر: مجموعة من المؤلفين. 1987. قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية. ط1. بيروت. دار العلم للملايين. ص 173).

88. لم أعثر على الأبيات أو قائلها.
89. لم أعثر على البيت أو قائله.
90. عصمة الله البخاري: لم أعثر على ترجمته في كتب التراجم والأدب.
91. تاجي زاده جعفر جلبي (ت 920هـ/1515م): شاعر تركي، ولد في أماسيا، ووالده هو تاجي بك الذي كان يعمل دفترداراً في عهد السلطان بايزيد الثاني. عاش حياة زاهية ثم لم يلبث حظّه العاثر أن ساقه إلى الإعدام بدعوى أنه وقف مع الإنكشارية في تمردهم عندما كان يشغل وظيفة قاضي عسكر الأناضول. له ديوان شعر.
92. جامي، نور الدين عبد الرحمن بن نظام الدين أحمد (الشيرازي) (ت 897هـ/1492م): مفسر ومؤرخ ومتكلم وشاعر ومتصوف فارسي شهير. يعتبر آخر الشعراء المتصوفين الكبار، عند الفرس. ولد ببلدة جام في بلاد ما وراء النهر. اشتغل بعلم الظاهر (الفقه وأصوله) حتى صار من أفاضل عصره، وعلماء مصره؛ ثم صحب مشايخ الصوفية، وتلقن الذكر على الطريقة النقشبندية. كما سلك هذه الطريقة على الشيخين سعد الدين الكاشغري، وخواجه عبيد الله السمرقندي. انتقل إلى هراة ثم حجّ وطوّف بالعالم الإسلامي. من أشهر أثاره: «سلامان وأيسال»، و«يوسف وزليخا» وقد بناها على قصة نبي الله يوسف والتي نعتها بعض الصوفية بأنها نشيد الإنشاد في الحب الصوفي، وقد تأثر بها (غوته) عندما نظم محاورته «زليخا». كان ديوانه - وهو مجموعة من أشعار التصوف والغناء - مصدر من مصادر الإلهام التي حركت رجال الفن في عصور مختلفة.
93. المقصود بالقلم؛ خط الكتابة.
94. قيرمه أو قرّمه تعني المكسور باللغة التركية.
95. شكسته تعني المكسور باللغة الفارسية.
96. الأمير جم (ت 900هـ/1495م): الابن الأصغر للسلطان أبو الفتح محمد الثاني العثماني، اشتهر الأمير جم في كتب الغرب باسم البرنس (زيزيم) Zizim. كان مولعاً بالشعر كأبيه وأخيه السلطان بايزيد الثاني، بل إن الأمير جم كان له عدا ديوانه التركي ديوان أشعار بالفارسية، وكان يتخلص في أشعاره بمخلص (جم). مات مسموماً في مدينة نابولي ودفن في بلدة (جاييت) بايطاليا ثم نقلت جثته بعد ذلك بمدة إلى البلاد العثمانية ودفن في مدينة بورصة في قبور أجداده. وتوفي عن 36 سنة قضى منها 13 في حالة شبيهة بالأسر خارجاً عن بلاده.
97. طغراء، وجمعها طغراوات؛ وتعني توقيع السلطان وهي العلامة الزخرفية أو الخطية التي يضعها السلطان التركي على الوثائق والفرامانات. تقرأ عليها الكتابة التالية: «(الله) المنتصر دائماً». إن أجمل النماذج للطغراء توجد اليوم في اسطنبول (توب كابي) وفي أنقرة (متحف الفن الإسلامي).
98. طهمان بن عمرو بن سلمة الكلبي (ت نحو 80هـ/نحو 700م): شاعر، من صعلبيك العرب وفتاكهم. كان في زمن عبد الملك بن مروان. جمع أبو سعيد السكري شعره وأخبره في كتاب «الصوص» وطبع جزء من ديوانه من غير أن يُعرف أنه له.
99. لم أعثر على بيت الشعر.
100. «منشور»؛ بمعنى الملكي. و«الطغراء»؛ هي الخطوط المقوّسة التي تشتمل على اسم السلطان وألقابه ويتخذها خاتماً يوقع به على الأوامر والفرامين. (انظر: الشيرازي، حافظ.

1999. ديوان حافظ الشيرازي. ت: إبراهيم أمين الشواربي. ط1. طهران. مهراندیش للنشر. ص 338).

101. كانت الدولة التيمورية من بين الدول الهامة في القرن الرابع عشر الميلادي (1370-1507م)، وقامت على يد تيمور، الذي كان علي رأس إحدى الخاقانات الجاغاتائية، ونجح تيمور خلال فترة قصيرة، لم تتجاوز 35 عاماً، في جعل دولته إمبراطورية مترامية من نهر الفولغا إلى نهر الغانج ومن جبال تانري إلى أزمير والشام. غير أن هذه الإمبراطورية عقب وفاة تيمور تفككت مثلما قامت في فترة وجيزة. ومن التيموريين لم يبق أحد على قدميه سوى حسين بابقارا في خراسان. وغدت العاصمة هيرات من أبرز المراكز الثقافية في التاريخ التركي. وهنا نشأ رجل الدولة والشاعر التركي علي شير نوائي.

102. مير علي شير نوائي (ت 906هـ/1501م): كاتب وشاعر وأديب. ولد في مدينة هرات. ينتمي إلى عائلة مثقفة ومتدينة. كان يطلق عليه لقب ذو اللسانين حيث كان يتقن اللغتين الفارسية والتركية واستطاع عبرهما أن يحرر العديد من الأشعار والقصص. يعتبر من أبرز شعراء اللهجة الجغتائية التركية.

103. هَراء: بالفتح؛ مدينة عظيمة مشهورة من أمهات مَدَن خراسان. وهَراء أيضاً: مدينة بفارس قرب إصطخر كثيرة البساتين والخيرات. (الحموي، ياقوت. 1957. معجم البلدان. ج 5. بيروت. دار بيروت ودار صادر. ص 396-397).

104. إسماعيل الأول (1487-1524م): شاه (ملك) إيران. وكان صوفياً وشاعراً. أسس السُلالة الصفوية وجعل التشيع مذهب الدولة الرسمي. هزمه السلطان سليم الأول العثماني في معركة جالدران عام 1514 مع أنه أظهر في الحرب بسالة غريبة. ويروى أنه ظل حزينا من بعد تلك المعركة إلى آخر أيامه، وأنه لم يضحك من بعد ذلك اليوم ولم يترك لبس السواد أيضاً. يعد من أبرز شعراء الاتجاه الديني، بحيث اتخذ - فيما بعد - مرشداً لشعراء التصوف في النسخ على منواله. تذكر بعض المصادر أن الشاه إسماعيل أطلق على نفسه في شعره لقب «خطائي» (أي المخطئ). جدير بالإشارة ما كشفه المستشرق الإنجليزي إدوارد براون في كتابه عن الأدب الفارسي في العصور الحديثة من أمر غريب هو أن الشاه إسماعيل مؤسس الدولة الصفوية لم يكن يكتب إلا باللغة التركية في الغالب، في حين أن غريمه السلطان سليم استعمل الفارسية في قرص الشعر.

105. عَنَعَن: عَنَعَن الرَّأْي؛ قال في روايته: روى فلان عن فلان عن فلان.

106. غني زاده نادري (ت 1035هـ/1626م): شاعر تركي. عُرف عنه تقليده للشاعر الفارسي الفردوسي في شهنامته، فبدأها من السلطان عثمان الثاني. له أعمال نثرية عدة.

107. يقول ابن المعتز في قصيدته:

كَأَنَّهُ لَمَّا قَطَعْنَا فَرَسًا مُصْحَفٌ وَرَأَى أَدَبٌ نُسَخَا

قارن: ديوان ابن المعتز. دار بيروت. مصدر سابق، ص 153.

108. قارن: المعتز بالله الخليفة العباسي، محمد بن عبد الله. (ب.ت). ديوان أشعار الأمير أبي العباس. تحقيق: محمد بديع شريف. ج 2. القاهرة. دار المعارف. ص 125.

109. العطار، أنور بن سعيد بن أنيس (1908-1972م): شاعر رقيق، من أدباء المدرسين. دمشق المولد والوفاة. تميز شعره بوصف الأزهار والحدائق. وكان مغرمًا بهما. فتجد في

شعره مجالي الطبيعة كلها، وعناية بالمدن والأماكن التي عرفت بطبيعتها الفتانة، وأنهارها الجميلة، كدمشق و غوطتها وبرداها وخريفها وربيعها، ولبنان وجباله ووهاده، وسمانه وبحره، ومصايفه البديعة، وبغداد ودجلتها وليلها المهيّب الرهيب، والبصرة وما إليها، ونظم في كل ذلك شعراً جيداً. له دواوين عدة لم يطبع منها سوى ديوان واحد هو «ظلال الأيام».

110. قارن: أنور العطار. قصيدة (النهر الشاعر). موقع أدب adab.com على شبكة الإنترنت.

111. نسيمي، سيد عماد الدين (ت 819هـ/1417م): من أكبر الشعراء في تاريخ أدب الشعوب الناطقة بالتركية والمؤسس الحقيقي للشعر التركماني إلى جانب كونه شخصية بارزة في الفكر الإسلامي ولاسيما في الدول الناطقة بالتركية. تكشف قصائده التي كتبها باللهجة التركمانية (وهو أول شاعر يكتب قصائده بها في القرن الرابع عشر) إطلاعه الموسوعي على معارف عصره. استعمل نسيمي أنماطاً شعرية سائدة في الشعر العربي والفارسي كالغزل والرباعية والمثنوي. أتهم بالزندقة، وحكم عليه بسلخ جلده حياً. وعندما بدأ وجهه بالسلخ، شحب وجهه، فقال له القاضي ساخرًا: «إذا كنت الحق كما تدعي فلماذا بدأ وجهك بالشحوب؟» فرد عليه نسيمي قائلاً: «الشمس تشحب دائماً عند المغيب لتشرق من جديد». له ديوانان واحدٌ نظمه بالفارسية وآخر نظمه بالتركية. وله قصائد عدة عربية اللسان أيضاً.

112. في الأصل: «معدود».

113. تسمى سورة الفاتحة بوصفها أول سورة في القرآن «أم الكتاب» بسبب مضمونها الفريد. وهي بحسب حديث للنبي (ص) لا مثيل لها لا في التوراة أو الإنجيل أو المزامير أو القرآن. وهي كصلاة تشبه من حيث المعنى الصلاة الربية في المسيحية. وينقل حديث للنبي أيضاً؛ يقول فيه إن الصلاة التي لا تتضمن الفاتحة هي صلاة غير صحيحة. وقد استعملت منذ القديم كوسيلة سحر فعالة. (انظر: نولدكه، تيودور. 2004. تاريخ القرآن. ط 1. ت: جورج تامر. بيروت. مؤسسة كونراد - أدناور. ص 98-99). وأم الكتاب أيضاً اللوح المحفوظ. (انظر: أبو الذهب، أشرف طه. 2002. المعجم الإسلامي. ط 1. القاهرة. دار الشروق. ص 92).

114. قارن: شيمل، أنا ماري. الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ الصوفية. مصدر سابق. ص 472.

115. الألف: الحرف الأول من حروف الأبجدية العربية، قارن ابن عطا الله (ت 1309م) بينها وبين آم. إنها في الوقت نفسه، رمز لهوية الله ووحديته. «الألف بالنسبة إلى الحروف، مثل آدم، والهزمة المنبثقة منها مثل حواء. صدرت الحروف الثمانية والعشرون عن هذه الألف». خصائصها هي: الاستقامة، المحورية، العمودية، الاعتدال، الانتصاب. والتقليد الشيعي يجعل منها حرفاً شيطانياً لأنها، على غرار إبليس، أبت السجود أمام الله. أما الحلاج (ت 922م)، فيعتبرها «الجوهر الروحاني الفرد» الذي يشتمل على سائر الأحرف. ويلاحظ ابن عطا الله أن اسم الألف اشتق من الصلبة الصالحة (الألفة) والاتحاد (تأليف). «إن الذات الإلهية، في وحدانيته المطلقة، يرمز إليها الصوفيون بحرف الألف، وهي خط بسيط مجرد من أية حركة (...) وبفضل هذا الرمز العددي، الممكن فقط في لغة لحروفها

- قيمة عددية حسابية، يمكن أن تعتبر الألف النموذج والمثال للأبجدية بكاملها». (انظر: شبل، مالك. معجم الرموز الإسلامية. مرجع سابق. ص 22). ويعتبر البعض أن حرف الألف «هو أول الحروف التي سجدت لآدم» ولعله لهذا السبب تقدّم الأبجدية.
116. التستري، أبو محمد سهل بن عبد الله (ت 283هـ/896م): متكلم صوفي سني. ولد بالأهواز وتوفى بالمنفى في البصرة. جمع آراءه تلميذه محمد بن سالم وهي التي كانت أساس مذهب عُرف باسم السالمية. من كتبه: «تفسير القرآن».
117. شميل، أنا ماري. الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ الصوفية. مصدر سابق. ص 478.
118. شاه عبد اللطيف السندي (ت 1165هـ/1752م): شاعر صوفي من السند، يعد أشهر شعراء عصره.
119. قارن: شميل، أنا ماري. الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ الصوفية. مصدر سابق. ص 478.
120. حقي ألتون بَزَر أو إسماعيل حقي بن محمد علي الخطّاط (ت 1365هـ/1945م): خطّاط وكاتب تركي، درس الخط على أبيه وأتقن خط الديواني على سامي أفندي. كان من ألمع الخطاطين، وله آثار كثيرة في مساجد اسطنبول وفي بلدز. واشتهر برسم الطغراء (طغراکش). درّس الرسم والخط في غالاته سراي.
121. مصطفى راقم أفندي بن محمد قبطان (ت 1241هـ/1825م): رسام وخطاط عثماني بارع. أخذ الخط عن أخيه الكبير إسماعيل زُهرّي (ت 1806م)، كان يغلب على خطه التحفّز والحركة. ويعتبر راقم أفضل خطّاط بقلم الثلث الجلي. من مقلديه أحمد راقم المشهور بالصغير (كوجوك) (ت 1846م).
122. محمود جلال الدين (ت 1245هـ/1829م): خطّاط تركي. تعلم الخط في اسطنبول، كان معاصراً للخطاط مصطفى راقم. كان يكتب خط الثلث الجلي بأسلوب تغلب عليه الحدة والشحوب. إلّا أن كتابته في خط النسخ تميزت بطرز رشيق. وتعد أسماء عِزّت (ولدت 1780م) زوجته وتلميذته من الخطاطات المعروفات.
123. قارن: ديوان ابن المعتز. دار بيروت. مصدر سابق. ص 408.
124. المولوية: طريقة صوفية، وطريقة دراويش، تمتاز بحركات متناغمة مصحوبة بموسيقى الدفوف ورقصة دائرية مشهورة، أسسها في قونية الصوفي الشهير جلال الدين الرومي الملقّب بمولانا، ولذلك سمي أتباعه بالمولوية. تعرف الطريقة المولوية في الغرب بطريقة الصوفية «الدراويش الراقصين» وذلك بسبب نمط الذكر الخاص الذي تمتاز به. فالذكر الذي يرمز إلى معان كونية وأخرى روحية يحتم طريقة من الرقص الدائري الذي يلتف حول محور معين، فيما الراقص الموجود في الوسط يدور بالاتجاه المعاكس.
125. الشيخ غالب دده (ت 1213هـ/1799م): شاعر صوفي شهير وأحد مشايخ الطريقة المولوية. نشأة بينه وبين السلطان سليم الثالث علاقة روحية عظيمة. توفي في سن الثانية والأربعين. له أعمال عدة منها: منظومة (حُسْنُ وَعَشْقُ) وكتاب (شرح جزيرة مثوي).
126. منظومة (حُسْنُ وَعَشْقُ) التي نظمها الشيخ غالب دده، هي ردّ على منظومة (خير آباد) للشاعر نابي (ت 1712م)، إذ يقول الشيخ غالب في مقدمتها إن نابياً أخذها من حكاية وردت في كتاب (إلهي نامه) لفريد الدين العطار (ت 1220م؟)، وينتقده على ذلك أشد نقد،

ولأن هذا الكلام دار في مجلس الرفاق، فقد طلبوا منه أن يكتب تلك المنظومة، فكتبها. وكانت المصادر التي استقى منها منظومة (حُسْن وعَشَق) هي مثنوي جلال الدين الرومي (مؤنس العشاق) لشهاب الدين السهروردي (ت 1234م) و(صِحَّتْ ومرض) لفضولي (ت 1556م)، ومثنوي (لبلى ومجنون). ومنظومة (حسن وعشق) للشيخ غالب هي قصة حب صوفي مجازي.

127. ترجمت المؤلفه مثنويات فارسية للشاعر ادراكي بيكلاري السندي (حوالي 1600م) إلى اللغة الألمانية. (انظر: فكر وفن. العدد الثالث. ألمانيا. 1964. ص 46-47).

128. شوقي، أحمد (1868-1932م): شاعر عربي مصري. يُعد أحد أعظم شعراء العربية في مختلف العصور. بايعه أباء عصره أميراً للشعراء في حفل أقيم في القاهرة عام 1927. أهم آثاره ديوان «الشوقيات» ومسرحيتان شعريتان هما «مصرع كيلوباترا» و«مجنون ليلي».

129. في الأصل: «عواميد».

130. قصر الحمراء: قصر وقلعة، في غرناطة، بإسبانيا. بناء المسلمون العرب في الأندلس، ما بين أعوام 646-755هـ (1248-1354م). يحتوي القصر على أنماط من أرفع أنواع الفن العربي الإسلامي الموجودة في أوروبا.

131. الباء: يشير الصوفية بالباء إلى أول الموجودات. وهو في المرتبة الثانية من الوجود، وبه قامت السماوات والأرض وما بينهما، وافتتح الحق جميع السور القرآنية بالباء (بسم الله) حتى براءة. وقال الشيخ أبو مدين: «ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الباء عليه مكتوبة». ويقف المتأولون عند باء (بسم الله الرحمن الرحيم) طويلاً، فيجعل المتصوفة نقطتها لشيوخهم، وبعض طوائف الشيعة يجعلها للإمام علي بن أبي طالب. ويذكر المفكر هادي العلوي (1932-1998م) في كتابه (مدارات صوفية) نكتة في هذا الصدد هي للشاعر النجفي محمد علي اليعقوبي يهاجم فقيهاً شيعياً أفتى بحذف اسم الإمام علي من الأذان، فيقول:

محا نقطة الباء عن الأذان لترضى به النقطة الرابعة

132. وجد السنائي تفسيراً طريفاً لشمولية القرآن، فقال: إن القرآن يبدأ بحرف الباء وينتهي بالسين، وهذا يعني بالفارسية «بس» أي كفى، ويبين أن القرآن كاف جداً للإنسان. (قارن: شيمل، أنا ماري. الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ الصوفية. مصدر سابق. ص 482).

133. في الأصل: «ذكر».

134. باقى (ت 1008هـ/1600م): شاعر تركي، يعد من أبرز من الشعراء الذين استخدموا التركية في ذلك العهد. دعا إلى ضرورة أن يأخذ الإنسان حظه من هذه الدنيا الفانية، فتغنى بملذاتها في غزلياته وجعلها مطلبه الأول. له ديوان وأعمال نثرية أفرط فيها في البديع والمحسنات اللفظية. استطاع أن يجمع في شعره مزايا ثلاثة شعراء كبار عاشوا قبله هم جلال الدين الرومي وعبد الرحمن جامي ونظامي كنجوي.

135. قارن: ديوان ابن المعتز. دار بيروت. مصدر سابق. ص 439.

136. قارن: ديوان ابن المعتز. دار بيروت. مصدر سابق. ص 235.

137. ترجمتها:

كان الفرق من أحمد إلى أحد ميماً واحدة وقد غرقت الكائنات كلها في ميم واحدة

138. محمد: هو نبي المسلمين والنموذج المثالي للإنسان من الناحية النفسانية كما من النواحي الأخلاقية والإنسانية والروحية على حد سواء. وهو أقدس أسماء المسلمين بعد الله، يقول الطبري (ت 923م): «إن الأسماء التي كان من عادة النبي أن يطلقها على نفسه هي: محمد، أحمد، العقيب (ويعني آخر الأنبياء) والبعض يستعمل كلمة مُعَقَّب مكان العقيب. لكن اسم العقيب أكثر استعمالاً...». وليست تسمية العقيب، الاسم/الرمز، سوى الجزء المنظور من بناء باطني كامل شيد حول النبي محمد (ص) وهو يعظم قدراته. يقول ابن عربي (ت 1241م): «كان محمد الرمز الأبرز لربه ولكل جزء من الكون - الذي يمثل محمد توليفه النوعي - وهو رمز لأصله الذي هو ربه».

139. عرف حساب الجمل عند اليهود والعرب قبل الإسلام ووظفه المسلمون في تثبيت التاريخ. لقد أطلع العرب على حساب الهنود، فأخذوا عنه. وهو نظام الترقيم على حساب الجمل، وكان العرب قديماً قد استخدموا نظاماً عددياً مرتبطاً بالحروف الأبجدية العربية، حيث وضع لكل حرف أبجدي عدد يدل عليه، فكانت الحروف الأبجدية تمثل أرقاماً. فكانوا من تشكيلة هذه الحروف ومجموعها يصلون إلى ما تعنيه من تاريخ مقصود وبالعكس كانوا يستخدمون الأرقام للوصول إلى النصوص. الحروف الرقمية تمثل كل الحروف الأبجدية (28 حرفاً) ولكل حرف له مدلوله الرقمي التي تبدأ برقم 1 وتنتهي عند الرقم 1000 وهي كالآتي:

أ=1، ب=2، ج=3، د=4، هـ=5، و=6، ز=7، ح=8، ط=9.
ي=10، ك=20، ل=30، م=40، ن=50، س=60، ع=70، ف=80، ص=90.
ق=100، ر=200، ش=300، ت=400، ث=500، خ=600، ذ=700، ض=800، ظ=900، غ=1000.

140. الجيلي، قطب الدين عبد الكريم بن إبراهيم (ت 832هـ/1428م): مفسر ومتصوف مسلم. قادري الطريقة، من خلفاء الشيخ إسماعيل الجبرتي. تأثر بآراء ابن عربي في وحدة الوجود. أهم آثاره كتاب «الإنسان الكامل في معرفة الأوائل والأواخر» وهو كتاب في اصطلاح الصوفية.

141. هناك تركيب أحبه الصوفية، وهو تركيب حرفي الألف والميم، يقول الشاه عبد اللطيف:

ضع في نفسك ميماً

قبلها ألف.

وتشير الميم إلى اسم محمد، والألف إلى الله. والميم بقيمتها العددية التي تساوي 40 (في حساب الجمل) هي كما قال أحد الصوفية البنجاب «شال المخلوقية»، الذي تجلى الله عبره في شخص نبيه - وفي نفس الوقت كان بالطبع منفصلاً عنه. وهناك حديث قدسي يقول: «أنا أحمد بلا ميم» أي «أحد». وحرف الميم هو السر الفاصل بين الله الأحد وبين أحمد الذي هو محمد. وقد فهم على أنه تعبير عن الدرجات الأربعين للحلول الإلهي، من العقل الكلي نزولاً إلى الإنسان، ثم صعوداً بعد ذلك إلى العقل الكلي. أو أن تلك إشارة إلى الأربعين يوماً التي على الصوفي أن يمضيها في الخلوة المتصلة بالدرجات الأربعين على الطريق الصوفي. ومنذ زمن العطار يحب الصوفية موضوع «أحمد بلا ميم» الذي كثر وروده في الأدب الراقي، وكذلك في الشعر الصوفي الشعبي، سواء أكان ذلك لدى الأتراك

البكتاشيين أو لدى المنشدين من صوفية السند والبنجاب. وعند البكتاشيين دعاء خاص بحرف الميم، يسمونه «ميم دوسي»، يشير إلى تجلي نور النبي محمد. (انظر: شيمل، أنا ماري. الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ الصوفية. مصدر سابق. ص 481-482).

142. الفاريابي، أبو الفضل طاهر بن محمد المعروف بظهير الدين (ت 598هـ/1202م): شاعر فارسي، يعد من أشهر شعراء القرن السادس الهجري. من أهل فارياب وهي مدينة قرب بلخ. أمضى سني شبابه في فارياب ونيسابور من أعمال خراسان، ومكث مدة في أصفهان، ثم قضى سنوات آخر عمره في تبريز وتوفي سنة 598هـ، ودفن في (مقبرة الشعراء) هناك. حذق الأدب والعلوم العقلية والفلك. مدح في حياته الكثير من الملوك والأمراء، إلا أنه في نهاية عمره أشاح بوجهه عن مدح الملوك وأثر العزلة. كان من السائرين على منهج الشاعر (أنوري) في القصيدة والغزل، وأشعاره مليئة بالمعاني الدقيقة المقرونة باللطافة والسلاسة والابتكار.

143. في الأصل: «الدور».

144. لم أعثر في ديوان ابن المعتز في طبعاته المختلفة على هذا البيت.

145. قارن: ديوان ابن المعتز. دار بيروت. مصدر سابق. ص 380.

146. نهال: كلمة فارسية؛ تأتي بمعنى غصن أو فرع أو نبات أو شجرة، وتجي أيضاً بمعنى صيد.

147. في الأصل: «مناسبة».

148. في إحدى غزليات العطار يرتبط القلم بحرف النون حيث يشير الشاعر إلى أوائل سورة «ن» في الآية «نون والقلم»، والشاعر يريد أن يمشي برأس مقطوع وأيد وأرجل ممدودة مثل حرف النون المستدير. والنون هو أيضاً «الحوت»، وقد اهتم الشعراء والصوفية بالتفسير المختلفة لبدايات تلك السورة. وتعود إلى مولانا جلال الدين الرومي إحدى أفضل تلك التفسيرات:

على شط بحر الحب رأيت يونس جالساً

فسألته «كيف حالك؟»

فاجاب على قدر حاله قائلاً:

«في البحر كنت طعاماً لحوت

فانثيت مثل حرف النون

حتى أصبحت ذا النون».

(انظر: شيمل، أنا ماري. الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ الصوفية. مصدر سابق. ص 476-477).

149. أخرج ابن جرير والطبراني وابن مردويه عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن أول ما خلق الله القلم والحوت قال: اكتب قال: ما أكتب؟ قال: كل شيء كائن إلى يوم القيامة، ثم قرأ إن والقلم وما يسطرون»، فالنون الحوت والقلم القلم». (انظر: ونسك، أي. المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي. مرجع سابق. ج 1. ص 135).

150. ابن العربي أو ابن عربي، محي الدين (ت 637هـ/1240م): متصوف وشاعر مسلم. تعلم في الأندلس ثم انتقل فيما بعد إلى المغرب. أثناء حجّه إلى مكة وضع ابن عربي ديوانه

«ترجمان الأشواق» مستوحياً إياه من لقائه لإحدى الفتيات الفارسيات. وقد قام فيما بعد بشرح ديوانه الشعري هذا شرحاً صوفياً. وبعد رحلات عديدة توفي ابن عربي في مدينة دمشق. أعطى ابن عربي الفكر الديني الإسلامي بُعداً فلسفياً جديداً. وامتازت تعاليمه الصوفية بقوله بوحدة الوجود. وقد هاجمه من جراء ذلك معظم الفقهاء السنيين بقسوة. أهم آثاره: «الفتوحات المكية» والمكون من 560 فصلاً. كتاب «فصوص الحكم» وهو يعتبر كشفاً للعلوم السرية التي جاء بها الأنبياء وعددهم 28 نبياً.

151. الهاء هي الحرف الأخير من لفظ الجلالة «الله»، وأول حرف في كلمة «هو». ومما يتفق مع فكر التصوف أن ابن عربي الذي يتحدث في كتابه «كتاب المبادئ والغايات» عن أسرار الحروف، والذي خصّص لذلك الموضوع باباً في كتابه «الفتوحات المكية» رأى الهوية الإلهية في شكل حرف الهاء في نور وهاج على سجادة حمراء، وهي هاء تضيء بين ذراعها كلمة «هو» وتنتشر النور في كل اتجاه. وتصور الله بهذا الشكل في صورة حرف يعتبر شيئاً مقبولاً في دين يحرم أي تصوير مجسم - وعلى الأخص إذا كان يجسم صورة الله. والحرف هو في الحقيقة أسمى تجل لله في نظام الفكر الإسلامي. وتقترّب رؤية ابن عربي بشكل ما من وصف الدرجات التي كتبها الصوفي النقشبندي محمد ناصر عندليب في القرن الثامن عشر في دلهي:

إنه يرى الشكل المبارك للفظ الجلالة مكتوباً بلون النور على صفحة قلبه وفي مرآة قدرة تصوّره (...) وسوف يفهم وجود نفسه أمام هذا الشكل أو تحته أو عن يمينه أو عن يساره وعليه أن يجتهد أن يقترب من هذا النور (...) وعندما يصل إلى منتصف الدرجة بين الألف واللام فلا بد أن يتقدم ويأخذ مكانه بين اللامين، ثم يترك ذلك المكان ويجلس بين السلام والهاء، ومع اجتهد أكثر فسوف يغادر هذا المكان ويرى نفسه في منتصف دائرة الهاء. ثم يبدأ بإدخال رأسه في تلك الدائرة الصغيرة، غير أنه في النهاية سوف يجد أن نفسه كلها استراحت في هذا البيت وسوف يستريح أيضاً هناك من كل ابتلاء وحيرة.

وهذا يعني أن أسمى درجة يهفو الصوفي إلى إدراكها هي أن يحيطه نور حرف الهاء. (انظر: شميل، أنا ماري. الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ الصوفية. مصدر سابق. ص 483-484).

152. تقصد المؤلفة أنه معاصر للفترة التي كتبت فيها البحث، أي في مطلع ستينيات القرن العشرين.

153. كلمة غير واضحة في الأصل.

154. قارن: ديوان ابن المعتز. دار الجبل. مصدر سابق. ص 104.

155. لام ألف: شكل مركّب من ثلاثة خطوط منكب ومُنسطح مستقيم ومستلق. يعتبر حرفاً واحداً وهو الحرف التاسع والعشرون من حروف الهجاء (عن الرسول). ولقد فتن هذا الحرف الخطاطين، فأبدعوا في رسمه وتكوينه.

156. البونسي، أبو العباس أحمد بن علي بن يوسف (ت 622هـ/1225م): عالم بعلم الحروف. والبونسي نسبة إلى بونة بالمغرب. من تصانيفه: شرح المعارف الكبرى، وإظهار الرموز وإبداء الكنوز، واللمعة النورانية، ومواقف الغايات في أسرار الرياضيات، وشرح اسم الله الأعظم وغيرها، وجمعها في التصوف وعلم الحروف. مات بالقاهرة.

157. الكتاب هو: «لطائف الإشارات في أسرار الحروف الغلوّيات».
158. أبو ذر الغفاري، جندب بن جنادة (ت 32هـ/652م): صحابي، أسلم قبل الهجرة وكان سبباً في إسلام قبيلتي غفار وأسلم، اشتهر بتقواه وتشفه، دعان الناس إلى صرف ثرواتهم في سبيل الله.
159. قارن: القلقشندي، أبو العباس أحمد. (د.ت). صبح الأعشى في صناعة الإنشا. ج3. القاهرة. الهيئة المصرية العامة للكتاب. ص 7-8.
160. لم اعثر على الأبيات أو قائلها.
161. الحريري، أبو محمد القاسم بن علي (ت 516هـ/1122م): كاتب عربي. وضع خمسين مقامة حاكي فيها مقامات بديع الزمان الهمداني مع إسراف في التأنق اللفظي والبديعي وتزيّد في سوق الفوائد اللغوية والأدبية وأمثال العرب وحكمها. من آثاره أيضاً: «درّة الغواص في أوهام الخواص».
162. آصف حالي (خالد) جلبي (1907-1958م): شاعر تركي معاصر. خريج مدرسة الصنائع (أكاديمية الفنون الجميلة حالياً). بدأ بنشر القصائد الغزلية. كان متأثراً بالتصوف وبالحضارة الشرقية القديمة. صدرت له ثلاث مجاميع شعرية منذ 1942م حتى وفاته. له مؤلفات أخرى في التصوف والأدب. كانت أشعاره تحتفي بشكل خاص بصنّو رقص الدراويش (المولوية)، وبشخصية الصوفي منصور الحلاج، وبالأساطير القديمة لفرهاد وحبيته شيرين.
163. خط أو خطا، في الفارسية؛ بمعنى الشعيرات الصغيرة التي تنبت حول الوجه.
164. أي: الختم.
165. قارن: شيمل، أنا ماري. الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ الصوفية. مصدر سابق. ص 473.

البازُ الأشهب

ملاحظات في البیزرة في الشرق والغرب

[مجلة (فكر وفن)، العدد الرابع، 1964]

كنا نتنزه في يوم من أيام الخريف سنة 1963 في شارع حاشد بجماهير الناس في قلب مدينة برلين الضخمة بينما كانت السيارات تهرّ بسرعة كبيرة والضجيج يصمّ الآذان. وإذا برجل بل شيخ طاعن في السن يمشي بين الجمهور وعلى يده اليسرى باز كبير⁽¹⁾، مثل البازُ الأشهب⁽²⁾ الذي تغطّي به الشعراء ووصفه الصيادون منذ عصور بعيدة⁽³⁾ في دواوينهم ورسائلهم. أخذتنا الحيرة ووقفنا دقيقة مذهشين ولكن الشيخ كان قد اختفى بين الناس كأنه خيال.

ذكرنا هذا المنظر الغريب بأن حب الجوارح - سواء أكانت بُزاة أم صقور - عمّت جميع بلدان العالم في القرون الوسطى، وتنافس الملوك والأمراء في تربية البُزاة وتمذيب الشّواهين، وفي بعض المناطق ما زال بعضهم حتى الآن يصطاد بالصقر، وتنتشر في بعض البلاد الأوروبية جمعيات البازدارية⁽⁴⁾ وإن كانت قليلة الأعضاء.

[ومما يدل على أهمية الجوارح في القرون الوسطى أن الأمراء كانوا يهدون البزاة والصقور لمن أرادوا جلب السرور إلى قلبه والتفريح عن روحه. [فقد] أخبرتنا كتب التاريخ بأن يعقوب بن الليث الصفار⁽⁵⁾ صاحب خراسان أهدى إلى الخليفة المعتمد هدية «من جملة عشر بُزاة، منها باز أبلق لم ير مثله». ولم يزل أخوه عمرو بن الليث يرسل الثُحف النفيسة للمعتضد بالله من سنة 281 هـ/894م إلى سنة 286 هـ/899م في كل سنة هدايا جمّة منها «عشرين بازياً» أو «بُزاة كثيرة» أو «ثلاثين بازياً» وكانت مقبولة جداً عند الخليفة ولها «خطر وقيمة». وقال أحد⁽⁶⁾ الذين أرسل بازياً في يوم العيد إلى الأمير محمد بن عبد الله بن طاهر:

ومع رَسُولِي إِلَيْكَ بَازٍ أَبْرَشَ ذُو مَخْلَبٍ حَدِيدٍ
جَعَلَتْهُ تَحْفَةً لِعَبِيدٍ لَأَقَاكَ بِالطَّالِعِ السَّعِيدِ⁽⁷⁾

وكانت البزاة من الهدايا الكبيرة القيِّمة لا بين ملوك العرب فحسب، بل بين ملوك الغرب والشرق أيضاً، كما قال مؤلف كتاب (الثُّحف والهدايا)⁽⁸⁾ إن برتا بنت الأوتاري ملكة مملكة الفرنج (وهي الملكة برتا من التوسكانا 860 - 925) بَعَثَتْ إلى الخليفة المكتفي رسولاً معه تحف نادرة من جعلتها «خمسون سيفاً (...) عشرة أَكْلَبٍ كبار لا يطيقها السباع، وسبعة بُزاة، وسبعة صقور... وتليق هذه الطيور بالملوك لأنه يضرب بها المثل في نهاية الشَّرَفِ⁽⁹⁾»:

إِذَا مَا اعْتَزَّ ذُو عِلْمٍ يَعْلَمُ فَعِلْمُ الْفَقِيهِ أَوْلَى بِاعْتِزَازٍ
وَكَمْ طَيِّبٌ يَفَوْحٌ وَلَا كِمْسِكٍ وَكَمْ طَيْرٌ يَطِيرُ وَلَا كَبَّازٍ⁽¹⁰⁾
وقال الوعيطي⁽¹¹⁾ في ذلك:

لَيْسَ الْمَقَامُ بِدَارِ الذَّلِّ مِنْ شِيَمٍ وَلَا مَعَاشِرَةُ الْأَنْذَالِ مِنْ هِمَمٍ
وَلَا مُجَاوِرَةُ الْأَوْبَاشِ تَجْمَلُ بِي كَذَلِكَ الْبَازُ لَا يَأْوِي مَعَ الرَّحْمِ⁽¹²⁾

حتى أنه أصبح من الأمثال السَّارية في الشعر الفارسي أن الباز لا يطير إلاّ بأبناء جنسه. وإن أراد الشاعر التعبير عن الوحدة المطلقة يقول: «إنه في جوِّ الوحدة يطير البازي مع الحجل أو مع الحمامة»؛ أي لم يبق فرق بين الأجناس المتضادة أو المخالفة للطبيعة. وقالوا إن «البازي في المنام يدلّ على سلطان لمن هو من أهل الإمارة وإن ذهب من يده وبقي منه ساقه ذهب ملكه وبقي ذكره وإن بقي في يده شيء من الريش بقي في يده شيء من المال»⁽¹³⁾. ولذلك سَمَّوْا الأمير عبد الرحمن [الداخل] مؤسس الدولة الأموية في الأندلس «باز قريش»⁽¹⁴⁾.

ونقرأ في أشعار أبي نواس وابن المعتز وغيرهما وصفهم لهذه الجوارح الكبار، البزاة والصقور والشاهين واليؤيؤ⁽¹⁵⁾، وما يليهم، كما قال أبو نواس وأحسن بتعريفه:

ليؤيؤ يعجب من رآه
ما في اليايؤ يؤيؤ سواه
أزرق لا تكده به عيناه⁽¹⁶⁾

ونجمع من مؤلفات⁽¹⁷⁾ الجاحظ⁽¹⁸⁾، وعجائب المخلوقات للقزويني⁽¹⁹⁾، وكتاب الحيوان للدميري⁽²⁰⁾ معلومات كثيرة عن الجوارح، وألف بعد ذلك عدد لا يستهان به من المتخصصين بالصيد رسائل تحتوي على معلومات مفيدة عن أخلاق الجوارح وما يحمد منها لوناً وشكلاً⁽²¹⁾.

وعلى ما نعلم كان أول كتاب في تربية البزاة والكلاب ترجمة من تأليف يوناني في العصر التاسع [للميلاد] وكان المسلمون في ذلك الزمان في حروب مع أهل (...)⁽²²⁾، ولذلك قال الشيباني⁽²³⁾ الفقيه المشهور المتوفى سنة 804م: «ومن وَجَدَ من العُزاة في دار الحرب فهْدًا أو بازياً أو صَقراً غير مملوك لأحد، فأخرجه إلى دار الإسلام، فإنه يجعل ذلك في الغنيمة»⁽²⁴⁾.

وقال القزويني - وقد جمع المعلومات التي عثر عليها عند المصنِّفين كلهم: «البازي أشد الجوارح تكبراً وأضيقها خلقاً، يوجد بأرض التُّرك؛ لا يكون البازي إلا أنثى ومن هذا النوع ما خلق الله الذَّكَرَ، ذكرها يكون من نوع آخر (...) وإن كان الغالب على لونه البياض فهو أحسن البزاة وأملأها جسماً وأجرأها قلباً وأسهلها رياضة، والأشهب لا يوجد إلا بأرض أرمينية وأرض الخزر»⁽²⁵⁾⁽²⁶⁾.

وسمى العرب القمح الأسود وهو ذو أزهار بيضاء مثل الريش؛ «صدر البازي». وقال الدميري، واجتمع على ذلك المؤلفون بأن «أحسن أنواعه ما قلَّ ريشه واحمرَّت عيناه مع حدةً فيهما (...) ودون الباز الأشهب، [الباز] الأزرق الأحمر العَيْنين والأصفر دونهما»⁽²⁷⁾.

إلا أن صاحب [كتاب] المصايد والمطارد⁽²⁸⁾ يُفضِّل الأحمر الأكثر سواداً الغليظ خطوط الصدر، وهذا ما يُحمَد عادةً في الصقور لا في البزاة.⁽²⁹⁾

أما أهل البيزرة⁽³⁰⁾ في الغرب، فقد فضَّلوا الباز الأشهب على جميعها⁽³¹⁾. وقد ألف كثير من العرب والعجم كتباً في أوصاف الجوارح حتى أنه كان من واجبات كاتب الدولة أن يَعْلَم صفاتها (نقرأ ذلك في صُبْح الأعشى للقلقشندي). أما

الكتاب الأكثر تفصيلاً⁽³²⁾ في هذا المضمار هو كتاب «صَنَعَةُ الصَّيْدِ بواسطة الجوارح» الذي ألفه الإمبراطور الألماني فريدريك الثاني⁽³³⁾ ملك صَقْلِيَّة المتوفى سنة 1250م وهو من أَجَلِّ ملوك الغرب وأكثرهم تَمَاسًا بالعرب الذين كانوا قد حَكَمُوا جزيرة صَقْلِيَّة مدة طويلة قبل أن يفتحها أهل الشمال.

ونجد في كتابه الضخم الذي كتبه باللاتينية⁽³⁴⁾ تفصيلات عن تفرعات تربية الجوارح وتهذيبها وكثير مما ذكر يوافق ملاحظات العرب إلا أنه لم يكرّر الغلط المشهور بأنه لا يوجد من البازي إلا الإناث [فحسب]، ولكنه أثبت «أن الصائد الكبير الجثة المعتبر في الصيد في جميع أجناس الجوارح هو الإناث». ويصف ألوان الجوارح وأشكالها بمنتهى الدقة، وهذا قريب من وصف المؤلفين العرب للُبْرَة وسائر الجوارح. ونجد فيها بالخاصة الصقر. وقال الدميري: «إن العرب تُسمي كل طير يصيد صقراً ما خلا النسر والعُقاب (...) وبهذا السَّبب يضرى⁽³⁵⁾ على الغزال والأرنب ولا يضرى على الطير لأنها تفوته، وهو أهدأ من البازي نفساً، وأسرع أنساً بالناس، وأكثرها قنعا (...) ومعناه في الرؤية هو العز والسلطان والتَّصر على الأعداء وبلوغ الآمال»⁽³⁶⁾.

ومن جنس الصقر على ما قالوا السنقر⁽³⁷⁾، وهو أشرف الجوارح، والسنافر تجلب من البحر الشامي⁽³⁸⁾ مغالياً في أثمانها وكان الواحد منها يبلغ ألف دينار، ثم نزل عن تلك الرتبة، هذا ما ذكره مؤلف مصري في القرن الخامس عشر [للميلاد]. ومن جنس الصقر أيضاً الشاهين الذي كان محموداً في بلاد الهند، ومنه اليؤيؤ السريع الطيران. قال فيه بعضهم:

ويؤيؤ مُهذَّب رَشِيق

كَأَنَّ عَيْنِيهِ لَدَى التَّحْقِيقِ

فَصَارَ مَخْرُوطَانٍ مِنْ عَقِيقِ⁽³⁹⁾

ومنهما أيضاً الباشق⁽⁴⁰⁾ الخفيف المَحْمَل الظريف الشَّمائل الذي يليق بالملوك أن تخدمه لأنه يصيد أفخر مما يصيده البازي.

ومنها البندق⁽⁴¹⁾ [وهو] لا يصيد إلا العصافير:

مُؤدَّبٌ مَدْرَبٌ الْخَلَائِقِ أَصِيدَ مِنْ مَعْشُوقَةٍ لِعَاشِقِ⁽⁴²⁾

وكُلَّها - أي البزاة - حارّة المزاج وأحسنها خُلُقاً وخُلُقاً تلك التي يقع موطنها في الشمال، ولا يسهل القبض على هذه الجوارح وتربيتها⁽⁴³⁾. وقال أحدهم إنه من فضيلة الباز «إن الصيد فيه طبيعة لأنه يؤخذ من وكره فرحاً من غير أن يكون صَادَ مع أبويه، فيصيد ابتداءً وقريحةً من غير تدريب، بخلاف الصقر، فإنه إذا أُخذ قبل أن يتصيّد مع أبويه لم ينبج ولم يَصِدْ، وإذا كان قد لحق أبويه وصار معهما ثم عُوِدَ أكثر مما يوجد عنده في تلك الحال وجرى على ما هو أكبر من الطَّبَّاء اعتاد ذلك ومهَرَّ فيه».

وقال الإمبراطور فريدريك إنه من المفضل ألا يؤخذ الفرخ من عشه بل أن يُقبض على البزاة الكبيرة - ولو بأنواع المصائد - لأنها أكثر فائدة من صغيرها مع صعوبة ذلك.

وسلّكوا في قديم الزمان مناهج مختلفة للقبض على البزاة والصقور، وبعد أن ملكوها ابتدأوا تربيتها وتهذيبها وهذا من مهمّات البازدارية. وعليهم أن يَعْلَمُوا كل ما يختص بالجوارح التي في حيازتهم كما وصف ذلك أبو بكر الأشعري⁽⁴⁴⁾ - مثلاً لسائر المؤلفين - في كتابه مثلاً: تقدم الطعام للضواري حسب⁽⁴⁵⁾ طبيعة كل واحد⁽⁴⁶⁾ منهم، امتحان الضواري، سياسة الضواري، التضرية والإجابة [إذا] أحسن البازي إجابة، إرسال البازي الفرخ وتحسينه على الصيد، تدبير البازي إذا قلّ حرصه على الصيد، تجبير البازي على عظام الطير، تدبير البازي إذا قرّص، إضمار الطير بعد خروجه، معرفة صحّة الطير، دلائل أمراض الطير وسائره.

وعَدَّ الإمبراطور فريدريك صفات البازدار في مقدمة الكتاب (أي الفصل الثاني لرسائله المذكورة، وأيضاً في الباب السابع والأربعين من هذا الكتاب، وقال: إنه على البازدار مهمّات كثيرة مختلفة الأنواع، منها أن يهذّب جوارحه أدقّ تهذيب إلى أن تبقى معه وتفقّد خوفها الجبلي⁽⁴⁷⁾ من الإنسان، وأن يُعلّمها صيد الطيور التي اختارها هو، لا غير وهذا لا يسهل لأنه ضد ميّلتها الطبيعي.

ولذلك يتطلّب من البازدار أن يكون حائزاً على كثير من الصفات المحمودة؛ أن يكون متوسط القامة لا بطويل ولا بنحيف ولا بسمين، ذكراً عاقلاً، صبوراً غاية الصبر، ذا ذاكرة قوية يتذكّر أخلاق بُزاته المختلفة، بصيراً يرى صقوره ولا

يفقدها، ذا سمعٍ دقيق يدرك أصوات الطيور وصوت الجرس الذي في رجل بازه، ذا صوت عالٍ تسمع البزاة صوته من بعيد، خفيف الحركة، متيقظاً، جسوراً، يستطيع السباحة، ولا يؤخذ الشاب لهذه الوظيفة بل الرجل الكاهل لأن الشاب قليل الصبر لا يحب إلا الصيد الموفق وربما لا يُبالي بالنظام المقرّر لتهديب الصقور. ومن صفاته المطلوبة [أيضاً] أن يكتفي بالنوم القليل ولا يستسلم للنعاس، لأنه يفتش على الجوارح في الليل وينهض من السبات قبل السحر، وهذا ما نقرأه أيضاً في الأشعار إذ وَصَف ابن المعتز الصيد:

قد أغتدى أو باكراً بأسْحارٍ ونحن في جَلَبَابٍ لَيْلٍ كالقَارِ⁽⁴⁸⁾

ولا يكن البازدار مُغرماً بالأكل وإلتِهَام الأُطعمة اللذيذة، ولا سَكِيراً مُدمناً على الخمر - لأن الخمر تُنسيه الاعتناء بالصَّواري- ولا صاحب حِدَّة ولا غَضُوباً أو كَسْلاًن أو مُهمِّلاً أشغاله. وهذا ما طلبه الإمبراطور الألماني من بزادرته!

ومن أهم ما نستنتجه من رسالته هو دور العرب في تعليم البزاة وخاصة إدخالهم غشاء الباز⁽⁴⁹⁾. وكان أهل الغرب يُغلقون عَيْنِي الباز المحبوس قبل أن يربّوه، ويُخيطون أجفانه بإبر وخائط لئلا يرى وجه الإنسان، وبعد أن يتم تهديب الباز يفتحون له عينيه، فيرى كل ما في العالم. وقال الإمبراطور في الباب السابع والسبعين من كتابه:

«إن غشاء الباز من مخترعات أهل الشرق وعمل بها أولاً - على ما كان معلوماً عندنا- العرب. ونحن، لما سافرنا عبر البحر، رأينا استعماله ودرسنا طريقة وضعهم هذا الغشاء على رؤوس البزاة. وأما ملوك العرب، فلم يكتفوا بإهدائهم لنا أنواع البزاة فحسب، بل أرسلوا معها البزادرة الذين يعتبرون اختصاصيين في استعمال الغشاء. وإننا منذ أول عَزَمنا على كتابة رسالة كاملة في البيزرة أدخلنا - مزيداً على منابع العلم المذكور- ضواري ورجال ماهرين في هذه الصنعة جاء بعضهم من بلاد العرب وبعضهم الآخر من سائر البلدان، وحصلنا منهم عل كل ما عرفوا من علم. ولما كان استعمال الغشاء أفضل ما كان لديهم من مناهج التهذيب قيِّمة ولما شاهدنا فائدته العظيمة في تربية الصقور، اتخذناه لبزاتنا واستحسنه حتى أن معاصرينا أخذوا منا طريقة استعماله».

ومعنى ذلك أن العرب هم الذين بدأوا بهذا المنهاج المفيد الذي حلّ في القرون الوسطى محل المنهاج القديم، يعني إغلاق عَيْنِي الباز لمدة تدجينه.

ونعلم أن رسالة لابن سينا⁽⁵⁰⁾ في علوم الطبيعة ترجمها ميخائيل سكوت⁽⁵¹⁾ في زمان الإمبراطور فريديريك الثاني، ويغلب الظن أنه قام بهذه الترجمة بأمر فريديريك، وترجم دانيال الكريموني⁽⁵²⁾ رسالة عربية في البيزرة لولد هذا الإمبراطور الذي وُصف الشاعر الألماني ريلكه في أحد أشعاره كيف أُملى رسالته في البيزرة وكيف كان يصرف أكثر أوقاته في تهذيب الباز الوحشي الجميل حتى أن قلبه كان يطير مع البزاة إذا خرجت للصيد.

وذكر مؤلفو العرب؛ الملوك الذين اتخذوا لهم أنواع الجوارح للصيد، وقال ابن منقلى⁽⁵³⁾؛ إن أول من صَاد بالبازي ملك الروم، وذلك أنه رأى بازاً إذا أعلاه كَفَّ وإذا أسفل خفق وإذا أراد أن يسمو درق، فاتبعه حتى وقع على شجرة، فأعجبته صورته، فقال هذا طائر له سلاح يزين به الملوك، فأمر بجمع عدة من البزاة وجُعِلت في مجلسه، فعرض لبعضها طير، فوثب عليه، فقتله، فقال هذا ملك يغضب كما تغضب الملوك.

وقالوا إن أول من صاد بالشاهين قسطنطين⁽⁵⁴⁾ ملك الروم وكانت الشواهين قد ربطت له وعُلِّمت أن تحوم على رأسه لتظلّه من الشمس وتنحدر مرة وترتفع أخرى إلى أن ركب يوماً، فثار طائر من الأرض، فانقضّ عليه شاهين، فأعجبَ الملك ذلك، فضراه على الصيد⁽⁵⁵⁾. وقال ابن عفير⁽⁵⁶⁾ كانت ملوك العرب إذا ركبت في مواكبها طيّروا الشواهين فوق رؤوسهم وكان ذلك عندهم هو الرتبة العظيمة. ولا شك أن الروم أول من أَلْفُوا رسائل في البيزرة وأخذ العرب عنها أشياء مهمة. وأضاف المؤلف قائلاً:

«وَأول من اصطاد باليؤيؤ بهرام جور⁽⁵⁷⁾ الإيراني؛ أي أن الصيد لهذا الطير مخصوص بالإيرانيين. وأول من ولع بالعقاب أهل المغرب، وقيل إن قيصر أهدى إلى كسرى عقاباً وكتب إليه علّمها، فإنها تعمل عملاً أكثر من الصقور التي أعجبتك».

ونرى من ذلك أنه قبل أن يقوم الإمبراطور فريديريك بتأليف رسالته في النصف الأول من القرن الثالث عشر [للميلاد]؛ كان أجداده من الملوك قد اشتغلوا بهذه

الصُّنعة الأصلية. وقد مضى ذكر ملكة برتا، وكان شارلمان⁽⁵⁸⁾ - معاصر هارون الرشيد⁽⁵⁹⁾ - قد نشر قانوناً أمر فيه بحماية البيزرة، وكان الملك هنري الرابع⁽⁶⁰⁾ (المتوفى سنة 1106م) وكذلك الملك فريدريك بارباروسا⁽⁶¹⁾ (أبو اللحية الحمراء المتوفى 1190م في أثناء الحروب الصليبية) يحبان البُزاة والبيزرة، ونجد أسماء فيليب أوجوست الملك الفرنسي⁽⁶²⁾ (المتوفى 1223م) وهو حليف⁽⁶³⁾ لفريدريك الثاني وصديقه.

ولقيت⁽⁶⁴⁾ البيزرة رواجاً في إنجلترا حيث اعتنى بها الملك إدوارد الثالث⁽⁶⁵⁾ (المتوفى 1377م) حتى أن راهبة، رئيسة دَير، اسمها يوليانا برنيه (المتوفى 1485م) ألّفت رسالة في البيزرة! ولا ننس ذكر اسم شارل الخامس⁽⁶⁶⁾ الإمبراطور العظيم (المتوفى 1558م) في قائمة الذين عملوا بهذه الصُّنعة.

ونجد إلى الآن في ألمانيا بجوار كثير من المدن الصغيرة التي كانت فيما مضى⁽⁶⁷⁾ مساكن للأُمراء والأساقفة قُصَصَات تسمى بفازانري أي «محل التدرُّج». بمعنى «مطعم الطير» وكان أهل الرياسة يجتمعون هناك للصيد بالجوارح.

ونشرت طبعة الترجمة الألمانية لكتاب «صُّنعة الصيد بواسطة الجوارح» تأليف فريدريك الثاني في سنة 1756م في مدينة انسباخ⁽⁶⁸⁾ بأمر أميرها المشغوف بالبيزرة. ويروي لنا عن قرية صغيرة في بلاد الفلمنك⁽⁶⁹⁾ اسمها فالكنفرت أي تل البزاة؛ كانت مَرَكزاً للبيزرة في أوروبا لمدى قرون طويلة، اختصَّ أهلها بالقبض على البزاة وتهذيبها.

ولم تزل البيزرة تلعب دوراً حتى في عهد الطائرات⁽⁷⁰⁾ النفاثة، فإنه من المعروف⁽⁷¹⁾ أن بعض الطائرات القريبة من البحار والمحيطات تتجهم فيها أسراب الطيور، وبخاصة أسراب النورس، وهي ربما تُلحق بالطائرات أضراراً إذا اصطدمت بها، وقد تُسبب هذه الصدمات أضراراً بالغة على الطائرات، فتكلف مصاريف تصليحها ما يقرب من عشرة ملايين من الماركات في ثلاث سنوات. ولذلك أوصت الحكومة الكندية أحد المتخصصين بالبيزرة بهتذيب أربعة بزاة، فربَّها، وطَيَّرها على أسراب النورس في بعض المطارات في كندا، ويتحير السائح إذا شاهد رجلاً على يده باز مغشي الرأس، فإذا اقترب هذا الطير الجارح من النورس تخاف منه وتهرب وقد انصرف كثير منها عن المطارات بعد ذلك⁽⁷²⁾.

أما في الشرق، فكانت للبيزرة أهمية أكبر منها في الغرب. فبلغت في أيام⁽⁷³⁾ الخليفة المستوكل العباسي نفقات أرزاق الكلابزين⁽⁷⁴⁾ والبازدارية والفهادين⁽⁷⁵⁾ خمسمائة ألف درهم في السنة.

وحكى الرحالة⁽⁷⁶⁾ البندقي المشهور ماركو بولو⁽⁷⁷⁾ أنه لما جاء لزيارة الخاقان قوبلاي خان⁽⁷⁸⁾ سنة 1290م رأى ما يقرب من عشرة آلاف من البازدارية أو ما يشبههم، وكان لكل باز يملكه الخاقان أو أمير من أمرائه لوحة صغيرة فضية في رجله مكتوب عليها اسم صاحبه⁽⁷⁹⁾. وقيل لما سئل أولاد قوبلاي خان، أين تجدوا كمال اللذة أجابوا: في الصيد وتطير البزة.

أما غازان خان⁽⁸⁰⁾ خاقان المغول في إيران، [فقد] كتب المؤرخ رشيد الدين⁽⁸¹⁾ أنه أخرج نظاماً جديداً لأهل الصيد والبيزرة لأنهم قد ازدادوا شقاوة وظلماً، فقطع نفقاتهم وأمرهم بأن يرسلوا من الولايات الإيرانية ألفاً بازٍ مهذب وثلاثمائة فهد إلى مراكز الحكومة.

[ومما] يدل على حب المغول والأتراك للبيزرة والصقور أيضاً أسمائهم وكثيراً ما تجد فيهم من سموه باسم طير جارح؛ مثلاً سنقر، آق سنقر (السنقر الأشهب)، لاجين، بلبان، طغول ومثل ذلك. وصور أحد الرسامين الأمير باي سنقر التيموري⁽⁸²⁾ يحمل بازاً وقال فيه الشاعر؛ إنه يحمله لكي يصطاد قلب العالم (تا دل عالمي شكار كند).

ومن تأخذه الدهشة لعظم هذا العدد من الجوارح التي تخص - على حسب وصف ماركو بولو ورشيد الدين - ملك واحد، فليقرأ ما كتبه الملك كيكاوس بن اسكندر الزيارى⁽⁸³⁾، أمير جرجان في [كتاب] قابوس نامه الذي ألفه لولده المحبوب سنة 475هـ/1083م⁽⁸⁴⁾، وقال في الباب الثامن عشر «من الصيد»: إن الأمير يصيد بالبزة والشواهين والصقور، وإنه من عادات ملوك خراسان ألا يحملوا الباز على أيديهم، أما ملوك العراق والأمراء هناك، فهم يحملون الباز بأنفسهم. ويظن الملك كيكاوس أنه يليق بالملك أن يحمل ويطيّر بازياً ولكنه لا يطيره إلا مرة واحدة ثم يأخذ بازياً آخر.

وهذا القابوس نامه من أشهر الكتب الفارسية القديمة ترجمه المستشرق الألماني هـ. ف. فون ديتس⁽⁸⁵⁾، صديق شاعرنا الكبير غوته⁽⁸⁶⁾، إلى الألمانية سنة 1811م،

وَنَشَرَّ بَعْدَ ذَلِكَ بِسَنِينَ [عدة] مُسْتَشْرِقٌ نَسَاوِي، [هو] يَوْسُفُ فُون هَامِر
بُورجِسْتَال⁽⁸⁷⁾ كِتَاباً جَامِعاً لثَلَاثَ رِسَالٍ فِي الْبَيْزَرَةِ، اسْمُهُ Falknerklee أَيْ
«بَرَسِيمُ الْبِزَادَرَةِ».

أَمَّا سُلَاطِينُ مِصْرَ فِي عَهْدِ الْمَمَالِكِ، فَإِنَّهُمْ ثَابَرُوا عَلَى الْإِهْتِمَامِ بِالْبَيْزَرَةِ، وَنَجَدَ
عِنْدَهُمْ أَمِيرٌ آخَرٌ كَبِيرٌ وَهُوَ مِنْ أَجْلِ الْأُمَرَاءِ الْمُقَدَّمِينَ أَلْفٌ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ وَكَانَ
تَحْتَ أَمْرِهِ أَمِيرُ شَكَار⁽⁸⁸⁾ وَهُوَ فِي رَتْبَةِ «أَمِيرٍ عَشْرَةٍ»⁽⁸⁹⁾ وَحَارِسُ الطَّيْرِ، وَمَنْ
الْمَمَالِكِ الصَّغَارِ مِنْ لُقْبٍ بِالْبِزَادَرَةِ وَهُمْ «الصَّبِيَانُ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الطَّيُورَ عَلَى
أَيْدِيهِمْ»؛ وَكَاشَفَ الطَّيْرَ، وَالْخَوَانِدَارَ⁽⁹⁰⁾ وَهُوَ الَّذِي يَطْعُمُهَا؛ وَكَانَ السُّلْطَانُ أحياناً
يَزُورُ مَطْعَمَ الطَّيْرِ الَّذِي بِالرِيدَانِيَةِ⁽⁹¹⁾ «وَأُطْعِمَتِ طُيُورُ الصَّيْدِ بِحَضْرَتِهِ عَلَى الْعَادَةِ»
أَوْ «أُطْلِقُوا قَدَّامَهُ الْكِلَابُ وَالصَّقُورُ وَالْفَهْوْدَةُ وَانْشَرَحَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ» (سَنَةِ 918
هـ/1512م) وَلَكِنْ ذَلِكَ مَا كَانَ «إِلَّا لِإِقْتِفَاءِ الْعَادَةِ لِأَنَّ الطَّيْرَ وَالْوَحْشَ الَّتِي
أُصْطِيدَتْ»⁽⁹²⁾ كِلَاهُمَا كَانَ مَعَ أُمَرَاءِ شَكَار.

وَكَانَ سُلَاطِينُ الْمَغُولِ فِي الْهِنْدِ مُعَرِّمُونَ بِالْبَيْزَرَةِ إِلَى حَدٍّ كَبِيرٍ حَتَّى أَتَمُّوا جَعْلَ
الرَّسَامِينَ يَصَوِّرُونَ صُورَ صَقُورِهِمُ الْمَحْبُوبَةِ، وَفِي كَثِيرٍ مِنَ اللَّوْحَاتِ اللَّطِيفَةِ نَرَى
رَسُوماً لِلْسُّلْطَانِ أَوْ لِأَمِيرٍ أَوْ أَمِيرَةٍ وَعَلَى أَيْدِيهِمْ⁽⁹³⁾ بَازٌ؛ وَصَنَّفَ الْمُؤَلِّفُونَ فِي عَهْدِ
الْمَغُولِ مِنَ الرِّسَالِ بِاللُّغَةِ الْفَارْسِيَّةِ وَالْأُرْدِيَّةِ مَا اسْتَرْعَى انْتِبَاهَ أَهْلِ الْغَرْبِ، مِنْهَا «بَازُ
نَامِهِ» لِتَمِيمُورِ مِيرْزَا، وَمِنْهُ لِيَارِ مُحَمَّدِ خَانَ، وَتَأَلَّفَ مِنْهُمْ فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ لِحْدَايَارُ
خَانَ طَبَعُوهُ فِي الْهِنْدِ قَبْلَ عَصْرِ وَاحِدٍ، وَهَنَّاكَ كَتَبَ أُخْرَى فِي الْمَكْتَبَاتِ⁽⁹⁴⁾ الْخَاصَّةِ
فِي بِلَادِ الْهِنْدِ وَالسِّنْدِ.

وَمِنْ الطَّبِيعِيِّ أَنْ هَذِهِ الْجَوَارِحُ النَّجِيَّةُ أَصْبَحَتْ مِثَالاً لِلْكِبَرِ وَالْقُوَّةِ عِنْدَ
الشُّعْرَاءِ فِي الْغَرْبِ وَالشَّرْقِ وَضُرِبَتْ بِهَا الْأَمْثَالُ، مِنْهَا مَا يَذْكُرُ مُحَمَّدُ بْنُ مَنقَلِي
الْفَقِيهِي فِي (مَنَاهَجِ السَّرُورِ وَالرِّشَادِ): «إِذَا لَمْ يَتْبَعْكَ الْبَازِي، فَاتَنَفَّ رِيْشُهُ»⁽⁹⁵⁾
و«لَا يَفْزَعُ الْبَازِي مِنْ صِيَاحِ الْكَرْكِيِّ»⁽⁹⁶⁾ وَكَانَ هَذَانِ الْمِثْلَانِ مِنْ أَمْثَالِ الْمُؤَلِّدِينَ لَا
الْعَرَبِ الْعَرَبَاءِ عَلَى مَا قَالَ.

وَشَكََا الشَّاعِرُ مِنْ جَفَاءِ الدَّهْرِ قَائِلاً:

وَكُلَّ بَازٍ يَمْسَهُ هَرَمٌ يَجْرِي عَلَى رَأْسِهِ الْعَصَافِيرُ⁽⁹⁷⁾

وَصَدَقَ مَنْ قَالَ فِي حَالِ الشَّيْخُوخَةِ وَالْعَجْزِ:

وَكُنْتُ كَبَازِ الْجَوِّ قُصَّ جَنَاحُهُ يَرَى حَسْرَاتَ كُلِّمَا طَارَ طَائِرُهُ
يَرَى طَائِرَاتِ الْجَوِّ تَخْفُضُ حَوْلَهُ فَيَذْكُرُ إِذْ رِيَشَ الْجَنَاحِينَ وَافِرُ⁽⁹⁸⁾

ولكنهم في أكثر الأبيات والأمثال يمدحون الباز الأشهب أو «الكافوري» كما يسمى في الهند، ونسبوا مدح هذا الطائر على ملوك الماضي والفلاسفة الغابرين كما كتب أبو بكر الأشعري في كتابه «الجوارح وعلم البزدر»، أن كسرى أنوشروان قال:

«البازي رفيق حسن لا يأخذ إلا في وقت الفرض. وقال قيصر: البازي ملك كريم إن جاع أخذ وإن استغنى ترك. وقال الفلاسفة: حسبك من البازي سرعته في الطلب وقوته في الريق»⁽⁹⁹⁾.

وقال ابن منقلي الفقيهي في كتابه المذكور: «إن من شرف البازي أنه صُنِفَ فيه ولُقِّبَ به الإمام الجليل - أحد الفقهاء المشهورين - أبو العباس بن سريج⁽¹⁰⁰⁾، فقليل فيه الباز الأشهب وناهيك بهذا التنويه». ومما يؤيده بذلك، بل أبلغ من الأول قول سيدنا الشيخ العارف بالله تعالى عبد القادر الجيلاني:

أَنَا بُلْبُلُ الْأَفْرَاحِ أَمْلَأُ دَوْحَهَا طَرِباً وَفِي الْعَلْيَاءِ بَازٌ أَشْهَبُ⁽¹⁰¹⁾

وكان الشيخ عبد القادر - كما حكى الدميري - دخل على الشيخ حماد الدباس⁽¹⁰²⁾ يزوره، فنظر إليه الشيخ وكان قد رأى أنه قد اصطاد بازياً، فأثرت نظرة الشيخ فيه، فخرج من عنده وتجرّد عن أسبابه وكان من أكابر أصحابه. ولُقِّبَ الشيخ عبد القادر إلى الآن «الباز الأشهب»⁽¹⁰³⁾ عند أهل طريقته.⁽¹⁰⁴⁾ والباز هو الطير الحر الذي يريد الطيران في الفضاء⁽¹⁰⁵⁾، ولذلك أخذه شاعر ألماني في منتصف⁽¹⁰⁶⁾ القرن الثاني عشر مثلاً للحبيب الذي يترك محبوبته، وقال على لسان امرأة منتظرة عودة معشوقها:

رَبِّيتْ لِي بَازِيًّا أَكْثَرَ مِنْ سَنَةِ

وَزَيْتِ جَنَاحِيهِ بِشَرَائِطٍ مِنْ ذَهَبٍ

فخلق في الفضاء طائراً ولم يرجع

ويختم الشعر بالدعاء:

لَيْتَ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَ الْمُشْتَاقِينَ إِلَى الْمُتْلَفِّينَ إِلَى اللَّقَاءِ!

وفي الشعر الفارسي والتركي، وبخاصة في أشعار المتصوفة، يُعبّر البازي عن الروح الحرة التي كانت محبوسة عند عجز وهي الدنيا، والطير السلطاني يشاق إلى حضور السلطان ويَطير إلى يده عندما يسمع صوت الطبل. وهذا التشبيه قديم جداً، لأن الأقوام الابتدائية⁽¹⁰⁷⁾ وأهل مصر القديمة كانوا يُشبّهون الروح بطير يترك الجسد وقت الموت⁽¹⁰⁸⁾؛ ومما لا شك فيه أن هذا الرمز أثر في تشبيه الروح القدس⁽¹⁰⁹⁾ بالحمامة في الرموز المسيحية⁽¹¹⁰⁾.

ونقرأ في الأدب الجاهلي كذلك أن الطير له علاقة بروح الميت ويذكر الشعراء الهامة⁽¹¹¹⁾ وهو⁽¹¹²⁾ طير يطير حيث سفكت الدماء، حتى أننا نجد في حديث مشهور وصّف لمقام الشهداء الذين تبقى أرواحهم في أجواف طيور خضراء⁽¹¹³⁾.

وإن لهذا التشبيه علاقة بحكاية الورد والعنديل في الأشعار⁽¹¹⁴⁾، وليست هذه الحكاية إلاّ تعبيراً عن العشق الأزلي بين الروح الإنسانية التي هي العنديل النائح⁽¹¹⁵⁾ وبين الجمال المطلق الذي يظهر في شكل الوردة الجميلة. ومن المعلوم أن هذا التشبيه كثير الاستعمال في الأدب الفارسي والتركي؛ ونجد الشعراء كذلك يشبّهون الإنسان بالبط⁽¹¹⁶⁾ الذي نصفه مربوط بالأرض ونصفه بالبحر أي بعالم الروح.

ولم يزل الشعراء يُعبّرون عن اشتياق الروح المحبوسة في البدن إلى الحرية ويشبّهونها بالطير في القفص. والمثال المشهور لهذا التشبيه هو كتاب منطق الطير لفريد الدين عطار⁽¹¹⁷⁾ الذي يصف سياحة الطيور الثلاثين إلى جبل قاف⁽¹¹⁸⁾ حيث تسكن العنقاء، وهي بالفارسية سيمرغ⁽¹¹⁹⁾، وتدرك الطيور الثلاثون (وهم بالفارسية "سي مرغ") بأنهم أنفسهم سيمرغ، أي أن أرواح الأفراد في أصلها متّحدة بالذات الإلهية. وقال عطار في أحد أبواب شعره؛ إن الباز كان كثير الافتخار حتى أنه لم يُرد السفر إلى جبل قاف لأنه لا يحب الخضوع إلاّ لسلطانته.

«ومن شرف البازي أن الملوك تحمله على أيديهم» هكذا قال ابن منقلي.
ولذلك يودّ الشعراء أن يَصِفُوا الباز جالساً على ساعد سلطانة. وقال يونس إمره
المتصوّف التركي في ذلك:

كان يونس بازياً، جَلَسَ على سَاعِدْ طابِدق⁽¹²⁰⁾ (وهذا اسم شيخه)
وفي بيت آخر له:

عَادَ طَيْرُ رُوحِي يطير

جَلَسَ على سَاعِدْ الملك يتكلّم بالأسرار.

لأن الشيخ تمثّل بسليمان النبي⁽¹²¹⁾ الذي كان يعرف منطق الطير.

واستعمل مولانا الرومي هذا المثال في كثير من أشعاره حيث يصف بالطرف
التعابير شَوْقُ الباز الرُّوحاني المحبوس في ظلمات الدنيا إلى الطيران بالفضاء، فقد
غلب عليه حرصه وطمعه، فوقع في الفخ، فأصبح كالأسير في غرفة ضيقة، وعلى
رأسه غِشَاء (وهو غشاء الحرص الذي يغلّق عَيْنَيْهِ)؛ أو أنه كالمريض في وسط
جماعة من الغربان التي لا تفهم اشتياقه إلى وطنه الأصلي؛ وإن رُفِعَ الغِشَاء عن عينيه
وسمع صوت الطبل السلطاني يوم الرحيل رجع إلى سلطانه؛ حتى أن مولانا الرومي
قال في بيت له إن الباز يسمى بازاً لأنه يرجع (بالفارسية: باز ايد) إلى ساعد
السلطان⁽¹²²⁾.

وفي بعض الأشعار نرى الباز كمثال للسطوة، لذلك يشبّه الشاعر نظرة العين
القاتلة بالشاهين، أو يصف جذبه للوَجْدِ بِبَازٍ يقبض على الطائر ويحمله إلى السماء،
ونجد أيضاً التعبير «باز الأجل» الذي يسلب الروح من الإنسان، ومن الطبيعي أن
مولانا الرومي وصف «باز العشق» الذي قَبَضَ على قلبه المجروح وطار به إلى
اللانهاية.

كل ذلك يشير إلى شرف الجوارح بالعموم والبراة بالتحديد⁽¹²³⁾، وذكرنا
ذلك بالشيخ الذي لاقيناه وسط حشد كبير في مدينة برلين حاملاً بازه على يده؛
بأن ملوك الشرق والغرب كانوا يحملون بزاقهم وصقورهم كذلك، وأن أهل البيزرة
الذين قد تعلّموا الحلم والصبر وحسن النية عند تهذيبهم الجوارح كانوا يهذبون
قلوب أمراء العرب والعجم، حتى صار حُب البيزرة من صميم الروابط بين الشرق

والغرب في القرون الوسطى لأن كل من اشتغل بهذه الصنعة فَهَمَ معنى المصراع المشهور:

وَمَلَّ يَنْهَضُ الْبَازِي بِغَيْرِ جَنَاحٍ؟⁽¹²⁴⁾
الذي يقال في الحثّ على التعاون والوفاق.

الهوامش والإحالات

1. الباز أو البازي: جنس من الصقور الصغيرة أو المتوسطة الحجم، تميل أجنتها إلى القصير، وتميل أرجلها وأذناها إلى الطول. جمعها: بواز وبزاة. ولفظ البازي مشتق من البزؤ، وهو الغلبة والقهر؛ وقيل: البازي لا يكون إلا أنثى، وذكرها يكون من نوع آخر من الحداة والشاهين، ولهذا ترى الاختلاف في أشكال البزاة.
2. الأشهب؛ البياض المختلط بالسواد.
3. في الأصل: «طويلة».
4. البيزرة لغة: حرفة البزار، وهو مدرب جوارح الطير والحيوان على الصيد. والبيزرة اصطلاحاً: علم بأحوال الجوارح من حيث صحتها ومرضها، ومعرفة العلام الدالة على قوتها في الصيد، أو ضعفها فيه. وقد عدّ هذا العلم من البيطرة أي طب الحيوان. وكلمة البيزرة فارسية الأصل، عربت وأطلقت على علم حياة الباز وتربيته، كما أطلقوا البازيار على القائم على الباز، أو على مالكه، ثم عمّت الدلالة، فأطلقت البيزرة على علم حياة الجوارح عامة.
5. يعقوب بن ليث الصّغّار (ت 265هـ/879م): زعيم سياسي فارسي مسلم. مؤسس الدولة الصّغّارية. بسط سيطرته، بالإضافة إلى فارس، على أجزاء من أفغانستان وباكستان الحاليين.
6. في الأصل: «بعض».
7. لم أعثر على الأبيات أو قائلها.
8. في مكتبة الأزهر الشريف كتاب بعنوان «التحف والهدايا» لمؤلفه أبو بكر محمد بن حمدون بن خالد النيسابوري.
9. قال الشاعر والرسام الانجليزي ولیم بلیک (1757-1827م):
إذا رأيت صقراً
فارفع رأسك
لأنك ترى
قبساً من العبقريّة.
- (علي، صلاح سليم. 1985. تصوير الصقور والبزاة في الشعر العربي والانجليزي. مجلة آفاق عربية، بغداد. العدد 11، ص 56).
10. انظر: الدميري، كمال الدين. 2003. حياة الحيوان الكبرى المصورة. ج 1. بيروت. مؤسسة الأعلمي للمطبوعات. ص 137.
11. الوعظي: لم أعثر عليه في كتب التراجم والأدب.
12. انظر: الدميري، كمال الدين. حياة الحيوان الكبرى المصورة. مرجع سابق. ج 1. ص 137.
13. قارن: ابن سيرين، محمد. 2000. تفسير الأحلام. ط 1. بيروت. دار الفكر العربي. ص 190.

14. عبد الرحمن الأول أو عبد الرحمن الداخل (ت 172هـ/788م): أمير أموي. أسس الدولة الأموية في الأندلس بعد أن استولى على قرطبة. قضى على عدد من الفتن والثورات. يلقب بـ «صقر قريش»، ويعتبر - بإجماع المؤرخين - أحد أبرز الأبطال العرب في مختلف العصور.
15. البيؤي: طائر من جوارح الطير كالباشق، وهو طائر صغير قصير الذنب.
16. قارن: أبو نواس، الحسن بن هاني الحكمي. 2003. ديوان أبي نواس. تحقيق: غريغور شولر وإيفالد فاغنر. طبعة خاصة. المجلد الثاني. دمشق/بيروت. دار المدى. ص 253-254.
17. في الأصل: «تأليفات».
18. الجاحظ، أبو عثمان بن بحر (ت 225هـ/869م): أحد أبرز الأدباء العرب في مختلف العصور. ذكروا أنه ألف نحواً من ثلاثمائة وخمسين كتاباً أشهرها «البيان والتبيين»، و«البحلاء» و«الحيوان».
19. القرويني، عماد الدين زكريا بن محمد (ت 682هـ/1283م): مؤرخ وجغرافي عربي. تولى القضاء في واسط والحلة زمناً. من أشهر آثاره: «عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات» في الطبيعة والتاريخ وغيرهما، وكتاب «آثار البلاد وأخبار العباد».
20. الدميري، كمال الدين محمد بن موسى (ت 807هـ/1405م): أديب عربي. ولد ومات بالقاهرة. تقوم شهرته على مؤلفه: «حياة الحيوان الكبرى»؛ وهو معجم في علم الحيوان، مرتباً على أسماء الحيوان أبجدياً.
21. نذكر من هذه الكتب على سبيل المثال لا الحصر: كتاب (البيزرة)، وهو من تأليف أبو عبد الله الحسن بن الحسين البازيار، وقد طبع هذا الكتاب بعناية محمد كرد علي، ورعاية المجمع العلمي العربي بدمشق، باعتماد نسخته الوحيدة في العالم، وهي مخطوطة ترقى إلى القرن الثامن الهجري. وهناك أيضاً كتاب (الجمهرة في البيزرة)، وهو من تأليف عيسى بن علي بن حسان الأزدي - من معاصري مؤلف كتاب البيزرة - وتحفظ به مكتبة الأسكوريال في إسبانيا وآيا صوفيا بتركيا. وكذلك كتاب (اليزاة والصيد) تأليف الأمير أبي دلف العجلي. وكتاب (القواعد المحبرة في البيطرة والبزرة) لداود الأنطاكي. وهذان الكتابان مخطوطان في مكتبة باريس. وهناك كتاب (القانون في البيزرة) في الخزانة التيمورية. وهناك أيضاً كتاب (المصائد والمطارد) تأليف أبي الفتح كشاجم. وكتاب (مناهج السرور والرشاد في الرمي والسباق والصيد والجهاد) لزين الدين عبد القادر بن أحمد بن علي الفاكهي. ونذكر كذلك كتاب (الكافي في البيزرة) لعبد الرحمن محمد البليدي (حوالي 576هـ/1180م).
22. كلمة غير واضحة في الأصل.
23. الشيباني، محمد بن الحسن (ت 189هـ/804م): من أئمة أهل الرأي. ولي قضاء الرقة للرشيد زمناً. إليه يرجع الفضل في نشر مذهب أبي حنيفة. من أشهر آثاره: «الجامع الكبير» و«الجامع الصغير» و«الأمالي».
24. قارن: السرخسي، أبو بكر محمد بن أبي سهل. (ب.ت). السير الكبير. ج3.
25. الخزر: اسم إقليم تسير من بلاد البجناكية إلى بلاد الخزر عشرة أيام في مشاجر ومفاوز على غير طريق مسلوكة ومناهج معروفة حتى تنتهي إلى بلاد الخزر، وهي بلاد عريضة

- يتصل بها من إحدى جنباتها جبل عظيم يمر إلى بلاد تغليس أول حدود أرمينية، ومدينة الخزر العظمى قطعتان على الشرقي والغربي من نهر اتل، وهو نهر يخرج إليهم من الروس ويصب في بحر الخزر، ويحيط بالمدينتين سور ولهما أبواب ولهم حمامات وأسواق ومساجد وأئمة ومؤذنون. (للمزيد انظر: الحميري، محمد بن عبد المنعم. 1980. الروض المعطار في خير الأقطار. ط2. مؤسسة ناصر للثقافة. ص 218-219).
26. القزويني، زكريا بن محمد بن محمود. 2006. عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات. القاهرة. مكتبة الأسرة. ص 341.
27. قارن: الدمي، الشيخ كمال الدين. حياة الحيوان الكبرى المصورة. مرجع سابق. ج1. ص 137.
28. ورد في بعض المصادر أن كتاب (المصايد والمطارِد) من تأليف ابن السندي.
29. قارن: القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد. 2006. صبح الأعشى في صناعة الإنشا. ج1. القاهرة. الهيئة المصرية العامة للكتاب. ص 32.
30. (بازدار) و(بازيار) أي حامل البازي وصاحبه، والجمع (بيازرة).
31. جاء في كتاب «البيزرة» وهو مجهول المؤلف ما نصه: «أجمع أهل العلم بالضواري أن البازي إذا كان ضارباً إلى البياض والشبهة كان أسرع البزاة وأحسنها وأسهلها رياضة وأقواها على السمو لأن البازي الأشهب والأبيض فيهما من الحرارة ما ليس في غيرهما لأن بياضهما لكثرة الثلج في بلادهما من أرمينية والخزر وجرجان وبلاد الترك». انظر: كرد علي، محمد. 1917. المقتبس. مجلد 9. بيروت. دار صادر. ص 119.
32. في الأصل: «تفصيلات».
33. فريدريك الثاني Frederick II (1194 - 1250م): رأس الإمبراطورية الرومانية المقدسة. ملك صقلية. تميّز عهده بالصراع مع البابوية من أجل السيطرة على إيطاليا. أشرف على تدريس العلوم العربية في قصره ببالمو، كما ألف عدداً من الكتب باللغة العربية وترجم بعضها إلى اللاتينية. وفي سنة (1224م) أنشأ جامعة نابولي لتدريس ونشر علوم العرب وآدابهم.
34. ترجم الفيلسوف ثيودوروس Theodorus، الذي يحتمل أن يكون قد أتى من أنطاكية وعاش في بلاط الإمبراطور الألماني فريدريك الثاني، كتاباً واحداً على الأقل في البيزرة، ولا يزال هذا الكتاب موجوداً في مخطوطتين حتى الآن، وكان كتاب البيزرة المترجم هذا هو الأساس الذي اعتمد عليه فريدريك في وضع مؤلفه الخاص في هذا الموضوع والمعروف باسم (فن الصيد بواسطة الطيور - De Arte venandi cum avibus).
35. ضري: أي درّب الجارح للصيد ليكون ضارياً.
36. انظر: الدمي، كمال الدين. حياة الحيوان الكبرى المصورة. مرجع سابق. ج1. ص 136-140.
37. سنقر: اسم فارسي- تركي بمعنى الصقر الأبيض، سمى العرب به، ومن سمى به سنقر الأشقر الذي تسلطن في دمشق، وأسرة المصور محمد بن سنقر البغدادي الذي عمل للناصر قلاوون سنة 728هـ (1327م) مرسياً من نحاس حلاه بالنقوش البديعة وصور عليه صوراً من البط. وسنقر أيضاً اسم أسرة من الأسر الإسلامية في طرابلس.

38. أطلق الجغرافي والرحالة العربي أبو عبد الله محمد بن محمد الإدريسي (ت 560هـ/1165 م) على البحر (الأبيض) المتوسط اسم البحر الشامي، واعتبره خليجاً يتفرع من البحر المظلم.
39. لم أعثر على الأبيات أو قائلها.
40. الباشق: نوع من جنس البازي، وهو من الجوارح، يُشبه الصقر، ويتميز بجسم طويل، ومنقار قصير بادي التقوّس. جمع: بواشق.
41. البيدق: نوع من جنس البازي. قال كشاجم:
- حسبي من البزاة والبيادق**
بيدق يصيد صيد الباشق.
42. لم أعثر على الأبيات أو قائلها.
43. قارن: كرد علي، محمد، المقتبس. مرجع سابق. مجلد 9. ص 119.
44. الأشعري، أبو بكر بن يوسف بن أبي بكر بن حسن بن محمد القاسمي القرشي العلوي. فيلسوف، ينسب له تأليف كتاب «الجوارح والبزرة»، وهو مخطوط موجود في مكتبة باريس.
45. في الأصل: «على».
46. في الأصل: «شيء».
47. الجيلي: أي الفطري.
48. قارن: المعتز بالله الخليفة العباسي، عبد الله بن محمد. (ب.ت). ديوان أشعار الأمير أبي العباس. تحقيق: محمد بدیع شريف. ج2. القاهرة. دار المعارف. ص 125.
49. غشاء الباز؛ هو البرقع أو قناع الباز.
50. ابن سينا، أبو علي الحسين (ت 428هـ/1037م): فيلسوف وطبيب عربي، يُعرف بـ «الشيخ الرئيس». تجاوزت مصنفاته المائة. من أشهرها كتاب «القانون» في الطب. وقد برع ابن سينا في الشعر أيضاً وله قصيدة في «النفس» مشهورة.
51. ميخائيل سكوت (1175-1234م): عالم ومترجم اسكتلندي عُهد إليه بأن ينقل من العربية إلى اللاتينية كتب أرسطو وشروح ابن رشد عليها، لندرس في جامعة نابولي التي أسسها في سنة 1224 مستقلة عن الكنيسة.
52. دانيال الكريموني: لم أعثر على ترجمته في كتب التراجم. ولكن لعله من أقرباء العالم جرهارد الكريموني (ت 1187م) الذي قاد حركة جديدة للترجمة، وذلك في إطار اعتراف صريح بتقدم العرب في مجالات العلوم المختلفة.
53. ابن منقلى: لم أعثر على هذا الاسم في كتب التراجم. ولكنه قد يكون؛ محمد بزمكلي صاحب كتاب (أنس الملا بوحش الفلا) في «البزرة». وهو نقيب في الجيش المصري في أواخر القرن الثامن.
54. هو الملك قسطنطين ملك عمورية (أنقرة اليوم).
55. انظر: المسعودي، أبو الحسن علي. 2005. مروج الذهب ومعادن الجوهر. ط1. ج1. بيروت. المكتبة العصرية. ص 146.
56. ابن عفير: قد يكون المقصود هو سعيد بن كثير بن عفير، نسب لجدة وهو من شيوخ البخاري. صدوق عالم بالأنساب.

57. بهرام جور: لقب لسته من ملوك الفرس حكموا إيران بين القرنين الثالث والسادس الميلادي (قبل ظهور الإسلام).
58. شارلمان أو شارل الأول (742-814م): ابن الملك (بيبين القصير) ملك الفرنجة أو الفرنكيين وإمبراطور الغرب. تحالف مع الكرسي البابوي ضد بيزنطة، فتوَّجَه البابا ليو الثالث إمبراطوراً. أصبح بلاطه مركزاً فكرياً وسياسياً وإدارياً مرموقاً. يُعرف أيضاً بـ «شارل الكبير».
59. الرشيد، هارون (193-809م): خامس الخلفاء العباسيين وأبعدهم شهرة. يُعتبر عهده، في رأي جمهور من المؤرخين، أزهى عصور التاريخ الإسلامي. تبادل السفراء والهدايا، غير مرة، مع «إمبراطور الغرب» شارلمان. حكم إمبراطورية واسعة امتدت من سواحل البحر المتوسط الغربية إلى الهند، باستثناء بيزنطة التي كانت تدفع إليه الجزية.
60. هنري الرابع، الإمبراطور (1050-1106م): ملك ألمانيا ورأس الإمبراطورية الرومانية المقدسة. نشب صراع بينه وبين البابا غريغوريوس السابع. وقد أسفر هذا الصراع عن هزيمة هنري وإعلان خضوعه للبابا في كانوسا عام 1077م.
61. فريديك الأول أو فريديك برباروسا (1123؟-1190م): رأس الإمبراطورية الرومانية المقدسة. ملك ألمانيا. يُعتبر أحد أبرز الوجوه السياسية في أوروبا خلال القرون الوسطى. شجّع الثقافة. وسّع الإمبراطورية ووطّد الأمن فيها. سار على رأس الحملة الصليبية الثالثة ولكنه مات غرقاً في أحد أنهار فيليفا. و«برباروسا» معناها «ذو اللحية الحمراء».
62. فيليب الثاني (1165-1223م): ملك فرنسا. شارك في الحملة الصليبية الثالثة. وُقِّعَ إلى تحرير أجزاء كبيرة من التراب الفرنسي من سلطان الإنجليز. يُعرف بـ «فيليب أوغستوس».
63. في الأصل: «محالف».
64. في الأصل: «رأت».
65. ادوارد الثالث (1312-1377م): ملك إنجلترا. دُمِّرَ عند نشوب حرب الأعوام المائة الأسطول الفرنسي وغزا فرنسا، فانتصر على قوّاتها في معركة كريسي.
66. شارل الخامس (1500-1558م): خلف الملك فرديناند على العرش الإسباني. كما عُرف بالإمبراطور المقدس. تنازل عن العرش عام 1555م.
67. في الأصل: «قبل».
68. مدينة انسباخ في مقاطعة بافاريا الألمانية.
69. بلاد القلمنك هي هولندا الحالية، والتي تُعرف أيضاً ببلاد الأراضي المنخفضة.
70. في الأصل: «الطيارات».
71. في الأصل: «المعلوم».
72. حدث استخدام للصقور والبزاة، تمثل في حماية الآثار المهمة لمدينة هيركولانيوم التاريخية في إيطاليا، ففي عام 79 ميلادية، انفجر بركان فيزوف، وتسببت حممه ورماده في تدمير مدينتين بالقرب منه، هما بومبي وهيركولانيوم، لم تكتشف آثارها التي يغطيها الرماد الكثيف، إلا بعد مئات السنين من هذه الكارثة. وتقرر اعتبار مكانتها من الآثار التاريخية التي تجذب إليها آلاف السياح، خصوصاً هيركولانيوم. لكن آثار هذه المدينة تعرضت في السنوات

الأخيرة الي مشكلة لم تخطر علي بال أحد بدلا من خوف من إعادة ثوران بركان فيزوف، ظهر خطر الحمام. يهدد ما بقي من مبانيها القديمة بالتشويه والتحلل نتيجة لمخلفاته التي تكثر في بقايا هذه المدينة التاريخية، واقامة أعشاش علي انقاضها. وبعد فشل جميع الوسائل التقليدية لإبعاد أسراب الحمام عن هذه الآثار، تقرر الالتجاء الي الصقور، باعتبارها السلاح الوحيد القادر علي مواجهة هذه المشكلة.

73. في الأصل: «دور».

74. الكلابيين: القائمون على رعاية وتربية الكلاب.

75. الفهادين: القائمون على رعاية وتربية الفهود.

76. في الأصل: «السياح».

77. ماركو بولو (1254-1324م): رحالة بندقى (فينيسي) قام برحلة إلى الصين. قضى سبع عشرة سنة في خدمة الإمبراطور قُبلاي خان. ومن ثم رجع إلى فارس مصطحباً أميرة صينية، ثم انقلب إلى البندقية ليصف رحلته في «كتاب ماركو بولو».

78. قُبلاي خان (1215-1294م): إمبراطور مغولي. حفيد جنكيز خان. فتح الصين وأسس سلالة يُووان المغولية. امتدت إمبراطوريته من المحيط الهادئ إلى نهر الفولغا وبولندا.

79. قارن: رحلات ماركو بولو. 1996. ت: عبد العزيز جاويد. ج2. القاهرة. الهيئة المصرية العامة للكتاب. ص 57.

80. محمود غازان خان بن أرغون خان بن أباخان بن هولاكو (ت 703هـ/1303م): تولى السلطان محمود غازان عرش الدولة الإلخانية سنة (694هـ/1295م) وبه بدأ عصر جديد في تاريخ المغول؛ حيث كان أول مرسوم يصدره ينص على أن الإسلام هو الدين الرسمي للدولة، وبإسلامه أسلم أكثر من مائة ألف شخص في فترة قصيرة، وانقطعت الروابط التي كانت تربطه ببلاط الخاقان الأعظم للمغول في الصين. وتوفي غازان، وهو لا يزال في ريعان الشباب وعمره لم يتجاوز الثالثة والثلاثين.

81. رشيد الدين فضل الله بن أبي الخير الهمداني (أو الهمذاني) (ت 718هـ/1318م): مؤرخ وطبيب وعالم في دولة الإلخانيين. ووزير الخاقان محمود غازان خان. اتهم بالإلحاد، فقتل. عاش نحواً من ثمانين وفي رواية عاش بضعا وسبعين سنة. من مؤلفاته: تفسير القرآن وسماء مفتاح التفسير، التوضيحات في العقائد والتصوف. إلا أن أشهر مؤلفاته كتاب جامع التواريخ.

82. المقصود هو باي سنقر بن شاه رخ بن تيمور: صاحب مملكة كرمان.

83. المقصود هو كيكاس بن اسكندر بن قابوس بن وشمكير.

84. اشتهر أمراء الفرس من حكام الولايات بشغفهم بالبيزرة، حتى أن بعضهم قد ألف فيه الكتب والرسائل، ولعل من أشهر هؤلاء أمير جرجان كيكاس بن اسكندر الزبيري الذي صنف لولده كتاب «قابوس نامه» سنة 475هـ، خص الباب الثامن عشر منه للبيزرة.

85. فون ديتس: لم أعثر على ترجمته في كتب التراجم.

86. يوهان فولفغانغ فون غوته (1749-1832م): يعتبر غوته أشهر أديب وشاعر ألماني، ألف العديد من الأعمال النثرية والمسرحية والشعرية ويعد أبرز ممثل للتيار الكلاسيكي الألماني. لم يكن غوته أديباً مرموقاً فحسب، بل كان أيضاً عالم طبيعة ورجل دولة.

87. يوسف فون هامر بُرجُشتال (أو برجستال) (1774-1856م): مستشرق نمساوي. برع في العربية والفارسية والتركية، وعين أمين سر ومترجماً للسفير النمساوي بالقسطنطينية - آنذاك - فمستشاراً للسفارة النمساوية في باريس، فترجمانياً للإمبراطور فرنسيس الأول، فمستشاراً له، وتقلّ كثيراً في أوروبا، وزار مصر والشام وإيران، وأنشأ في مدينة فينة النمساوية أكاديمية للعلوم وتولى رئاستها. يعتبر الرائد الأول الذي تدين له الدراسات الاستشرافية بترجمته لعشرات الأعمال خاصة في مجال الشعر. فلولا له لم يجد غوته طريقه إلى حافظ الشيرازي ولا المستشرق الألماني روكيرت في محاكاته لشعر الشرق. من آثاره: ميقات الصلاة في سبعة أوقات بالعربية والألمانية.
88. أمير شكار: يتحدث صاحب هذه الوظيفة على الجوارح السلطانية من الطيور وغيرها وعلى سائر أمور الصيد. و(شكار) لفظ فارسي معناه الصيد، فيكون المراد أمير الصيد. وهناك وظيفة أخرى متعلقة بالصيد وهي حراسة الطير وموضوعها أن يكون صاحبها متحدثاً على حراسة الطيور في الأماكن والمزارع التي ينزل بها السلطان للصيد.
89. أمير العشرة أو أمراء العشرات كل منهم مقدم على عشرة فرسان وربما يكون فيهم من له عشرون فارساً ومع ذلك يعد في أمراء العشرات. وهذه الطبقة لا ضابط لعدد أمرائها بل تزيد وتقص. ومنها يكون صغار الولاة ونحوهم من أرباب الوظائف. وهم يمثلون الطبقة الثالثة من طبقات الأمراء أرباب السيوف.
90. الخوندار: هو الذي يتصدى لخدمة الطيور المستخدمة في الصيد.
91. الريدانية: العباسية الآن، القاهرة، مصر.
92. في الأصل: «أصيدت».
93. في الأصل: «يدهم».
94. في الأصل: «المكاتب».
95. قارن: الميدانسي، أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم. 1977. مجمع الأمثال. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. ج1. القاهرة. عيسى البابي الحلبي وشركاه. ص 152.
96. قارن: المصدر السابق. ج3. ص 236.
97. البيت منسوب لمحمد بن عبد الله الهاشمي، المعروف بابن سكرة (ت 385هـ/995م). شاعر كبير، من أهل بغداد. له ديوان شعر في أربعة مجلدات يربى على خمسين ألف بيت.
98. لم أعثر على الأبيات أو قائلها.
99. انظر: كرد علي، محمد. المقتبس. مرجع سابق. ج9. ص 115.
100. ابن سريج، أبو العباس أحمد بن عمر البغدادي (ت 306هـ/918م): فقيه العراقيين ومن أئمة الشافعية. يلقب بالبلاز الأشهب، ويلقب أيضاً بالشافعي الثاني. ولّى القضاء بشيراز، وتوفى في بغداد. له مصنفات كثيرة حتى قيل إنها بلغت 400 مصنف، منها: كتاب العين والدين في الوصايا، والأقسام والخصال في فروع الفقه الشافعي.
101. الجيلاني، عبد القادر. 1990. ديوان عبد القادر الجيلاني. تحقيق: يوسف زيدان. القاهرة. أخبار اليوم. ص 78.
102. الشيخ حماد بن مسلم الدياس (ت 525هـ/1131م): أحد أصحاب الشيخ عبد القادر الجيلاني، لازمته نيافاً وعشرين سنة. دفن بمقبرة الشوبيرية في الجانب الغربي من بغداد (منطقة الكرخ).

103. السباز الأشهب، واحد من أشهر ألقاب الجيلاني. وقوله: وفي العلياء باز أشهب، إشارة إلى علو مقامه في سماء الولاية، وكونه بين أهل الولايات مميّزاً، كما يتميز الباز عن بقية الطيور. ومن هنا قال الواعظ المعروف بجرادة وهو يمدح الإمام الجيلاني: البازُ أنتَ فإنْ تفخر فلا عجبُ وسائرُ الناسِ في عيني فواخت.

104. شاعت تسمية الباز أو لقب الباز الأشهب في التاريخ العربي الإسلامي منذ القدم، فلقّب به منصور بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق (ت 577هـ/1182م)، وسُمّي بالباز فخذ من آل عبّودة في العراق. والباز في لبنان اسم أسرة مشتركة بين المسيحيين في بيروت وجبيل وغزير ودير القمر وبترومين الكورة وجرمانا ومراح الزيات البترون، وبين الموحدين الدروز في بعران وعاليه. (للمزيد انظر: أبو سعد، أحمد. 2003. معجم أسماء الأسر والأشخاص. ط3. بيروت. دار العلم للملايين. ص 124).

105. عند مطالعنا للشعر المكتوب باللغة الانجليزية نلاحظ أن تصوير البازة والصقور يختلف من شاعر لآخر. وهو لا يتبع تقاليد ثابتة للبلاغة والمجاز أو قوالب محددة في الأغراض والبناء الشكلي، إنما ينسجم مع تجربة الشاعر الفعلية أو المتخيلة. ففي قصيدة للشاعر الأيرلندي وليم بتلر بيتس (1865-1939م) بعنوان «الصقر»؛ نلاحظ أن الصقر هو رمز الحرية العقلية فيما يمثل العالم قفصاً يحول بين الحرية العقلية المجنحة وأفاقها:

أنزلوا الصقرَ

اعصبوا عينيه

أو ضعوه في قفص

حتى تصير عينه الصافية الصفراء

وادعة أليفة

ذلك أن القفص الخواء

علّمه الصيام

لقّنه النوم على القذى

إذا ما غضب العبيد

وزأر الخدام

لن تعصبوا عيني

لن تحتووني في قفص

لن أقبل التدجين

لن أقبل الركون في اليدين

الآن قد عرفت أن الكبرياء

أجنحتي

تطير بي في الغاب والسماء

أغنيّني

قوافل السحاب

وببرقي النجوم

أي غيوم شقها جناحك
يا أصفر العينين، يا أجدل في أعماقي
عند غروب الشمس
حين جلست أبكما
يطلب مني سافل جالسني بالأمس
دليل أفكار!
بطاقة الدخول في القفص.

(علي، صلاح سليم. 1985. تصوير الصقور والبزاة في الشعر العربي والانجليزي. مجلة
أفاق عربية. بغداد. العدد 11. ص 61).

106. في الأصل: «وسط».

107. أي الأقوام الأولى.

108. يخلع الشاعر الانجليزي الفيكتوري (جيرارد مانلي هوبكنز) على البازي صورة المسيح أو
الملاك ممثلاً لتحليقه بارتفاع الروح وتساميها عن العالم المادي بقول هوبكنز في قصيدته
البازي:

رأيت خلّ الفجر
مخلقاً في عرشه العلوي في السماء
مُكللاً بثوبه المنسوج بالفجر والسناء
رأيت بازي الفجر
مخلقاً يدور في مداه البعيد
ممتطياً مدارج الهواء
في الأفق الأبعد في مداره البعيد
من مفازة السماء
كيف يهز الوتر الخفي في جناحه الآفاق
في نسمة الأسحار
في جذل المغامر الجريء
والشاعر المغوار
ثم يطير عالياً فعالياً فعالياً
يعبر في تحليقه الآفاق
كأنما مزلجة تروم في انطلاقها
العملاق
مدارج النجوم
تشق في طريقها السماء مزلزلاً تحليقه سراق الرياح
مضاعفاً في قلبي الوجيب
في ذهني المخلوب
للطائر العجيب.

(علي، صلاح سليم. تصوير الصقور والبزاة في الشعر العربي والانجليزي. مرجع سابق. ص 60).

109. رُوح القدس عند المسيحيين هو الأَقْنوم الثالث.

110. شُبّه المسيح في الكتاب المقدس بالنسر القوي (خر 4:19؛ تث 11:32)، وبالحمّام الطاهر (خر 4:19).

111. الهامة: من معتقدات الجاهليين؛ كانوا يزعمون أن الإنسان إذا قتل ولم يأخذ بثأره يخرج من رأسه طائر هائم مرفوف يسمى (الهامة) وهو كالبومة يبتغي القصاص ويصرخ ويندب فلا يزال يصيح على قبره (اسقوني.. اسقوني) إلى أن يؤخذ له بثأره وتراق دماء مُغتاليه، فيُرى ويسكن. وتتبدى هذه الفكرة أو التضمينة - الهامة - عند اليهود في أحد أسفارهم الممنوعة، وهو سفر الحكمة، ويرى البعض أن مصدرها القبائل العبرية العربية - بني قريظة، بني النضير وبني قينقاع. وكان العرب الجاهليون مفرطين في هذه المعتقدات ومن هنا جاء دور العراف والساحر والرائي وتوابعهم، وبعد أن تطفئ الهامة ويرتاح الميت بالأخذ بثأره يأتي دور النساء في العويل والبكاء، ويزعمون إن الهامة لا تزال عند ولد الميت لتعلم ما يكون من خبره، فتخبّر الميت. (انظر: عبد الحكيم، شوقي. 1995. موسوعة الفولكلور والأساطير العربية. القاهرة. مكتبة مدبولي. ص 696-697). والهامة أو الهما في الفارسية؛ طير سعيد الفأل، أينما حلّ كان الخير والعمران، وإذا وقع ظلّه على شخص فاز بالملك والسلطان.

112. في الأصل: «أي».

113. عن ابن مسعود، قال النبي (ص): «إن أرواح الشهداء في جوف طير خضر لها قناديل معلقة تحت العرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى تلك القناديل، فاطلع إليهم ربهم أطّاعه، فقال: هل تشتهون شيئاً؟ فقالوا: أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا، فيفعل ذلك بهم ثلاث مرّات، فلما رأوا أنهم لم يتركوا من أن يسألوا، قالوا: يا رب، نريد أن تسرد أرواحنا في أجسادنا حتى نرجع إلى الدنيا، فنقتل في سبيلك مرة أخرى، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا». وعن كعب بن مالك، قال النبي (ص): «إن أرواح الشهداء في طير خضر تعلّق من ثمار الجنة». (انظر: الإمام السيوطي. 1984. جامع الأحاديث. ج 2. القاهرة. مطبعة خطاب. ص 222-223). وانظر أيضاً: (ونسك، أي. 1943. المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي. ج 2. ليدن. مطبعة بريل. ص 40).

114. حكاية (الببلبل/العندليب والوردة) هي حكاية متداولة منذ القديم في الشرق والغرب، ففي مثوي مولانا جلال الدين الرومي نقرأ ما يلي:

«العشق حلّ في روح الطور (سيناء)، فسكّر الطور، وخرّ موسى صعباً.

آه لو كانت شفتاي تقتربان بشفتي حبيبي، إذن لكنت كالنّاي أقول ما ينبغي قوله.

فكلّ من فرقّه الدهر عن أهل لسانه، يصبح بلا لسان حتى ولو سُمع له مائة صوت!

وحين يذبل الورد وينقضي عهدُ بستانه، لا يعود الببلبل - بعد هذا - يروي لك قصة (أشجّاته).

إن المعشوق هو الكلّ وأما العاشق فحجاب، المعشوق هو الحيّ وأما العاشق فميت.

وحينما لا تكون للعاشق رعاية من العشق، فإنه يبقى نعباً كطائر بلا جناح.

وكيف يكون لي عقل يدرك ما أمامي وما ورائي، حينما لا يكون نور حبيبي أمامي وورائي؟

إن العشق يقتضينا أن نبوح بهذا القول، وإلا فكيف تكون المرأة، إذا لم تعكس صور المرئيات؟

أو تدري لم أظلمت صفحة مرأتك؟ إنها أظلمت لأن الصدا قد علاها، ولم ينفصل عنها». (انظر: الرومي، جلال الدين. 1967. مثوي جلال الدين الرومي. ج 1. ت: محمد عبد السلام كفاي. بيروت. المكتبة العصرية. ص 75-76).

كما يقرن الشاعر الفارسي فريد الدين عطار في مؤلفه الصوفي الشهير (منطق الطير)، صورة البلبل بصورة الورد. ذلك أن تعاطف البلبل مع الورد حملته على التخلي عن سرب الطيور الذاهبة في رحلة اكتشاف الذات، ليتسنى له تأملها بسلام وتقريبها وإنشادها بعض ألحان الغرام عندما يقترب موسم الورد. ويكتب عزيز محمود هادي، المتصوف التركي: «لدى رؤية الورد الذابلة، هل من كائن يسفح دموع التأثر؟ وعند الإصغاء ليلاً إلى صداد البلبل على أماليد الورد، هل من صوت يرتفع يحث كبرياء الورد على الرقة والحنان؟».

115. في الأصل: «النواحة».

116. يعتبر رمز البط والطاوس والغراب والديك، عند الصوفية مثال على هذه الخصال الأربعة في النفوس. فالبط هو الحرص، والديك هو الشهوة، والجاه كالطاووس، والغراب هو المنية.

117. فريد الدين أبو طالب محمد بن أبي بكر بن إبراهيم بن مصطفى بن شعبان عطار (أو العطار) النيسابوري (ت 627هـ/1230م): شاعر، طبيب، صيدلي، فيلسوف وكبير مشايخ التصوف الفارسي. سافر إلى ما وراء النهر والهند والعراق والشام ومصر. يقال أنه اشتغل في التأليف وجمع أشعار الفلاسفة الإسماعيلية مدة 39 سنة. ولما شعرت السلطات بنشاطه ألبيت عليه الغوغاء، فاتهموه بالإلحاد والزندقة، فهدموا منزله ونهبوا متاعه وقتلوه ودفن في نيسابور ولا يزال ضريحه هناك ويزار. يعد ثالث ثلاثة بعد جلال الدين الرومي وسناني الغزنوي، ومنظومة (منطق الطير) تعد من أعظم ما نظم في الأدب الصوفي خاصة، وتبلغ 4650 بيتاً. وتذكر بعض المصادر أن عدد مؤلفاته كان مساوياً لعدد سور القرآن وقيل زادت مؤلفاته على الخمسين. وعلى العموم أغلب آثار هذا الفيلسوف العبقري لم تطبع حتى الآن إلا طباعة على الحجر في مدينة «لكنو» في سنة 1872م كما طبعت بعض آثاره في الهند وإيران وأوروبا.

118. إن جبل قاف - الأصل المحتمل لكلمة قوقاز - الذي يقيم فيه السيمورغ، الطائر الخرافي الذي نصفه فينيق ونصفه نسر من الميثولوجيا الفارسية ورمز القوة - هو موطن المجهول الإلهي. يحيط بجبل قاف بحر الظلمات ويرتاده الجن. ويكتب ل. بختيار في كتابه «التصوف»: «يتوافق الجبل الكوني، قاف، مع تجديد العالم، مع عودة الكون إلى قوته، يرمز الجبل إلى الامتداد اللانهائي للسماء، وهو النقطة الوحيدة والعليا في الفضاء. إنه أصل الكوسموس ومع ذلك لا يشكل سوى نقطة في اللانهاية الإلهية. يرمز صعود جبل قاف إلى الأوجه العميق من الحياة». ويروي ابن عربي ما نصه: «أخبرني شياخي أبو يعقوب الكومي أن أبا عمران وصل يوماً إلى جبل قاف الذي يحيط بالأرض وصلى صلاة الضحى عند سفح الجبل وصلاة العصر على ذروته. وعندما سئل عن ارتفاع هذا الجبل أجاب ثلاثمائة يوم سفر». (انظر: شبل، مالك. 2000. معجم الرموز الإسلامية، ط 1. ت: أنطوان الهاشم. بيروت. دار الجبل. ص 248).

119. السيمورغ (من الفارسية، سي = 30، مورغ = طير). يعتبر السيمورغ، ملك الطيور، عند الفرس، وتجسداً لمعنى الإلهية بالذات؛ إنه طائر خرافي عممه فريد الدين عطار؛ تبحث عنه طيور الأرض كما بحث فرسان الملك آرثر عن (سان - غرال: وهو الكأس التي شرب بها السيد المسيح في العشاء السري وفيها تلقى يوسف الرامي الدم السائل من جنب المسيح عندما طعن بحربة على الصليب). والسيمورغ يقيم بكل جلال في جبل قاف القائم، استناداً إلى الأساطير الفارسية، إلى جانب البروز (بركان منطفي في جبال القوقاز). يمثل السيمورغ، على صعيد التصوف، اكتمال الإيمان والإشراق على جميع مشاكل الوجود، وحده الكائن الأسمى بكونه، في الأساس، متعدد (ثلاثون طائراً). (انظر: شبل، مالك. معجم الرموز الإسلامية. مرجع سابق. ص 167).

120. انظر: كوبريلي، محمد فؤاد. 2002. المتصوفة الأولون في الأدب التركي. ج2. القاهرة. المجلس الأعلى للثقافة. ص 114. وقارن: شيمل، أنا ماري. 2006. الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ الصوفية. ت: محمد إسماعيل السيد ورضا حامد قطب. ط1. ألمانيا. منشورات الجمل. ص 377.

121. يرمز سليمان، النبي والملك، في التقاليد الإسلامية، إلى الاستقامة والمعرفة والحكمة. إنه مع نبي الله داود أبيه أحد رموز العلم والحكمة (انظر: سورة الأنبياء، 79). وإذا كان لكل نبي مميزات خاصة (معجزات)، فإن من مميزات نبي الله سليمان أنه يأمر الرياح، ويكلم الحيوانات والطيور التي يتوجّب عليها طاعته واحترامه.

122. يقول مولانا جلال الدين الرومي في إحدى مثنوياته:

إن بلبلاً قد انطلق من هنا ثم عاد!

ولقد أصبح بازاً في اصطيات تلك المعاني.

فليكن ساعد الملك مسكناً لهذا الباز!

وليبق هذا الباب مفتوحاً أمام الخلق حتى الأبد!

(انظر: جلال الدين الرومي. مثوي. مرجع سابق. ج2. ص 20).

123. في الأصل: «بالخاصة».

124. قالت العرب:

أخاك أخاك إن من لا أخاله كساع إلى الهيجا بغير سلاح

وإن ابن عم المرء فاعلم جناحه وهل ينهض البازي بغير جناح

انظر: النديمي، كمال الدين. حياة الحيوان الكبرى المصورة. مرجع سابق. ج1. ص 138.

ملحق

ببلوغرافيا أولى لمؤلفات الدكتورة انا ماري شيمّل (1922-2003)

الكتاب	التاريخ	اللغة	الموضوع	ملاحظات
(1) الخليفة والقاضي في مصر في العصور الوسطى المتأخرة	1943	الألمانية	-	أطروحة دكتوراه
(2) فهرس لتاريخ ابن إياس	1945	الألمانية	-	-
(3) يعقوب قدرى - تور بابا: اللهب والفراشة	1947	الألمانية	رواية عن الدراويش	مترجمة عن التركية
(4) ترنيمه الناي (أو أغنية الناي)	1948	الألمانية	ديوان شعر	غزليات
(5) اللغة التصويرية عند جلال الدين الرومي	1949	الألمانية	-	-
(6) ابن خلدون: مقاطع مختارة من المقدمة	1951	الألمانية	-	مترجمة عن العربية
(7) شعر الشرق	1952	الألمانية	ترجمة وكلمة ختامية عن الشعر في الشرق الأدنى	بالاشتراك مع فيلهلم غونديرت وفالتر شوبرنغ
(8) ابو الحسن الديلمي: سيرة الشيخ الكبير أبو عبد الله ابن خفيف الشيرازي	1955	الألمانية	-	نص محقق نشرته كلية الإلهيات بأنقرة
(9) محمد إقبال: كتاب الخلود	1957	الألمانية	-	مترجم عن الفارسية
(10) محمد إقبال: جاويد نامه	1958	الألمانية	-	ترجمة كتاب الخلود إلى التركية وشرحه
(11) إرنست ترومب: ملخص قصير لحياته وأعماله	1961	الانجليزية	-	صدرت الطبعة الألمانية للكتاب نفسه في عام 1998

الكتاب	التاريخ	اللغة	الموضوع	ملاحظات
(12) الجنبنة..الأزهار والبساتين في حضارة المسلمين	1963	العربية	يتناول تاريخ الحدائق والجنائن في الحضارة الإسلامية	دراسة نشرت في مجلة (فكر وفن)
(13) جناح جبريل	1963	الألمانية	دراسة في الفكر الديني عند السير محمد إقبال	-
(14) محمد إقبال: رسالة الشرق بوصفها إجابة على الديوان الغربي الشرقي لجوته	1963	الألمانية	-	ترجمة عن الفارسية
(15) الباز' الأشهب.. ملاحظات في البيزرة في الشرق والغرب	1964	العربية	تاريخ البيزرة وهو الصيد بالباز وأبعاد هذا العلم الذي بدأ مع حرفة وهواية الصيد وتراكم الخبرات والمهارات والمعارف الخاصة بالطيور حتى صارت علماً تاماً	دراسة نشرت في مجلة (فكر وفن)
(16) مولانا جلال الدين الرومي، من الديوان	1964	الألمانية	-	ترجمة عن الفارسية
(17) التشبيبة بالحروف في الأكتب الإسلامي	1964	العربية	سباحة فكرية في القيم الروحية والأبعاد التجريدية في الحروف العربية وقدرتها على ترجمة مواقف الإنسان العربي المسلم من الكون والحياة والقيم	دراسة نشرت في مجلة (فكر وفن)
(18) ورقة من تاريخ الاستشراق في ألمانيا: أوجوست فيشر	1965	العربية	ترجمة ذاتية وثقافية وفكرية لهذا المستشرق	دراسة نشرت في مجلة (فكر وفن)
(19) ورقة من تاريخ الاستشراق في ألمانيا: يوسف فون هامر-بورجستال	1965	العربية	ترجمة ذاتية وثقافية وفكرية لهذا المستشرق	دراسة نشرت في مجلة (فكر وفن)
(20) باكستان: قصر ذو ألف باب	1965	الألمانية	-	-
(21) الحلاج، شهيد الحب الإلهي	1968	الألمانية	-	ترجمة ألمانية عن العربية

الكتاب	التاريخ	اللغة	الموضوع	ملاحظات
				والفارسية والتركية والسندية والأردية
(22) محمد إقبال: مزامير فارسية	1968	الألمانية	-	ترجمة عن الفارسية والأردية والانجليزية
(23) جون دون: قلب يفكر عاريا	1969	الألمانية	-	ترجمة عن الانجليزية
(24) فن الخط الإسلامي	1970	الانجليزية	-	ضمن سلسلة إيقونات الأديان
(25) ميرزا أسد الله غالب: موج الزهور (الورد) - موج الخمور (الخمير)	1971	الألمانية	مختارات من شعر أسد الله غالب	ترجمة ألمانية عن الديوان الفارسي والأردني
(26) أنب السند (أو الأدب السندي)	1974	الانجليزية	تاريخ الأدب الهندي	في: سلسلة تاريخ الآداب الهندية
(27) الأبعاد الصوفية للإسلام	1974	الانجليزية	تتناول تاريخ التصوف في الإسلام ونشأتها	ترجم إلى الألمانية عام 1985، وترجم إلى العربية عام 2006
(28) مختارات من الشعر العربي	1975	الألمانية	ترجمة لقصائد الشعراء: نازك الملائكة والسياب والفيثوري وعبد الصبور وحجازي وطوقان ودرويش والقاسم وقياني وتوفيق صايغ وأنونيس	
(29) أنب اللغة الأوروبية - من البدايات إلى إقبال (أو الأدب الأردني الكلاسيكي منذ البداية وحتى إقبال)	1975	الانجليزية	-	في: سلسلة تاريخ الآداب الهندية
(30) آلام وألطف (أو الألم واللطف): دراسة عن كاتبين متصوفين من مسلمي الهند في القرن الثامن عشر.	1976	الانجليزية	حياة الشاعرين الهنديين مير دارد الدهلوي وشاه عبد اللطيف البهيتي وأعمالهما	-
(31) الملك لك: أدعية إسلامية	1978	الألمانية	-	ترجمة ألمانية عن العربية والفارسية والتركية

الكتاب	التاريخ	اللغة	الموضوع	ملاحظات
(32) الشمس الظافرة - دراسة في أعمال جلال الدين الرومي	1978	الإنجليزية	كتاب شامل، يسبر حياة جلال الدين الرومي وأعماله	ظهرت الطبعة العربية من هذا الكتاب عام 2000 تحت عنوان: الشمس المنتصرة. دراسة آثار الشاعر الكبير جلال الدين الرومي
(33) الرومي - أنا النسيم وأنت اللظى (أو الرومي: أنا ريح وأنت نار. حياة ومؤلفات الصوفي الكبير)	1978	الألمانية	حياة مولانا جلال الدين الرومي وأعماله باللغة الألمانية	ظهرت الترجمة الانجليزية في بوسطن عام 1992
(34) رقص الشرار - مجاز النار في شعر أسد الله غالب (أو رقص الشرر - دراسات عن المجاز عند غالب)	1979	الإنجليزية	-	-
(35) حكايات من باكستان	1980	الألمانية	-	ترجمة عن السندية
(36) إسهامات ألمانية في دراسة اللغات الهندو-باكستانية	1981	الألمانية	-	-
(37) .. ومحمد رسول الله	1981	الألمانية	منزلة الرسل في الإسلام، والرسول محمد (ص) بصورة خاصة	ترجم إلى الانجليزية عام 1983
(38) وكأنه من خلال حجاب- الشعر الصوفي في الإسلام	1982	الانجليزية	-	ويتكون هذا الكتاب من مجموعة محاضرات ألقنتها شميل سنة 1980 في المجلس الأميركي لجمعيات المتقنين في جامعات أمريكية وكندية عدة.
(39) الإسلام في الهند وباكستان	1982	الانجليزية	-	صدر في لندن بهولندا
(40) جنان المعرفة (أو حدائق المعرفة)	1982	الألمانية	منتخبات لنصوص من التصوف الإسلامي. وهو ترجمات عن العربية والفارسية والتركية والأرية والسندية.	-

الكتاب	التاريخ	اللغة	الموضوع	ملاحظات
(41) الإسلام في شبه القارة الهندية	1983	الألمانية	-	ترجم إلى الانجليزية
(42) بحث بلا نهاية	1983	الألمانية	حكايات وقصص وطرائف لشاه عبد اللطيف السندي	في التصوف الشرقي
(43) قطرة المشرق (أو القطرة المشرقية)	1983	الألمانية	متصوفة الشرق وأشعارهم - قصص وحكم وأناشيد	-
(44) ديوان أنوري	1983	الانجليزية	-	بالاشتراك مع ستيفارت كاري ويلش
(45) فن الخط والثقافة الإسلامية (أو فن الخط العربي والثقافة الإسلامية)	1984	الانجليزية	-	كان أساسه سلسلة محاضرات ألقاها شيمل عام 1982، في معهد كيفوركين لدراسات الشرق الأوسط التابع لجامعة نيويورك.
(46) عالم الأعداد (أو غرابية العدد) - رمزية الأعداد في مقارنة حضارية	1984	الألمانية	مقارنة للرمزية العددية في عدد من الحضارات	ترجمة عن الطبعة الأولى لفرانز كارل ايندرس
(47) النجم والزهرة (أو نجمة وزهرة) - عالم الصور (المجازات) في الشعر الفارسي	1984	الألمانية	يتناول اثنين من أهم مصادر الصور الشعرية في خيال شعراء الشرق: عالم الكواكب، وعالم الأزهار.	-
(48) ابن إياس: مواطن مصري	1985	الألمانية	-	ترجمة عن العربية
(49) روبرت إيرفن: الكابوس العربي أو حكاية الليلة الثانية بعد الألف	1985	الألمانية	-	ترجمة عن الإنجليزية
(50) الحلاج: "أيها الناس، أنقذوني من الله"	1985	الألمانية	-	ترجمة عن العربية والفارسية والتركية والأردنية والسندية
(51) لآكي من الهند. دراسات في الثقافة السندية	1986	الإنجليزية	-	-
(52) فريدريش روكرت. صورة حياة ومدخل إلى أعماله	1987	الألمانية	حول حياته وأعماله	-

الكتاب	التاريخ	اللغة	الموضوع	ملاحظات
(53) ابن عطاء الله: بُسُط مملوءة بالرحمة (أو الفاقات بُسُط المواهب) (أو العسر واليسر)	1987	الألمانية	هو مجموعة حكم الصوفي المصري ابن عطاء الله (القرن الثالث عشر)، الذي عُرِف بأنه "آخر معجزة صوفية على النيل"، والتي ظهرت في سلسلة "تصوص للتأمل"	ترجمة عن العربية
(54) خذ وردة وسمها أغاني (أو خذ وردة وسمها أغنية)	1987	الألمانية	حول شعر الشعوب الإسلامية	-
(55) مرآة قمر شرقي	1987	الإنجليزية	وهو عبارة عن قصائد بالإنكليزية عن موضوعات شرقية.	-
(56) فريدرش روكرت: أعمال مختارة في مجلدين	1988	الألمانية	-	-
(57) مولانا جلال الدين الرومي. من الكل ومن الواحد	1988	الألمانية	-	ترجمة عن الفارسية والعربية
(58) من الخالق ومن المخلوق	1988	الألمانية	وهو ترجمة ودراسة لمحاورة جلال الدين الرومي؛ «فيه ما فيه»	-
(59) الرؤية الزمردية: إنسان النور في التصوف الفارسي	1989	الألمانية	-	ترجمة عن الفرنسية لكتاب لهنري كوربان
(60) محمد إقبال - شاعر نبوي وفيلسوف	1989	الألمانية	حول حياة وأعمال الشاعر والفيلسوف الكبير	-
(61) الأسماء الإسلامية	1989	الإنجليزية	حول الأسماء والتسمية في الإسلام	ظهرت الطبعة الألمانية من هذا الكتاب تحت عنوان: من علي إلى الزهراء - الأسماء واختيارها في العالم الإسلامي
(62) جولات مع يونس إمره (أو ارتحالات مع يونس إمره)	1989	الألمانية	-	كتاب عن متصوف تركي اختارته منظمة

الكتاب	التاريخ	اللغة	الموضوع	ملاحظات
				اليونيسكو في العام 1991 كرجل العام
(63) الإسلام- مدخل وتعريف	1990	الألمانية	-	-
(64) أخي إسماعيل- ذكريات تركية	1990	الألمانية	خواطر وذكريات من تركيا	-
(65) ما الذي له عين وليس له رأس؟	1990	الألمانية	300 أحجية (فزورة) شعبية تركية	-
(66) الورد	1991	الألمانية	-	-
(67) الرومي: انظر! هذا هو الحب	1991	الإنجليزية	يعرض في مائة صفحة من القطع الصغير بعض رباعيات مولانا الرومي وجزلياته المترجمة بدقة ومهارة إلى الإنكليزية التي صارت المؤلفة تتقنها في تلك الأثناء مثل الألمانية تماماً.	ترجمة إنجليزية عن الفارسية
(68) يونس إمره: مختارات شعرية	1991	الألمانية	مختارات من قصائد الشاعر التركي	مترجمة إلى الألمانية عن التركية
(69) نسيج ذو لونين- المجاز في الشعر الفارسي	1992	الإنجليزية	-	-
(70) ديمرشي يعني شمت (أو) السيد ديمرجي اسمه ببساطة "شمت"	1992	الألمانية	الأسماء التركية ومعانيها	-
(71) تاريخ التعليم	1993	الإنجليزية	-	-
(72) من القدر الذهبي (أو من الكأس الذهبية). أشعار تركية في سبعمائة عام.	1993	الألمانية	مختارات من الشعر التركي منذ العصور الوسطى وحتى الآن	ترجمة عن التركية
(73) أردية الله (أو العزة رداي)	1993	الألمانية	-	-
(74) اصنع درعاً من الحكمة: منتخبات شعرية من ديوان ناصر خسرو	1993	الإنجليزية	-	ترجمة إنجليزية عن الفارسية
(75) جبال وقفار ومقامات (أو)	1994	الألمانية	عروض وشروح	-

الكتاب	التاريخ	اللغة	الموضوع	ملاحظات
جبال وصحاري ومعابد): رحلاتي في الباكستان والهند			لرحلات الدكتورة شيمل إلى باكستان والهند	
(76) فك شفرة الإله. مقاربة ظواهرية للإسلام	1994	الإنجليزية	-	ظهرت الطبعة الألمانية عام 1995 تحت عنوان: آيات الله: العالم الديني للإسلام
(77) عنديلب تحت الثلج المتساقط	1994	الإنجليزية	ديوان شعر	-
(78) عالم الإسلام. عن مصادر الشرق الإسلامي، رحلة إلى الداخل	1994	الفرنسية	-	صدرت الطبعة الألمانية في العام نفسه
(79) الحكمة في الإسلام (أو حكمة الإسلام)	1994	الألمانية	-	-
(80) روحي امرأة (أو روحي مؤنثة). الأنوثة في الإسلام	1995	الألمانية	-	-
(81) من عطر المقدس	1995	الألمانية	-	-
(82) أجمل الأشعار من الهند وباكستان. شعر إسلامي من ألف سنة	1996	الألمانية	-	-
(83) المسيح ومريم في التصوف الإسلامي	1996	الألمانية	-	-
(84) ما مدى كونية التصوف؟ رحلة الروح في أديان العالم الكبرى	1996	الألمانية	-	-
(85) الدور الثقافي لفن الخط والخطاطين	1996 (محاضرة)	العربية	-	ألقتها شيمل بدار الآثار الإسلامية في الكويت.
(86) الوعود الثلاثة للعصفور: أجمل الخرافات الحيوانية في العالم الإسلامي	1997	الألمانية	-	-
(87) أحلام الخلفاء. الأحلام وتفسيرها في العالم الإسلامي	1998	الألمانية	-	ظهرت الطبعة العربية عام 2005 تحت عنوان: أحلام الخليفة. الأحلام وتعبيرها في الثقافة الإسلامية

الكتاب	التاريخ	اللغة	الموضوع	ملاحظات
(88) انعكاسات مكررة	1998	الألمانية	أشعار	-
(89) العطار: منطق الطير ونصوص كلاسيكية أخرى	1999	الألمانية	حول منظومة فريد الدين عطار الفريدة في فكرها وحبكة قصتها	ترجمة عن الفارسية
(90) التصوف كجسر بين الأديان والحضارات	1999	العربية	تسيح المؤلف في معنى التصوف في الحضارات والأديان المختلفة عبر القرون	دراسة قدمت في فعاليات الدورة الثالثة لملتقيات قرطاج الدولية في ندوة بعنوان: الواقع الديني اليوم
(91) في مملكة المغول العظام: تاريخ، فن، ثقافة.	2000	الألمانية	حول تاريخ دولة أباطرة المغول الإسلامية في الهند	ظهرت الترجمة الإنجليزية في لندن 2004
(92) الصوفية. مقدمة في التصوف الإسلامي	2000	الألمانية	-	-
(93) الرومي: مرشد الروحية	2001	الألمانية	-	-
(94) جنات صغرى. الأزهار والحدائق في الإسلام	2001	الألمانية	-	-
(95) السنة الإسلامية. المواسم والأعياد	2001	الألمانية	-	-
(96) التورية بالكتب في الآداب الإسلامية	2003	العربية	بحث في المجازات المتصلة بالكتاب في الأدب الإسلامي، وعشق المسلمين الكبير للكتب، والأساليب المجازية التي استخدمت فيها الكتب على سبيل التشبيه والاستعارة في المؤلفات الإسلامية المختلفة	دراسة نشرت في كتاب: الكتاب في العالم الإسلامي: الكلمة المكتوبة كوسيلة للاتصال في منطقة الشرق الأوسط. عالم المعرفة - الكويت.
(97) قولك الحق*	-	الألمانية	قبسات من روائع الدعاء في الإسلام	-
(98) اللغة العربية*	-	الألمانية	كتاب تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها	-
(99) الصوفي - حب للأحد*	-	الألمانية	نصوص من التراث الصوفي	-

الكتاب	التاريخ	اللغة	الموضوع	ملاحظات
(100) موسوعة أديان البشر*	-	الألمانية	-	القسم الإسلامي من الموسوعة المكونة من 36 مجلداً
(101) الإسلام - حضارته وإتجاهاته المعاصرة*	-	الألمانية	-	-
(102) التقارب بين المشرق والمغرب*	-	الألمانية	اتصالات أوروبا بالعالم الإسلامي	-
(103) القرآن*	-	الألمانية	مقدمة ترجمة معاني القرآن لماكس هينغ	-
(104) الكون والخالق*	-	الألمانية	مناجاة جلال الدين الرومي	-
(105) وكأنه من خلال حجاب*	مطلع الثمانينيات	الانجليزية	يتناول الحجاب الصوفي، ويتكون هذا الكتاب من مجموعة محاضرات ألقاها شيمل سنة 1980 في المجلس الأميركي لجمعية المثقفين في جامعات أمريكية وكندية عدة.	-
(106) رسالة المشرق*	-	الألمانية	مختارات من أعمال محمد إقبال	-

- اعتمدت هنا على تواريخ الطباعات الأولى.
- العناوين التي تحمل علامة (*) تشير إلى أنني لم أعتدِ إلى تاريخ التأليف أو الطبع.

المصادر والمراجع

في اللغة العربية

1. القرآن الكريم.
2. ابن خلدون، عبد الرحمن. 1992. تاريخ ابن خلدون. ط1. بيروت. دار الكتب العلمية.
3. ابن سيرين، محمد. 2000. تفسير الأحلام. بيروت. دار الفكر العربي.
4. أبو الذهب، أشرف طه. 2002. المعجم الإسلامي. ط1. القاهرة. دار الشروق.
5. أبو سعد، أحمد. 2003. معجم أسماء الأسر والأشخاص. ط3. بيروت. دار العلم للملايين.
6. ابن عربي، محي الدين. 1975. الفتوحات المكية. ج1. القاهرة. الهيئة المصرية العامة للكتاب.
7. أبو نواس، الحسن بن هانئ. 2003. ديوان أبي نواس الحسن بن هانئ الحكمي. تحقيق: إيفالد فاغنر وغريغور شولر. بيروت. دار المدى.
8. إلياس، نديم عطا. 1996. سيقهر الماء صم الحجر. ط1. بون - ألمانيا، الدار الإسلامية للإعلام.
9. الإمام السيوطي. 1984. جامع الأحاديث. القاهرة. مطبعة خطاب.
10. أمره، يونس. 1991. مختارات يونس أمره. القاهرة. الدار العربية للطباعة والنشر والتوزيع.
11. أوغلو، عبد اللطيف بندر. 1978. قصائد مختارة مع الشعر التركي المعاصر. بغداد. منشورات وزارة الثقافة والفنون.
12. أوغلي، أكمل الدين إحسان (إشراف). 1999. الدولة العثمانية تاريخ وحضارة. ت: صالح سعداوي. استانبول. مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية.
13. الباقوري، أحمد حسن. 1984. في عالم الصيد. القاهرة. دار المعارف.
14. براون، إدوارد جرانفيل. 2005. تاريخ الأدب في إيران. ط1. ت: أحمد كمال الدين حلمي وإبراهيم أمين الشواربي. القاهرة. المجلس الأعلى للثقافة.
15. السبغادي، إسماعيل باشا. 1951. هدية العارفين: أسماء المؤلفين وآثار المصنفين. بيروت. دار إحياء التراث العربي.

16. تيمور باشا، أحمد. 1961. الموسوعة التيمورية من كنوز العرب في اللغة والفن والأدب. ط1. القاهرة. لجنة نشر المؤلفات التيمورية.
17. الجيلاني، عبد القادر. 1990. ديوان عبد القادر الجيلاني. تحقيق: يوسف زيدان. القاهرة. أخبار اليوم.
18. الحموي، شهاب الدين ياقوت. 1955. معجم البلدان. بيروت. دار صادر ودار بيروت.
19. الحميري، محمد بن عبد المنعم. 1980. الروض المعطار في خبر الأقطار. ط2. مؤسسة ناصر للثقافة.
20. الحنفي، محمد بن أحمد بن إياس. 1960. بدائع الزهور في وقائع الدهور. تحقيق: محمد مصطفى. ط2. القاهرة. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.
21. الدميري، الشيخ كمال الدين. 2003. حياة الحيوان الكبرى المصورة. بيروت. مؤسسة الأعلمي للطبوعات.
22. دياب، كوكب ديب. 1995. قاموس الحيوان. ط1. بيروت. جرّوس برس.
23. ديوان ابن الزقاق البلنسي. (ب.ت). تحقيق: عفيفة محمود ديراني. بيروت. دار الثقافة.
24. ديوان ابن المعتز. 1980. تحقيق: كرم البستاني. بيروت. دار بيروت للطباعة والنشر.
25. ديوان ابن المعتز. 1995. ط1. بيروت. دار الجيل.
26. ديوان البحري. (ب.ت). تحقيق: عمر فاروق الطباع. بيروت. شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم.
27. ديوان المعتمد بن عباد. 2002. القاهرة. مطبعة دار الكتب والوثائق القومية.
28. ديوان حاتم الطائي. 1963. بيروت. دار صادر - دار بيروت.
29. ديوان كشاجم. 1970. تحقيق: خيرية محمد محفوظ. بغداد. مطبعة دار الجمهورية.
30. ديوان منوچهری الدامغانی. 2002. ط1. ت: محمد نور الدين عبد المنعم. القاهرة. المجلس الأعلى للثقافة.
31. الرومي، جلال الدين. 1967. مثنوي. ت: محمد عبد السلام كفاي. بيروت. المكتبة العصرية.
32. الزوبي، محمود. 2004. معجم الصوفية. ط1. بيروت. دار الجيل.
33. سرکيس، يوسف اليان. (ب.ت). معجم المطبوعات العربية والمعرّبة. القاهرة. مكتبة الثقافة الدينية.

34. السندوبي، حسن. 1982. شرح ديوان امرئ القيس. بيروت. المكتبة الثقافية.
35. السيد، أحمد. 2003. مفتاح الذهب: تاريخ ملوك الإسلام وخلفاء العرب. ط1. القاهرة. دار الفضيلة.
36. شبل، مالك. 2000. معجم الرموز الإسلامية. ط1. ت: انطوان هاشم. بيروت. دار الجيل.
37. شرح ديوان الأخطل التغلبي. 1968. بيروت. دار الثقافة.
38. الشمري، هزاع بن عيد. 1995. أبو دلف العجلي مفخرة من مفاخر العرب. الرياض. دار أجا.
39. الشوكاني، محمد بن علي. 1392هـ. الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة. بيروت. المكتب الإسلامي.
40. الشيرازي، حافظ. 1999. ديوان حافظ الشيرازي. ط1. ت: إبراهيم أمين الشواربي. طهران. مهراندیش للنشر.
41. شميل، أنا ماري. 2004. الشرق والغرب: حياتي الغرب - شرقية. ط1. ت: عبد السلام حيدر. القاهرة. المجلس الأعلى للثقافة.
42. شميل، أنا ماري. 2005. أحلام الخليفة: الأحلام وتعبيرها في الثقافة الإسلامية. ط1. ت: مجموعة مترجمين. ألمانيا. منشورات الجمل.
43. شميل، أنيماري. 1421هـ. الشمس المنتصرة. ط1. ت: عيسى علي العاكوب. طهران. مؤسسة الطباعة والنشر - وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي.
44. شميل، أنا ماري. 2007. الإسلام دين الإنسانية. ت: صلاح عبد العزيز محبوب. ط3. القاهرة. سلسلة قضايا إسلامية. العدد 147.
45. شميل، أنا ماري. 2006. الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف. ت: محمد إسماعيل السيد (و) رضا حامد قطب. ط1. ألمانيا. منشورات الجمل.
46. عبد الحكيم، شوقي. 1995. موسوعة الفولكلور والأساطير العربية. القاهرة. مكتبة مدبولي.
47. علي، صلاح سليم. 1985. تصوير الصقور والبزاة في الشعر العربي والانجليزي. مجلة أفق عربية. بغداد. العدد 11. ص 56-63.
48. غالب، عبد الرحيم. 1988. موسوعة العمارة الإسلامية. ط1. بيروت. جروس برس.
49. الفلقشندي، الشيخ أبو العباس أحمد. (ب.ت). صبح الأعشى في كتابة الإنشا. القاهرة. دار الكتب المصرية.

50. كخاله، عمر رضا. (ب.ت). معجم المؤلفين. بيروت. دار إحياء التراث العربي.
51. كرد علي، محمد. 1917. المقتبس. ج9. بيروت. دار صادر.
52. كوبريلي، محمد فؤاد. 2002. المتصوفة الأولون في الأدب التركي. ط1. ت: عبد الله أحمد إبراهيم. القاهرة. المجلس الأعلى للثقافة.
53. لوبون، غوستاف. 2000. حضارة العرب. ت: عادل زعيتر. القاهرة. الهيئة المصرية العامة للكتاب.
54. مجموعة مؤلفي. (ب.ت). دائرة المعارف الإسلامية. بيروت. دار الفكر.
55. مجموعة مؤلفين. 1989. معجم ألفاظ القرآن الكريم. ط2. القاهرة. مجمع اللغة العربية.
56. مجموعة مؤلفين. 1998. معجم العالم الإسلامي. ط2. ترجمة: جورج كتورة. بيروت. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
57. مجموعة من المؤلفين. 1987. قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية. ط1. بيروت. دار العلم للملايين.
58. المسعودي، أبو الحسن علي. 2005. مروج الذهب ومعادن الجوهر. ط1. بيروت. المكتبة العصرية.
59. مصطفى، محمد. 1953. سجاجيد الصلاة التركية. القاهرة. مطبعة وزارة المعارف العمومية.
60. المعتز بالله الخليفة العباسي، عبد الله بن محمد. (ب.ت). ديوان أشعار الأمير أبي العباس. تحقيق: محمد بدیع شریف. القاهرة. دار المعارف.
61. المقرئزي، أحمد بن علي. 1270هـ. خطط المقرئزي. القاهرة. دار التحرير للطبع والنشر.
62. نولدكه، تيودور. 2004. تاريخ القرآن. ط1. ت: جورج تامر. بيروت. مؤسسة كونراد - أدنار.
63. النيسابوري، فريد الدين العطار. 2006. منطق الطير. ط4. ت: بدیع محمد جمعة. القاهرة. الهيئة المصرية العامة للكتاب.
64. الوائلي، عبد الحكيم. 2000. موسوعة شعراء الأندلس. ط1. عمان. دار أسامة للنشر والتوزيع.
65. ونسك، أ.ي. 1936. المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي. ليدن. مكتبة بريل.

في اللغة الإنجليزية

1. Emre, Yunus. 1989. The drop that became the sea. T: Kabir Helminski & Refik Algan. Boston & London. SHAMBHALA.
2. Goring, Rosemary. 1995. The Wordsworth Dictionary Of Beliefs & Religions. London. W&R Chambers Ltd.
3. Rosemary, Goring. 1992. The Wordsworth Dictionary Of Beliefs And Religions. U.K. W&R Chambers Ltd.
4. Schimmel, Annemarie. 2004. The Empire of the Great Mughals. T: Corinne Attwood. London. Reaktion Books.

في اللغة الفارسية

1. بوذرمهر، محمد حسن. 2002. القاموس الشامل: فرهنگ (فارسي - عربي). بيروت. نوفل.
2. معلوف، لويس. 1384 (شمسي). فرهنگ بزرگ جامع نوین (عربي - فارسي). ت: أحمد سياح. تهران. انتشارات اسلام.

الكاتب في سطور

عقيل يوسف عيدان:

- باحث وكاتب كويتي (1976).
- ماجستير في الفلسفة الإسلامية والفكر العربي.
- نشر العديد من الدراسات والمقالات الفلسفية والنقدية في الصحف والمجلات الكويتية والعربية.

صدر له:

- كتاب (العقل في حريم الشريعة: العقلانية عند الشيخ محمد عبده) 2005.
- كتاب مشترك بعنوان (المجتمع المدني: فكر وواقع) 2006.
- كتاب مشترك بعنوان (المرأة.. الإنسان) 2007.
- كتاب (أوجه المكعب الستة: ألعاب اللغة عند فتغنشتاين) 2007.

البريد الإلكتروني: ayemh@hotmail.com

تعتبر المستشرقة الألمانية الدكتورة أنا ماري شيميل (١٩٢٢ - ٢٠٠٣) نموذجاً بارزاً للذين أحبوا بصدق الحضارة الإسلامية بكل أبعادها ومعانيها الساحرة، ووقفوا على الإسهامات العظيمة التي قدّمتها للإنسانية، وقدموا عبر دراساتهم وأبحاثهم خدمات رائعة للإسلام، بل وقدم بعضهم توضيحات باهظة لأجل الثبات على مواقفهم.

تميزت الدكتورة شيميل عن أترابها من المستشرقين الألمان أنها نجحت في إدراك الكثير من الأهداف السامية التي عجزت عن تحقيقها غالبية نظرائها، مردّد ذلك إلى الخلفيّة التي تعاملت بها «عميدة» الاستشراق الألماني مع الحضارة الإسلامية التي درستّها، فقد ارتكزت هذه الخلفيّة على الكثير من الحب والرغبة في اكتشاف الجوانب المضيئة فيها.

لقد كرّست الدكتورة شيميل حياتها لتحقيق فهم أفضل للإسلام والعالم الإسلامي في الغرب. كما عملت كجسر هام للحوار بين الأديان المختلفة وبين الثقافات المتعددة، الأمر الذي حقّق لها اعترافاً كبيراً في مختلف الأوساط.

وتعرض في هذا الكتاب لثلاثة بحوث تسلّط فيها الدكتورة شيميل الضوء على صور «خلافة» وغير تقليدية من إبداعات هذه الحضارة العظيمة التي قادت الغرب كما الشرق إلى ولوج آفاق جديدة من العلم والعمل.

عقيل عيدان



ISBN 978-9953-87-386-2



9 789953 873862

جميع كتبنا متوفرة على
شبكة الإنترنت

نيل وفرات.كوم
www.neelwafurat.com

الدار العربية للعلوم ناشرون

Arab Scientific Publishers, Inc.

www.asp.com.lb

ص.ب. 13-5574 شوران 1102-2050 بيروت - لبنان

هاتف 9611-785107/8 فاكس: 9611-786230

البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb